قَوَاعِدُ
تَنتَظِمُ بِهَا مَسَائِلُ
كِتَابِ التَّوْحِيدِ

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م



دار للنشر والتوزيع
الكويت
هاتف ٢٢٦٤٢٤٢٨ - النقال ٩٧١٧٥٧٦١
ص. ب ١٢٣٢٦ - الشامية - الرمز البريدي ٧١٦٥٣
Websit: www.hamel-almisk.com
E.mail: info@hamel-almisk.com

قَوَاعِدُ
تَنتَظِمُ بِهَا مَسَائِلُ
كِتَابِ التَّوْحِيدِ

تَأْلِيفُ

عدنان عبد القادر

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب ٧٠، ٧١]

أما بعد،

فهذه بعض القواعد والضوابط المهمة التي تنتظم بها مسائل كتاب التوحيد فمنذ خمسة وثلاثين سنة كنت أجد شيئاً من التعارض الظاهري بين بعض الضوابط المقررة في الاعتقاد من جهة والنصوص الشرعية والمسلّمات من جهة أخرى .

من ذلك القول بعدم جواز الاستغاثة بغير الله تعالى مع ثبوت النص القرآني باستغاثة الإسرائيلي بموسى ؑ؛ والقول بعدم جواز التبرك بغير النبي ﷺ مع ثبوت نسبة البركة إلى آل أبي بكر وإلى أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها.

ومنها عدم جواز الاستعاذة بغير الله تعالى مع ثبوت استعاذة الغلام بالنبي ﷺ والمخزومية السارقة بأسامة بن زيد وأم المؤمنين أم سلمة؛ ومنها عدم جواز إضافة المخلوق إلى الخالق بالواو كقولهم ما شاء الله وشئت بينما ثبت في القرآن ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وكذا في حديث البخاري «لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه»، ومنها مغفرة الله تعالى لنباش القبور الذي قال لأبنائه وهو يحتضر «والله لئن قدر الله علي ليعذبنيِّ» وهذا شك في قدرة الله تعالى فمات على ذلك مع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾.

ومنها تفرقة شيخ الإسلام ابن تيمية بين من وقع في الشرك من أهل البادية أو من أسلم حديثاً وهو يجهل أنه شرك، بينما من وقع في الشرك ولا يعلم أنه شرك مع علمه بأنه محرم، ومنها معرفة ضابط الشرك، ولماذا سميت بعض المعاصي بالشرك الأصغر والكفر الأصغر بينما لم تسمى المعاصي الأخرى بالشرك الأصغر .

ومنها ورود بعض النصوص بأن صاحب معصية ما لا يدخل الجنة «كالكبر» بينما وردت النصوص الأخرى بأنه من قال «لا إله إلا الله دخل الجنة»؛ ومنها قول بعض العلماء بأن الحديث القدسي لفظاً من النبي ﷺ وأما المعنى فمن الله تعالى مع قول النبي ﷺ فيه: «قال الله تعالى» مع الإنكار على من أجرى هذه القاعدة على القرآن الذي يقال فيه قال الله تعالى، ومنها تسمية نبي الله عيسى عليه السلام المخلوق بكلمة الله بينما من المقرر أن صفات الله غير مخلوقة ومنها كلام الله غير مخلوق قطعاً، ومنها أن الاستغاثة بالمخلوق الميت كفراً بينما الاستغاثة بالمخلوق الحي المحسوس ليس كفراً وكلاهما استغاثة بمخلوق.

فكنت أبحث جاهداً عن التوفيق بينها فأحد الإجابة غالباً عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع متفرقة من كتبه ورسائله المتفرقة، فعزمت على جمعها على صورة قواعد وضوابط تنضبط بها

مسائل التوحيد ليسهل فهم المسائل وتنزيل الفروع المتعددة والمستحدثة عليها.

القاعدة الأولى

بيان معنى التوحيد

التوحيد لغة: جعلك الشيء واحداً.

والتوحيد في حق الله تبارك وتعالى: هو أن تعتقد أن الله تعالى وحده له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأسمائه، وله الكمال المطلق في ربوبيته، ولا يستحق أحد أن يُعبد إلا هو، ولا يشاركه مخلوقٌ في شيء من خصائصه، وأن الله تعالى لا يشارك مخلوقاً في شيء من خصائصه.

فتعتقد بأن الله تبارك وتعالى هو الرب الأوحد والإله الأوحد، وتثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من أسماء وصفات، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وأن تنفي عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه.

والإيمان بأن الله تعالى هو الرب الأوحد يقتضي الاعتقاد بخصائص الربوبية: وهي أن التأثير المطلق لله، والملك المطلق لله، والشفاعة المطلقة لله، فالجميع بيد الله وحده.

والإيمان بأسماء الله وصفاته يقتضي الاعتقاد بخصائص الأسماء والصفات، وأن الله وحده له جميع صفات الكمال على أكمل

الوجوه؛ فله العلم المطلق، والقدرة المطلقة، والغيب المطلق، ويقتضي الاعتقاد بأن كل صفات الله سبحانه على إطلاقها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

والإيمان بأنه لا يستحق أن يعبد إلا الله سبحانه يقتضي الاعتقاد بخصائص الألوهية: وهي أن يَبْذل العبد كمال الحب مع كمال الذل لله وحده؛ فيفرده بالعبادة.

القاعدة الثانية

أقسام التوحيد ثلاثة

القسم الأول: توحيد الربوبية.

القسم الثاني: توحيد الألوهية.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

القاعدة الثالثة

توحيد الربوبية

هو إفراد الله ﷻ بأفعاله. ولا يتحقق الإيمان بتوحيد الربوبية إلا بالاعتقاد بخصائص ربوبية الله تعالى: وهو أن تعتقد أن الله سبحانه هو الخالق المطلق لهذا الكون، وهو الملك المطلق لهذا الكون، له الملك التام، وبيده وحده الخير وضده على إطلاقهما، وله التأثير المطلق، وله القدرة المطلقة التامة، وهو المحيي المطلق، وهو المميت المطلق، وبيده سبحانه النصر المطلق، والإعانة المطلقة، والإجابة المطلقة، والرزق المطلق، والغوث المطلق، والإعاذة المطلقة، والإجابة المطلقة، والتدبير المطلق، والشفاعة المطلقة، والأمر المطلق الذي يشمل التحليل والتحريم، والتوكل المطلق عليه، لا يشاركه أحد في هذا الإطلاق، ولا يقيده أحد من المخلوقين، ولا يفتقر سبحانه إلى إذن أحد في شيء منها؛ فلا يُرزَق أحد إلا بإذن الله تعالى، ولا يموت أحد إلا بإذنه تعالى، ولا يملك أحد شيئاً إلا بإذنه، فالأمر المطلق له وحده، والمخلوقات جميعها لله ﷻ، وهو الذي جعلها أسبابًا بمشيئته، فإذا شاء أن تؤثر أثرت، وإذا شاء لم تؤثر، ولذا يسمى ملْك المخلوق للشيء بالملك الظاهري، وكذا الإحياء الظاهري، والإماتة الظاهرية؛ لأنه متعلق بالمخلوق، أما الله ﷻ

فهو الملك الحقيقي، وله كمال التصرف والتدبير، وهذا هو توحيد الربوبية.

❑ هل كانت العرب تؤمن إيماناً تاماً بتوحيد الربوبية؟

كانت العرب تشرك في الربوبية، وقد بين الله ﷻ ذلك في عدة مواطن من كتابه أنهم يشركون مع الله في الشفاعة، فيجعلون الأصنام أو غير الله ﷻ يشفع دون إذن من الله تبارك وتعالى، لذا نفى الله تعالى الشفاعة عنها وأثبت الشفاعة له وحده، وأنه يملكها وحده، وأنها لا تُقْبل إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾، فجعلوا هذه المخلوقات تتصرف تصرفًا مطلقًا وتشفع شفاعة مطلقة دون إذن من الله ﷻ، فأدّى هذا بهم إلى الشرك في توحيد الألوهية، والذي سيتم بيانه بعد بيان توحيد الأسماء والصفات بإذن الله تعالى.

لذا ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- عدة صور لهذا الشرك الذي وقع فيه مشركو العرب وغير العرب؛ إذ بوب:

[باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، وقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ **الآية، وقوله:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ **الآية، وقوله:** ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **الآية، وقوله:**

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ **الآية.**

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ»].

❑ فذكر المؤلف عدة صور لذلك:

❑ الصورة الأولى

قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، هذا خطاب للمشركين، والمعنى: إن الذين تدعونهم من دون الله وتستعينون بهم وتسألونهم هم أنفسهم يتقربون إلى الله تعالى، ويبتغون الوسائل المقربة إلى ربهم، فأنتم تسألون الملائكة وتستعينون بهم، بينما الملائكة تتقرب إلى الله ﷻ، فالذي بيده الإجابة المطلقة لا يتوقف فيها على إذن أحد هو الله تعالى وحده، فمن صرفها لغير الله تعالى فقد أشرك بالله تعالى في ربوبيته.

❑ الصورة الثانية

أنهم وجهوا خصائص الله تعالى لغير الله ﷻ، ومن هذه الخصائص: التحليل والتحريم، فهما لله وحده، والتشريع لله وحده؛ لأنه من خصائص الربوبية، بينما هم جعلوها للأحبار: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فحرموا عليهم الحلال، فحرم الناس الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فأحل الناس الحرام.

❑ الصورة الثالثة

أن القدرة المطلقة والقوة المطلقة من خصائص الله عز وجل، ولكنهم جعلوا لآلهتهم نصيبًا من ذلك، فجعلوها أنداداً لله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ .

والند: هو النظير في القوة والقدرة والرأي والتدبير، المضاهي له والمقاوم، والنظير في الرفعة والشهرة.

القاعدة الرابعة

إن الله تعالى هو الذي يوجب على نفسه ما يشاء، أما الخلق فإنهم لا يوجبون شيئًا على الله تبارك وتعالى، فالعقل لا يوجب شيئًا على الله ﷻ، ولا المخلوق يوجب شيئًا على الله تبارك وتعالى، لا ملَك ولا جن ولا إنس، فلا أحد يوجب شيئًا على الله تبارك وتعالى، وإنما الله ﷻ وحده هو الذي يوجب على نفسه تكرمًا وتفضلًا وجودًا ورحمة منه تعالى على عباده، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

ومن ذلك ما ورد في الحديث: «إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»[(١)]، فهو سبحانه الذي كتب على نفسه، وقال تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، فهو الذي أوجب على نفسه تكفير سيئات المؤمنين، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، فهو الذي كتب الرحمة على نفسه الجليلة، وقال تعالى: ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، فهو الذي كتب على نفسه إهلاك الظالمين، وقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، فهو الذي أوجب على نفسه ذلك.

وفي الحديث القدسي: «قال الله تعالى: إني حرمت الظلم على

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٤).

نفسي»[1]، فهو سبحانه الذي حرم على نفسه الظلم.

فلا أحد يوجب على الله شيئًا، إنما الله سبحانه هو الذي يوجب على نفسه، فما أوجبه الله تعالى على نفسه واقع برحمته وحكمته، فيستحق الحمد والثناء عليه، والله تعالى منزه أن يخالف ما أوجبه على نفسه.

لذا ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- من الصور المحرمة في ذلك: [باب ما جاء في الإقسام على الله: عن جندب بن عبد الله ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله ﷻ: من ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك»، رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته].

فقد أقسم هذا الرجل على الله تعالى، وأوجب عليه ما لم يوجبه سبحانه على نفسه.

❑ **مسألة: هل يجوز أن يقسم العبد على الله تعالى؟**

الإقسام على الله نوعان: الأول مباح، والثاني محرم.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧)

النوع الأول: المباح.

وله ثلاث أحوال:

الحالة الأولى: ما أحقه الله على نفسه.

مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، فتقول: اللهم، إني أقسم عليك أن تنصر المؤمنين. ومثل: ما جاء أن المؤمنين يشفعون للمسلمين، فتقول: اللهم، إني أقسم عليك أن تجعل المؤمنين يشفعون لي. فتقسم ليحقق الله تعالى ما أوجبه على نفسه.

الحالة الثانية: الإغلاق.

أي يكون المقسم قد أُغلق على عقله، فأقسم على الله تعالى وهو في حال غَيْبَةٍ، فتلفظ دون أن يتحقق من الألفاظ التي خرجت منه، ففي حال من حالات الافتقار والضعف بين يدي عظمة الله تعالى وما أصابه من المصائب يقول: ربي أقسمت عليك أن ترفع عني المصائب. دون قصد العجب أو تعظيم النفس، وإنما خرجت من القلب دون شعور، في لحظة افتقار إلى الله عز وجل، كما قال النبي ﷺ: «رُبَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرَّه».

الحالة الثالثة: يقسم على الله أي يقسم بالله أن فلانًا سيفعل كذا أو لن يفعل كذا، أو سيحدث كذا أو لن يحدث كذا.

كأن تقول لشخص: أقسم بالله عليك أن تفعل كذا. بينما هو لا يريد أن يفعله، أو تقول: أقسم بالله عليك أن لا تفعل كذا. بينما هو يريد أن يفعله، ولكنه يستجيب لقسمك؛ لأنه لا يريد أن يخفر القسم الذي أقسمته، أو لأي سبب آخر، كما في قصة الرُّبَيّع أخت أنس بن النضر رضي الله عنه، فعن أنس رضي الله عنه: أن الربيّع وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية، فعرضوا الأرش وطلبوا العفو، فأبوا، فأتوا النبي ﷺ، فأمرهم بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أتُكسر ثنية الرُّبَيّع يا رسول الله؟ لا والذي بعثك بالحق، لا تُكسر ثنيتها. فقال: «يا أنس، كتاب الله القصاص»، فرضي القوم وعفوا، فقال النبي ﷺ: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»[1]، فهو لم يقل: رب، أقسمت عليك. بل أقسم بالله أن هذا لن يحدث، بأن سيسعى جاهداً لمنع وقوعه.

النوع الثاني: المحرم.

وهو أن يشعر بالعجب أو أن له حقاً وإدلالاً على الله تعالى؛ فيقول: رب، أقسم عليك أن تحقق لي كذا وكذا. فهذا سوء أدب وجرأة على الله تعالى؛ لأنه جعل لنفسه حقاً على الله تعالى، كما قال رجل لآخر قائم على المعصية: والله لا يغفر الله لك. إذ روى مسلم عن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدث: «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥).

فقال الله تعالى: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك».

فمن أنت حتى تقسم على الله تعالى وتحكم على الله تعالى؟!.

القاعدة الخامسة

توحيد الأسماء والصفات

هو أن تثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من أسماء وصفات. فإن الله تعالى أثبت لنفسه الرحمة؛ فتثبت له الرحمة، وأثبت لنفسه العلم؛ فتثبت له العلم، وكذلك القدرة، والرضا، والغضب، والوجه، واليدين، وغيرها من الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة، **من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.**

«**من غير تحريف**» لفظاً ومعنى، فلا يقال: المقصود باليد القدرة. لأن هذا تحريف في المعنى، ولا يقال: المقصود بالاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ بمعنى استولى. فهذا تحريف في اللفظ، ويقتضي تحريف المعنى.

«**ومن غير تعطيل**»: أي دون نفي لها، فلا تقل: لا يدَ لله، ولا علمَ لله، ولا رضا، ولا غضبَ. لأن جميع هذه الصفات ثبتت في الكتاب والسنة الصحيحة.

«**ومن غير تكييف**»: كأن يقول: استوى الله سبحانه بهذه الطريقة. وتكييف الصفة هو أن تعرف حقيقة صفات الله عَزَّوَجَلَّ وتحيط بها علمًا،

ولا يحيط علمًا بالله ﷻ أو بصفة من صفاته إلا هو سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾، وإنما يعرف العبد معانيَ الصفات دون أن يحيط علماً بها.

«**ولا تمثيل**»: **فلا يقال: يد الله كيد فلان، وعلم الله كعلم فلان. لأن الله قال:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ .

فيجب إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تعالى بدلالاتها وعدم الإلحاد فيها.

لذا بوب المؤلف [باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ **الآية، ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس** رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ : **يشركون. وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يُدخلون فيها ما ليس منها].**

- **المسألة الأولى**

أسماء الله تعالى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأسماء الحسنى.

مفرد ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الاسم الأحسن[1].

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢٠٧)، والبقاعي (٣/ ١٦٠)، وتفسير البغوي (٥٠٣).

والأحسن: للتفضيل، فهي أحسن الأسماء وأجلها؛ لدلالتها على أحسن المعاني وأشرفها[1].

وهي التي يُدعى الله بها، ويُخبَر عنه بها، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، فلا يُدعى إلا بها لشرفها؛ إذ لا يُدعى سبحانه إلا بنعت التشريف.

وهي الأسماء المشهورة الواردة في الكتاب والسنة، كاسمه تعالى علّام وعليم، فكلاهما اسم أحسن، ولم يثبت أن من أسمائه عالم، فهذا اسم حسن وليس أحسن، وإنما ورد مضافاً ليضفي عليه وصف الأحسن كما في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ .

ومن الأسماء الحسنى: الرحمن، الرحيم، الغفور، الحكيم، الحليم، وغيرها من الأسماء الحسنى.

القسم الثاني: الأسماء الحسنة

«الأسماء الحسنة» الاسم الحسن. وهي التي يُخبَر بها عن الله، ولا يُدعى بها.

كما يقول العلماء: الله تعالى مريد راحم. ولا يعنون أن من أسمائه

(١) تفسير البيضاوي، والألوسي (٩/ ١٢٠)، ومجموع الفتاوى (٦/ ١٤١).

تعالى المريد الراحم، ولكن يُخبَر عنه أنه مريد راحم، وذلك أن الأسماء توقيفية، فلا نُثبت اسماً لله تعالى إلا ما ثبت بدليل، فما ثبت بنص الكتاب والسنة أثبتناه لله عز وجل.

القسم الثالث: أسماء لا يحكم بسوئها

وهي التي لا يحكم بحسنها ولا بسوئها. فهي لا تنفي الحُسْن، ولا يجب أن تكون حسنة.

وهي كذلك يُخبَر عن الله تعالى بها كـ: «شيء، ذات، موجود»[١].

• **المسألة الثانية**

إن لله تعالى أسماء عدة، كما قال النبي ﷺ: «لله تعالى تسعة وتسعون اسمًا، مَن أحصاها دخل الجنة»[٢]، أي من حفظها، وتدبر معانيها، وعمل بالمعاني، وتعبّد بها، دخل الجنة، وعلى قدر ما يعمل بمقتضاها يكون له السبق في دخول الجنة، وكلّما قلّ العمل بها قلّ الثواب، على نحو ما سيأتي في قاعدة جزاء الأعمال -بإذن الله تعالى.

• **المسألة الثالثة**

الإلحاد في أسماء الله تعالى أنواع:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢- ١٤٣).
(٢) رواه البخاري (٢٧٣٦).

النوع الأول: إنكار الأسماء التي ثبتت بالكتاب والسنة. كأن يقول: الرحمن ليس من أسماء الله تعالى. أو كقول كفار قريش: لا نعرف إلا رحمن اليمامة.

النوع الثاني: أن يثبت الأسماء وينفي معانيها. كأن يقول: سميع بلا سمع، عليم بلا علم، رحيم بلا رحمة.

النوع الثالث: تسمية المخلوقات بأسماء هي من خصائص الله تعالى. كأن يسمي أحد لمخلوقات: الله، أو رحمن، أو ملك الأملاك.

النوع الرابع: تسمية الله تعالى بما لا يليق بجلاله كتسمية الله «أباً» أو «علة فاعلة».

النوع الخامس: تأنيث أسماء الله تعالى. كتسمية اللات اشتقاقًا من اسم الله، أو العُزى من العزيز.

لذا بوب المؤلف [**باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات، وقول الله تعالى:** ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ **الآية.**

وفي صحيح البخاري: قال علي: «حدّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله؟».

وروى عبد الرزاق عن معمرٍ عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات - استنكاراً لذلك- فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه» انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر «الرحمن» أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾].

﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾: أي يكفرون باسم الرحمن فيقولون: رحمن اليمامة.

فيجب أن نؤمن بأسماء الله وصفاته بلا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

ومن لم يلتزم من المسلمين بهذه القواعد في الأسماء والصفات متأولاً فهو ضال، وإلا فإن أصل المسألة أن الإلحاد في اسم واحد من أسماء الله تعالى كُفر، لكن من وقع فيه متأولاً فإنه لا يكفر؛ لأنه لم تنطبق عليه شروط تكفير المعين.

- **المسألة الرابعة**

من رأى قومًا يستنكرون موضوعًا فلا يحدثهم به؛ لئلا يكون سببًا في إنكارهم للنصوص، ولذا عندما تكلم ابن عباس رضي الله عنهما بحديث فيه صفة من

صفات الله تعالى انتفض رجل كأنه لم يقبل كلامه، فقال ﵄: «فرق هؤلاء»؟ أي مالهم يخافون ويرتعدون من هذا وتتصدع قلوبهم من الخوف، فعند رقه ومحكمه يستجيبون، ويرتعدون عند متشابهه؟ بل عليهم أن يقولوا: «الله ﷻ أعلم بالكيفية، وأما معنى الصفة فنعلمه ونعرفه»، بدلاً من أن يفرق وينتفض.

فعلينا أن نؤمن بأسماء الله وصفاته، ونبحث عن معناها ونثبته، ونفوض كيفيتها إلى الله تعالى.

فأنت في حديثك للناس عن صفات الله تبارك وتعالى تُقَدِّر عقول الناس وأفهامهم، وعليك أن تهيء الحاضرين له، حتى إذا ما أَصّلت قاعدة لقبوله ذكرته لهم، كما قال علي ﵁: «حدّثوا الناس بما يعرفون».

❑ **صور من توحيد الأسماء والصفات**

❑ **الصورة الأولى: احترام أسماء الله تعالى**

لذا بوب المؤلف [**باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك**:

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم؛ فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال: «ما أحسن هذا، فمالك من الولد؟» قلت: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «فمن أكبرهم؟» قلت:

شريح. قال: «أنت أبو شريح». رواه أبو داود وغيره].

في حديث أبي شريح لم يحرم عليه النبي ﷺ تلك الكنية، وإنما كرهها توقيراً لله تعالى من أن يكون في تلك الكنية إشارة إلى أن صاحب الحكم غير الله تبارك وتعالى، فقال: «إن الله هو الحكم»، وهذا من باب تعظيم النبي ﷺ لله تعالى، ثم سأله عن اسم أكبر أبنائه فقال: شريح. قال: «أنت أبو شريح». وفي هذا دليل على جواز تغيير الأسماء أو تغيير الكنى.

❑ **الصورة الثانية: عدم التسمي باسم هو أخص بالله تعالى**

لذا بوب المؤلف [باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه:

في الصحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أخنع اسمٍ عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله».

قال سفيان: مثل شاهان شاه.

وفي رواية: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه».

قوله «أخنع» يعني أوضع].

«أخنع الأسماء»: أي أذل الأسماء وأبعدها وأبغضها.

«ملك الأملاك»: هو الله عز وجل. فمن تسمى به فقد تسمى باسم من أسماء الله عز وجل الخاصة به، وكما تقول العرب: رحمن اليمامة. إذ أن من الأسماء الخاصة بالله تعالى: الله، الرحمن، ملك الملوك. والأسماء الخاصة بالله تعالى لا يجوز التسمي بها، وقد أدخل بعضهم في الأسماء الخاصة بالله تعالى: «قاضي القضاة، وحاكم الحكام»، وقال: لا يجوز إلا في حق الله تبارك وتعالى؛ ولذا بوب المؤلف بهذا المعنى «باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه».

أما عزيز، وملك، وحليم، وغفور فليست أسماء خاصة بالله تعالى، فيجوز التسمي بها، كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾.

القاعدة السادسة

ما من صفة كمال إلا والله ﷻ أولى بها وعلى أكمل الوجوه، وما من صفة نقص إلا والله ﷻ أولى أن يُنَزَّه عنها من جميع الوجوه، فالله تعالى له أعلى الأوصاف وأكملها وأسماها، لا يدانيه أحد، كما قال الله تعالى ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وقال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾.

فصفة العلم صفة كمال، والقدرة صفة كمال، والرحمة صفة كمال؛ فالله ﷻ أولى أن يتصف بالعلم وعلى أكمل الوجوه، وأولى أن يتصف بالقدرة وعلى أكمل الوجوه، وأولى أن يتصف بالرحمة وعلى أكمل الوجوه.

أما العجز فصفة نقص، وكذا الضعف صفة نقص؛ فالله ﷻ أولى أن يُنَزَّه عن جميع صفات النقص من جميع الوجوه.

لو سأل سائل: كيف يتصف الله ﷻ بصفة الكِبْر وهي صفة نقص؟

فالجواب: أن صفة الكبر صفة كمال، بل هي كصفة الألوهية، فكما أنه لا يجوز لأحد أن يتصف بالألوهية إلا الله تعالى، فكذلك لا يجوز لأحد أن يتصف بالكبر إلا الله تعالى.

فمن وصف نفسه بالألوهية وهو مخلوق فهو كذاب؛ لأنه ناقص، والألوهية لا يستحقها إلا من اتصف بجميع صفات الكمال من جميع الأوجه، وتَنَزَّه عن جميع صفات النقص من جميع الأوجه، وهو الله سبحانه وتعالى.

ومن وصف نفسه بالألوهية فقد وصف نفسه بما لا يستحق؛ لأن الألوهية لا تنبغي إلا لله تبارك وتعالى.

وكذلك الكبر، فالمتكبر هو الذي له أكمل الصفات على أكمل وجه، وتكبَّر عن صفات النقص من جميع الأوجه، فلا يتصف بالكبر إلا الله ﷻ، وله الكبرياء التام؛ فمن وصف نفسه بهذه الصفة من المخلوقين فهو مدع كِذاب يأمل أن يصلها ولا يبلغها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ .

فهذا من خصائص الله تعالى أنه ما من صفة كمال إلا والله ﷻ أولى بها وعلى أكمل الوجوه، وما من صفة نقص إلا والله ﷻ أولى أن ينزه عنها ومن جميع الوجوه؛ لذا من وصف مخلوقاً بصفة كمال على أكمل وجه كأن يقول: فلان يعلم الغيب، أو فلان له القدرة التامة. فقد أشرك مع الله تعالى في صفاته؛ إذ جعل مخلوقًا يتصف بخصائص الله ﷻ في صفاته.

وكذا من وصف الله ﷻ بشيء من النقص والافتقار وغيره مما هو من خصائص المخلوقين كاتخاذ الولد أو الزوجة أو الفناء أو يتولّد منه شيء آخر فقد أشرك مع الله تعالى؛ إذ وصف الله سبحانه بشيء من خصائص المخلوقين من النقص.

فالمشرك في الصفات هو الذي جعل شيئاً من خصائص صفات الله تعالى للمخلوقين كالألوهية، أو جعل شيئاً من خصائص صفات المخلوقين لله تعالى كالنقص والافتقار وغيرها.

لذا بوب المؤلف باباً في عدم الدعاء لله تعالى، وإنما دعاء الله تعالى، لذا قال المؤلف [باب لا يقال: السلام على الله:

في الصحيح: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام»].

أما حديث ابن مسعود رضي الله عنه في نهي النبي ﷺ عن السلام على الله، فكأنك تدعو لله تعالى، وليس هذا صحيحاً،

بل مخالف للأدب مع الله تعالى لفظاً؛ فالله تعالى لا يحتاج ولا يفتقر إلى من يدعو له، بل نحن المحتاجون إلى أن ندعوا الله تعالى، لا أن ندعوا لله، وإنما يُثْنَى على الله تعالى.

القاعدة السابعة

كلام الله تعالى بجميع أنواعه الثابتة بالشرع تكلم الله به لفظاً ومعنى، من ذلك القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم ﷺ والحديث القدسي وكلام الله تعالى مع أنبيائه وملائكته وعباده، سواءً في الآخرة أو في الدنيا؛ لذا فالحديث القدسي لفظه ومعناه من عند الله ﷻ، كما رجحه الإمام البخاري؛ إذ أدخل الأحاديث القدسية في أبواب إثبات كلام الله تعالى، وهي ثمانية أبواب[(١)].

لذا قال الشيخ عبدالله بن الغنيمان في شرحه: «يريد بذلك إبطال قول من زعم أن كلام الله مخلوق، أو يريد أن الأحاديث القدسية من كلام الله حقيقة وأن كلامه لا ينحصر في كتبه المنزلة»[(٢)].

وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية؛ إذ قال: إن القرآن... كله كلام الله، وكذلك التوراة والإنجيل والأحاديث الإلهية التي يحكيها الرسول عن الله تبارك وتعالى، كقوله: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي»، وكقوله: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»، وأمثال ذلك»[(٣)].

---

(١) انظر: كتاب التوحيد في صحيح البخاري، باب (٣٢- ٣٩)، وخلق أفعال العباد (١٣٨).

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٤٠٢).

(٣) كما في مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٧، ٧٠).

ولما تكلم ابن القيم في إثبات كلام الله تعالى؛ ردّاً على الأشاعرة الذين يثبتون الكلام النفسي (المعنى) دون اللفظ، وردّاً على المعتزلة، قال مبيناً أنواع كلام الله تعالى: «كل آية وكل حديث إلهي وكل حديث فيه الإخبار عن ما قال الله تعالى أو يقول»[1].

فالحديث القدسي نوع من أنواع كلام الله ﷻ، كالقرآن والتوراة والإنجيل، أي أن اللفظ والمعنى من عند الله ﷻ، أما الحديث النبوي فاللفظ والمعنى من النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾.

لذا فإن ما رواه الترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» هو حديث قدسي، لفظه ومعناه من الله تعالى.

(١) مختصر الصواعق (٢/٢٩٦- ٢٩٨).

القاعدة الثامنة

المضاف إلى الله عز وجل قسمان

القسم الأول: عين قائمة بذاتها.

وهذه تضاف إلى الله عز وجل إضافة المملوك إلى مالكه، والمخلوق إلى خالقه، كقولك: «الكعبة بيت الله». والبيت عين قائمة بذاتها، فتكون إضافتها إلى الله عز وجل من إضافة المملوك إلى مالكه، وكقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾، والناقة عين قائمة بذاتها، فتكون إضافتها إلى الله عز وجل من إضافة المملوك إلى مالكه، وكقوله تعالى: ﴿أَرْضُ ٱللَّهِ﴾، والأرض عين قائمة بذاتها، فتضاف إلى الله تعالى إضافة المملوك إلى مالكه، والمخلوق إلى خالقه.

وإضافة المملوك إلى المالك والمخلوق إلى الخالق أنواع:

النوع الأول: إضافة عامة؛ كقولك: مال الله، وأرض الله. قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ .

النوع الثاني: إضافة تشريف: كقولك: بيت الله، وناقة الله، وعبد الله، ورسول الله. وإضافتهما إلى الله تعالى تشريف لهم، قال الله

سبحانه: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ ، وقال: ﴿لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ ، وقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ .

القسم الثاني: أن يكون المضاف إلى الله تعالى مصدراً، وليس عينًا قائمة بذاتها.

فهذه إضافة الصفة إلى الموصوف، والمضاف إلى الله تعالى في هذه الحالة يعتبر صفة لله ﷻ، مثل: كلام الله، وغضب الله، ورضى الله، وإرادة الله، وعلم الله. فهذه كلها مصادر أضيفت إلى الله ﷻ، وليست أعياناً قائمة بذاتها، وإنما تقوم بغيرها، فهي صفات لله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾، وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾، وقوله: ﴿وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾، فالرحمة والبركة واليد والوجه لا تقوم بذاتها، فإذا أضيفت إلى الله ﷻ تكون صفاتٍ له.

أحياناً تضاف بعض المصادر إلى الله ﷻ ولا تكون صفات له، وذلك إذا دلت القرائن على أن المصدر ما هو إلا عين قائمة بذاتها، وحينئذٍ يدخل في القسم الأول وهو إضافة المخلوق إلى خالقه والمملوك إلى مالكه، إما إضافة عامة أو إضافة تشريف؛ لذا يُنظر في إضافة المصادر: هل توجد قرائن تدل على أنها عين قائمة بذاتها؟ أو لا؟ فإذا لم توجد تلك القرائن يبقى المصدر المضاف إلى الله ﷻ على الأصل وهو أنه صفة لله ﷻ.

مثال أول

ورد في الحديث: «اختصمت الجنة والنار إلى ربهما فقالت الجنة: يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم. وقالت النار: أوثرت بالمتكبرين. فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»[1].

فالرحمة مصدر أضيفت إلى الله تعالى «رحمتي»، والمقصود بالرحمة هنا الجنة؛ إذ قال الله تعالى لها: «أنت رحمتي»، وليست الجنة صفة قائمة بذات الله تعالى، إنما الجنة عين قائمة بذاتها، فدلت القرينة في الحديث أن المقصود بالمصدر «رحمة» هو عين قائمة بذاتها هي الجنة. فتدخل في قاعدة إضافة الأعيان وهي إضافة المملوك إلى مالكه والمخلوق إلى خالقه وليست صفة، وسميت «رحمتي» أي خلقتك برحمتي.

مثال ثان

في قول الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠، ٧٤٤٩) ومسلم (٢٨٤٦).

كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾. فقوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ الخلق مصدر أضيف إلى الله ﷻ، ولكن هل إضافته إضافة صفة؟ أم هو عين قائمة بذاتها؟ الخلق هنا أعيان قائمة بذاتها كما دلت الآية على ذلك؛ إذ المقصود بقول الله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي مخلوقات الله وهي السموات والأرض والرواسي والدواب والماء والنبات كما ورد في الآية، فالخلق في هذه الآية أعيان قائمة بذاتها فهي إضافة المملوك إلى مالكه والمخلوق إلى خالقه.

مثال ثالث

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[(١)].

فقول النبي ﷺ: «وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته» أي كلمة الله، وهذا مصدر أضيف إلى الله ﷻ، فهل توجد قرائن تدل على أنها عين قائمة بذاتها؟ أم أنها على الأصل صفة لله تبارك وتعالى؟

هناك قرائن تدل على أن «كلمته» عين قائمة بذاتها:

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥).

أولها: البيان بأن المقصود بـ «الكلمة» هو ما نص عليه الحديث المذكور «عيسى عبد الله. . . وكلمته» والعبد عين قائمة بذاتها أضيفت إلى الله تعالى، فهي إضافة ملك وخلق وتشريف وليس «العبد» صفة لله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وثانيها: قوله في الحديث: «ورسوله» والرسول عين قائمة بذاتها أضيفت إلى الله تعالى إضافة ملك وتشريف.

وثالثها: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ فعيسى عليه السلام الذي هو «كلمة الله» مخلوق كآدم عليه السلام وليس صفة.

ورابعها: قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ فهو عبدٌ لله تعالى، فدل أنه مخلوق وليس صفة لله تعالى.

وخامسها: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ فهو ولدٌ مخلوقٌ، وعليه فهو عين قائمة بذاتها لذا قالت مريم عليها السلام ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ﴾ فأجيبت بأنه مخلوق ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ .

فدلت هذه القرائن المذكورة في الآيات أن عيسى عليه السلام «كلمة الله» خُلِقَ من تراب وهو عبدٌ لله عز وجل ورسولٌ له، فتبين أن المقصود بالكلمة هنا

عين قائمة بذاتها، فهي إضافة المملوك إلى المالك والمخلوق إلى لخالق، والمقصود بـ ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أن الله تعالى خلقه بكلمة «كن»، ودل عليه قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ في قصة ولادة عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٧﴾.

فقول النبي ﷺ: «وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» أي خلق الله عيسى عليه السلام بقوله ﴿كُن﴾، فهذه هي الكلمة التي ألقاها إلى مريم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ فكان عيسى عليه السلام بكلمة (كن).

«وروح منه»

الروح: هو جبريل عليه السلام. فـ «وروح منه» أي روح من جهة الله تعالى أرسله إلى مريم كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾، فمما يدل على أن «روحنا» عين قائمة بذاتها:

أولًا: أن «روح الله» ما هو إلا رسول من الرب ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾.

وثانيًا: أنه يقوم بين يدي الله تعالى لا يتكلم إلا إذا أذن له الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾.

ثالثًا: أنه هو الذي نفخ في جيب مريم عليها السلام ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾.

فقال هناك: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾، وقال هنا ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾، فدلت القرائن بأن الروح عين قائمة بذاتها أضيفت إلى الله تعالى إضافة ملك وتشريف، وهذا مثال رابع لإضافة المصدر إضافة ملك وخلق وليس إضافة صفة.

«**منه**»: وهذا كقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي من قِبَل الله تعالى، وكما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ من قِبَل الله تعالى. وكذا هنا «وروح منه» أي روح أرسل من قِبَل الله تعالى.

ففي هذا جواب لشبهة النصارى بقولهم: أنتم تقولون بأن عيسى «كلمة الله»، والكلمة صفة من صفات الله تعالى، إذاً عيسى صفة من صفات الله تعالى على قولكم!.

وهذا الفهم هو الذي ضلت فيه النصارى، وسبق تفصيل جوابه، ولله الحمد.

القاعدة التاسعة

توحيد الألوهية

هو إفراد الله بالعبادة، والمقصود بالعبادة: كمال الذل مع كمال الحب الذي هو من خصائص الألوهية. فمَن وجّه كمال الذل مع كمال الحب لغير الله تعالى فقد أشرك بالله ﷻ في الألوهية، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾؛ ذلك أن اعتقاد نِدّية المخلوقين لله تعالى شرك في الربوبية ويؤدي إلى الشرك في الألوهية، فعندما اعتقد العرب أن لهذه الأصنام والمعبودات شركًا في الربوبية حيث تشفع وتؤثر دون إذن من الله تعالى؛ أحبوها حباً وذلوا لها ذلاً يضاهي حبهم وذلهم لله تعالى، فعبدوها مع الله ﷻ؛ فبعث الله الرسل لأجل ذلك، لذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ﴾.

فاجعل لله ﷻ كمال الحب القلبي مع كمال الذل القلبي، فأصل محبة القلب وذله لله تعالى، لبّ قلبك وسويداؤه وجِّههُ لله تبارك وتعالى، ولا تُوجِّهه لمخلوق، لا لزوجة ولا لولد، ولا لأم ولا لأب، ولا لصاحب ولا قبر صالح ولا ولي ولا نبي، هذا هو توحيد الألوهية.

لذا بوب المؤلف [**باب تفسير التوحيد، وذكر قول إبراهيم** عليه السلام **لقومه:** ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾. [**وبيّن أحوال الكفار مع الآلهة**] ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ .**وذكر حديث النبي** صلى الله عليه وسلم: «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله** عز وجل»]؛ فلم يجعل الشارع لمخلوق شيئًا من خصائص الألوهية الذي هو كمال الحب مع كمال الذل لتكون العبودية لله تبارك وتعالى وحده، فلا تطوف طواف التقرب إلا لله عز وجل، ولا تذبح تقربًا تعبدًا إلا لله عز وجل، ولا تنذر إلا لله تبارك وتعالى، وهذه من صور العبادة.

فمن وجّه شيئًا من هذه الخصائص تقرباً إلى غير الله تعالى كطواف وذبح ونذر وغيرها من العبادات فقد أشرك مع الله تعالى.

القاعدة العاشرة

ما خلق الله الخلق إلا لعبادته وحده، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ .

لذا ذكر المؤلف حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا»[1] .

فحق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب الموحدين.

مسألة: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ فهل معنى هذا أن الله تعالى محتاج إلينا لذا خلقنا لعبادته؟ عندما تجعل شيئاً ما ليحقق لك غرضًا معينًا كأن تجند جنوداً لينصروك وصرحت بذلك قائلاً «ما جندتهم إلا لينصروني»، فمعلوم أنك محتاج إليهم لهذا الغرض وهو النصرة، وهل الله تعالى حين قال: ﴿إِلَّا

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠).

﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ محتاج إلى خلقه كي يعبدوه؟

• **الجواب:**

هذا الفهم خطأ، وحتى نفهم هذه الآية لابد من معرفة عدة أمور:

الأول: أن الله غني عن الخلق غنىً مطلقاً.

غني عن الملائكة وعن الجن والإنس وعن جميع المخلوقات، كما جاء في الحديث القدسي: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم

أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1] .

الثاني: أن أعظم سعادة للعبد أن يعيش لحظة حب مع من يحب من المخلوقين.

كما تقول: أبيع الدنيا من أجل أن أجلس معك يا فلان. وربما يقول الإنسان لامرأة يريد أن يتزوجها: أنا مستعد أن أدفع كل ما أملك من أجل أن تقبلي بي، أو أجلس معك جلسة واحدة. فأفضل اللحظات وأسعدها هي التي يعيشها الشخص مع المحبوب.

الثالث: أن الله تبارك وتعالى هو أفضل وأعظم من يُحَب؛ لأنه أفضل الذوات سبحانه وتعالى.

فلو عاش العبد لحظة حب مع الله تعالى ولو ثانية واحدة فإنه يقول: حسبي من الدنيا أني عشت هذه اللحظة. لحظة الحب التي تعيشها مع الله تعالى في الصلاة أو في قيام الليل أو في الجلسة تقول فيها: هذه اللحظة لا تعدلها الدنيا وما فيها. هذه هي الحياة التي عاشها الأنبياء عليهم السلام، وعاشها النبي ﷺ، وعاشها أصحاب النبي ﷺ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكرمنا بها.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

الرابع: أن الله هو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، ويحب أن يتفضل على عباده، ويفرح إذا أعطى عباده وهذا من كرم الله ﷻ.

وفي الحديث: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِى ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ، أَنْتَ عَبْدِى وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[1]، فغاية سعادة هذا المسافر حصلت عندما رأى بُغيته رجعت إليه، والله تعالى أشد فرحًا بتوبة عبده من فرح هذا المسافر؛ لأن العبد إذا تاب أكرمه الله تعالى وأغدق عليه نعمه وجوده وكرمه، والله يحب أن يُكرم عباده ويجود عليهم.

الخامس: أن العبادة هي أكمل مراتب الحب مع أكمل مراتب الذل.

فإذا تبينت هذه الأمور الخمسة زال اللبس في فهم الآية وتبين المراد منها، وهو أن الله ﷻ خلقنا من أجل أن نعيش لحظات السعادة مع إلهنا حِبِّنا، نعيش لحظات حبنا له سبحانه وتعالى على أكمل الوجوه؛ فنستمتع بها ونسعد ويكرمنا بنعمه وجوده وعطائه وحبوره ومحبته وتقريبنا إليه، بل سيرضى الله ﷻ لرضاك ويفرح لفرحك.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧).

فالله عز وجل خلقنا لا لحاجته إلينا ولكن لنسعد بمحبته، قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي إلا ليحبون فتسعد أرواحهم وتطيب حياتهم. فغاية سعادتك أن تعيش هذه اللحظات مع الله عز وجل فتسعد بحبه فيكرمك بجوده ولطفه، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ (٥٨)﴾ .

القاعدة الحادية عشرة

دواعي المحبة الثلاثة

ما هو السبيل لنعيش لحظات المحبة مع الله عز وجل؟ أريد أن أحب الله عز وجل أكثر من الزوجة والولد ومن الصاحب ومن كل شيء، فما السبيل إلى ذلك؟

ثلاثة أمور لا بد من السعي فيها لتحب الله عز وجل أكثر من المخلوقين، والمحبوب يُحَب متى ما توفرت فيه أحد الشروط الثلاثة، وهي:

أولاً: الجمال

تَعرَّف على جمال الله عز وجل، وحسبك أنك كلما رأيت جميلاً بهرك جماله توقن أنه لا يقارن بجمال الله تعالى، بل لو جمعت كل جمال المخلوقات في مخلوق واحد ما ضاهى جماله جمال الله عز وجل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال»[(١)].

ثانياً: كثرة الأيادي

ربما تحب فلانًا لا لأنه جميل ولكن لما له من الأيادي عليك، ولو جمعت كل أيادي الناس والمخلوقات ما ضاهت شيئاً من يد الله عز وجل

(١) أخرجه مسلم (٩١).

عليك، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ ، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ .

ثالثاً: كمال الصفات.

قد يحب الإنسان شخصًا لا لأياديه عليه ولا لجمال صورته، ولكن لما عرف عنه من أخلاق فاضلة، فتحب فلانًا لأنه رحيم رؤوف عفو، أو يتعامل مع الناس بأدب، أو حكيم حليم يتجاوز عن الناس، أو صاحب حياء، أو لكمال علمه وقدرته وقوته، فتسمع عن اتصافه بهذه الصفات فتحبه. فما من صفة كمال إلا والله عز وجل متصف بها، فكيف بهذه الأمور الثلاثة التي اجتمعت في حق الله عز وجل على أكمل الوجوه؟ فالله عز وجل أولى أن يُحَب.

القاعدة الثانية عشرة

إن الله تعالى لم يرسل الرسل إلا لتحقيق كمال التوحيد لله ﷻ، وهو توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وإثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه من أسماء وصفات، وهذا التوحيد هو الذي سماه الله تعالى نبأً عظيماً، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾ .

لذا استفتح المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب التوحيد بهذا الباب وهو:

[قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ **وقوله:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية. وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ **الآية. وقوله:** ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ **الآية. وقوله:** ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ **الآيات.**

قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ **التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى** ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الآية

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: كنت رديف النبي** ﷺ **على حمار فقال لي: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا**

يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا» أخرجاه في الصحيحين].

وكذا بوب المؤلف [**باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله الله وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ الآية.**

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: **إن رسول الله** ﷺ **لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ـ وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله ـ فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه].**

لبيان أن أول ما يجب أن ندعوا إليه الناس شهادة أن لا إله إلا الله.

﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ إلى توحيده. ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ على يقين.

﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ هكذا نحن، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

المرحلة الأولى من الدعوة: هي الدعوة إلى توحيد الله تعالى لعظم أمره وهو دأب جميع الأنبياء، ثم تدعوهم إلى الصلاة ثم الزكاة.

فقد أصل النبي ﷺ في هذا الحديث سنة التدرج كما حصل ليوسف عليه السلام، وكما حصل للنجاشي، فقد كان النجاشي مؤمنًا وعلى الرغم من ذلك كان يحكم بشريعة الإنجيل في الحبشة، فكان يتحين حتى إذا ما جاء الوقت المناسب نشر التوحيد والعدل وحكم به، فعلى الإنسان أن يتدرج بادئًا بالتوحيد.

كما [روى سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ». فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ». فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»، رواه البخاري ومسلم. يدوكون: يخوضون].

القاعدة الثالثة عشرة

عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ لذا ذكر المؤلف تحت **باب تفسير التوحيد [قول الله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ وذكر قبل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ .

وذكر قول النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله»].

الطاغوت: من الطغيان وهو مجاوزة الحد سواءً في العبادة أم في الحكم أم في غيرهما، وزيادة الواو والتاء لبيان كمال الطغيان.

ويسمى المعبود طاغوتاً إذا ما توفر فيه شرطان:

الشرط الأول: إذا عُبِدَ من دون الله.

الشرط الثاني: أن يفرح لهذه العبادة ويحبها ولا يكرهها. فلا يقال في حق الأنبياء الذين عُبِدوا من دون الله ﷻ أنهم طواغيت وحاشاهم؛ لأنهم لا يحبون أن يعبدوا من دون الله ﷻ. ولكن كل من عُبد من دون الله وأحب ذلك من جن وإنس فهو طاغوت.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى-: فهذا من أعظم

ما يبيِّن معنى «لا إله إلا الله»؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجةٍ ما أقطعها للمنازع.

القاعدة الرابعة عشرة

التوحيد أفضل ما يأتي به العبد يوم القيامة، وبه لا يخلد العبد في نار جهنم؛ لذا بوب المؤلف في أوائل أبواب الكتاب باباً في ذلك فقال:

[باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ الآية.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». أخرجاه. ولهما في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى: قل لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله الله في كفة، مالت بهن لا إله الله» رواه ابن حبان، والحاكم وصححه[1]

---

(١) روياه من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، قال الإمام أحمد: أحاديث دراج عن أبي الهيتم عن أبي سعيد فيها ضعف. [الكامل لابن عدي (٤/ ١٠)].

وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: **سمعت رسول الله** ﷺ **يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»].**

ولفضل التوحيد بيّن المؤلف شدة حرص النبي ﷺ على إسلام عمه أبي طالب؛ فبوب: [**باب قول الله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾**، وفي (الصحيح) عن ابن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله** ﷺ **وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي** ﷺ**، فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي** ﷺ**: «لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك»، فأنزل الله** عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ **الآية. وأنزل الله في أبي طالب:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾].

وبوَّب كذلك: [**باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب وقول الله تعالى:** ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ **(١٤). وقال:** ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ .

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ، فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: «ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ،

فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»].

فمن حقق أكمل أنواع التوكل وعدم التطير وعدم الاسترقاء والاكتواء دخل الجنة بغير حساب، وينقص ثوابه بنقصان التزامه بهذه الأربع، وسيأتي بيان هذه القاعدة بإذن الله تعالى.

القاعدة الخامسة عشرة

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

توحيد الربوبية يقتضي من العبد أن لا يتوكل توكلاً مطلقاً إلا على الله تعالى، ولا يستعين استعانة مطلقة إلا بالله سبحانه؛ لأن الله تعالى له كمال القدرة وكمال الملك والتدبير، والاستعانة من مقتضى توحيد الربوبية؛ لذا يقول العبد ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا أستعين استعانة مطلقة إلا بك، استعانة لا يقف أمامها أحد، ولا تتوقف على مشيئة سواك، ولا يشاركك فيها أحد، ولا تفتقر إلى معين.

لطيفة: ورد في مستهل سورة الفاتحة مجموعة من أسماء الله الحسنى ثم ورد بعدها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ووجه المناسبة أن مستهلها يتضمن توحيد الأسماء والصفات، والذي يتضمن إثبات أكمل الصفات لله تعالى وأكمل الأسماء لله تعالى على أكمل وجه، وإثبات أفضل الأسماء والصفات لجلاله يقتضي من العبد أن يحب الله عَزَّ وَجَلَّ أكمل الحب ويذل له أكمل الذل، وهذه هي العبادة، وهذا يقتضي منه عملاً ظاهراً يُظهر فيه حبه لله تعالى وعبادته له؛ فتجتمع فيه عبادة القلب وعبادة اللسان والجوارح؛ لذا يقول العبد في كل ركعة من صلاته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ .

لذا قسم العلماء التوحيد إلى قسمين بدلًا من الأقسام الثلاثة المذكورة سابقًا:

أولها: توحيد الإثبات والمعرفة، وهو يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتجد ذلك في الآيات الثلاث الأولى من سورة الفاتحة.

ثانياً: توحيد الطلب، بأن تطلب الله استعانة وتطلبه حبًا وعبادة، وتجد ذلك في الآيات الأربع الأخيرة من سورة الفاتحة.

هذا تقسيم باعتبار ما هو متعلق بالله عز وجل وما هو متعلق بالعبد، فالذي يتعلق بالله عز وجل هو كمال ربوبيته وأسمائه وصفاته، والذي يتعلق بالعبد هو الطلب، وهو تقسيم كذلك باعتبار العلم والعمل، فتعرّف على الله بربوبيته وأسمائه وصفاته وهذا التوحيد العلمي، ثم اطلبه محبة وعبادة واستعانة وتوكلًا وهذا التوحيد العملي؛ لذا تقول في الصلاة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ، فلهذا هي أفضل سورة في القرآن الكريم.

القاعدة السادسة عشرة

الشرك هو أن تجعل شيئاً من خصائص اللَّه تعالى لمخلوق، أو أن تجعل لله تعالى شيئًا من خصائص المخلوقين.

مثاله:

من خصائص الله تبارك وتعالى العلم المطلق والقدرة المطلقة والعلو المطلق والبصر المطلق والسمع المطلق والحكمة المطلقة والكبرياء المطلق والعظمة المطلقة والجبروت المطلق وغير ذلك من الصفات المطلقة، فإذا نسبت شيئًا من العلم المطلق أو القدرة المطلقة أو غيرهما من صفات الكمال المطلقة لغير الله تعالى أصبح هذا شركًا.

ومن خصائصه سبحانه التدبير المطلق والإعانة المطلقة والإعاذة المطلقة وغيرها من لوازم الربوبية، فمن صرف شيئاً منها على إطلاقها لغير الله تعالى فقد أشرك مع الله في ربوبيته.

وكذا محبة العبد التامة مع ذله التام وهي التي تسمى بالعبودية لا يجوز أن تُصرف إلا لله تعالى، فهي من خصائص الله تبارك وتعالى؛ فمن صرفها لغير الله من المخلوقين فقد أشرك مع الله تبارك وتعالى في الألوهية.

بينما النقص والضعف والافتقار والتوالد والفناء والمكافأة والمماثلة من خصائص المخلوقين؛ فمن نسب شيئاً منها لله تعالى فقد أشرك.

❑ **ومن صور وصف الله تعالى بخصائص المخلوقين:**

أن العبد طالب الشفاعة يعتقد في الشافع أنه حرك إرادة الله تعالى وغَيَّرها، فجعله مريدًا للشفاعة قابلاً لها بعد أن لم يكن، كما يعتقد المشركون في آلهتهم وكما يعتقد عباد القبور في أصحاب القبور، بينما الله تعالى هو الذي بيده إرادات العباد بل ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، أو يعتقد في الشفيع أنه جعل الله رحيمًا به بعد أن لم يكن، بينما الأمر كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾، أو يقيس الله تعالى على ملوك الدنيا في الشفاعة فيقول: كما أن لملوك الدنيا وسطاء وحجابًا فكذا الله تعالى؛ فينتقص الله تعالى؛ إذ ملوك الدنيا لا يعلمون حوائج رعيتهم بينما الله تعالى وسع ﴿كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾، وقد يكون ذلك الملك عاجزاً عن قضائها وحده فيعينه الشافع عليها، بينما الله تعالى ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، أو لا يعرف ذلك الملك طريق قضائها فيعرّفه الشافع الطريق، بينما ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ

عِلۡمٗا﴾، أو يقضيها لحاجته إلى الشفعاء وفقره إليهم، بينما الله جل في علاه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾، أو يقضيها لخوفه منهم، بينما الله تعالى ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾، أو يقضيها لهم لما لهم عليه من اليد، أو مكرهاً، بينما الله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾﴾، فيكون باعتقاده في الوسطاء الشفعاء بينه وبين الله وقياسهم على ملوك الدنيا قد جعل للخالق سبحانه شيئاً من خصائص المخلوق.

القاعدة السابعة عشرة

أقسام الشرك

ينقسم الشرك إلى شركين: شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام، وشرك أصغر غير مخرج من ملة الإسلام.

الشرك الأكبر: هو المخرج من الملة، وهو الذي تقدم بيانه أن يجعل شيئًا من خصائص الله تعالى لشيء من المخلوقات، سواء كان من خصائص الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، أو يجعل شيئاً من خصائص المخلوقات لله تعالى.

الشرك الأصغر: لا يخرج من الملة؛ لذا سمي بالأصغر.

وقد أثنى الله تعالى على نبيه وخليله إبراهيم ﷺ ونفى عنه القسمين فقال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ .

﴿كَانَ أُمَّةً﴾: الأمة: هو الإمام الذي يُقتدى به، فقد كان وحده يدعو إلى التوحيد، ولم يكن ثمة أحد على هذا التوحيد إلا هو وزوجه ولوط عليهم السلام أجمعين.

﴿قَانِتًا﴾: القنوت هو دوام الطاعة ودوام العبادة.

﴿حَنِيفًا﴾ : مستقيمًا مخلصًا لله عز وجل.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ : نفى الله عنه أقل أنواع الشرك فقال سبحانه: ﴿لَمْ يَكُ﴾ ، ولم يقل سبحانه: [لم يكن]. فإذا نفى عنه أقله فكيف بأعلى أنواع الشرك؟ فقد برأه الله تعالى من صغير الشرك وكبيره.

القاعدة الثامنة عشرة

الشرك الأصغر: لا يخرج من الملة؛ لذا سمي بالأصغر

مسألة: لماذا سمي شركاً؟

❑ **أولاً**:

إما لأنه وسيلة وذريعة إلى الشرك الأكبر. كما لو تبرك بالأشجار قائلًا: أعلم أن الأمر بيد الله ﷻ ولكن هذه الأشياء جُعِل فيها بركة، ولم يأت بدليل شرعي يصح الاستدلال به، فهذه ذريعة للوقوع في الشرك الأكبر بأن يأتي على الناس زمان يقولون: في هذه الأشجار بركة ذاتية وتأثير ذاتي. ولا يقولون بأن الأمر بيد الله ﷻ، كحال عباد البقر والحجر والشجر، ولعل حديث شجرة ذات أنواط يدل عليه، فعن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن، قلتم -والذي نفسي بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، «لتركبن سنن من كان قبلكم»[1].

(١) أخرجه أحمد (٥/٢١٨) والترمذي (٢١٨٠) وصححه.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «من تعلق تميمة فقد أشرك» أي علق شيئاً متبركاً به ولم يدل عليه دليل شرعي.

ومنه قول النبي ﷺ: «الطيرة شرك» والطيرة هي التشاؤم، فمن غلب على ظنه أنه إذا رأى فلاناً أو بومة فإنه سيستقبله شر أو ضرر ولم يقطع بذلك إنما مجرد ظن غلب عليه فاستجاب لظنه فهو محرم، كما قال معاوية بن الحكم رضي الله عنه للنبي ﷺ: ومنا رجال يتطيرون. قال ﷺ: «ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم»[(١)]، وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «من أرجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»[(٢)]، فإن أرجعته ظاناً وقوع الشر غير مستيقن فهذا شرك أصغر غير مخرج من الملة؛ لأنه ذريعة إلى الشرك، كما بينه الطحاوي[(٣)]، وابن عبد البر[(٤)].

وكذا من غلب على ظنه بأنه سيعدى ويُصاب بالمرض من قِبَل أسباب لم تثبتها الضرورة ولا الشرع، كأن يتشاءم من كل مصاب بمرض ويغلب على ظنه بأنه سيصاب به إذا تعامل معه؛ فيوسوس من كل مرض، فهو سبب محرم وليس شركاً؛ لأنه لم يعتقد فيه اعتقاداً جازمًا في المستقبل وإنما غلب على ظنه بلا سبب صحيح، فهو ذريعة إلى الشرك، ثم سيفتح عليه باباً للشيطان

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٢) رواه ابن وهب (٦٥٦)، وابن السني (٢٩٢).

(٣) شرح مشكل الآثار (٢/ ٢٩٩).

(٤) التمهيد (٩/ ٢٨٥).

يدخل عليه فيه ليدمر حياته بالوساوس.

❏ **ثانياً:**

أو لأنه عمل تميز به المشركون وسمة من سمات الجاهلية، كما قال النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[1]، فجعل النبي ﷺ قتاله كفرًا لأن القتل عند الكفار كان مستشريًا، فيقتل أحدهم الآخر على بردة ليسلبها منه، فكان القتال منتشرًا بينهم ولأتفه الأسباب؛ لذا سماه النبي ﷺ كفرًا.

وهذا معنى الحديث المذكور عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟». قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: «قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله. فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا. فهو مؤمن بالكوكب كافر بي»[2]، هذا من سمات المشركين لا سيما عباد الكواكب والنجوم الذين ينسبون الحوادث إليها، فهذا المنجم أو غيره الذي عزا نزول المطر إلى نزول الكوكب في منزل كذا وأعرض عن شكر الله تعالى قد وقع في محرم واتصف بصفات الكفار؛ فوقع في كفر عملي غير مخرج من الملة.

---

(١) رواه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤).

(٢) رواه البخاري (٤١٤٧)، ومسلم (٧١).

- **ثالثاً:**

ما كان محرماً وهو في صورته يشبه العبادة في وجه من الوجوه، ولكن فاعله لم يقصد به التعبد فوجّهه إلى غير الله تعالى، فهو يشبه الشرك في وجه من الوجوه. كالحلف بالله تعالى فإنه تعظيم لله عز وجل وإظهار العبودية له، بينما الحلف بغير الله في صورته يشبه الحلف بالله، لكن ذكر فيه اسم غير الله تعالى وحرمه الشارع، ففي صورته أنه تعظيم لغير الله تعالى وإظهار العبودية لغيره، ولكن فاعله لم يقصد به التعبد؛ لذا سمي بالأصغر.

لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى**: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾].

قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتِك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **أن رسول الله** صلى الله عليه وسلم **قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.**

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً.

وعن حذيفة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان].

فذكر ابن عباس الحلف بغير الله تعالى «وحياتِك» وسماه شركاً، فهذا شرك أصغر، فالقسم بالحياة بقوله «وحياتي» شرك أصغر.

وجميع هذه المذكورات إذا وجّهت لله تعالى فإنها تعتبر عبادة وتوحيداً، بينما إذا وجّهت لغير الله تعالى فإنها تعتبر شركاً أصغر في بعض حالاتها.

- **شبهة**

روى مسلم أن النبي ﷺ عندما أتاه رجل فقال: أتاني رسولك فأخبرني أن علينا خمس صلوات. فقال له النبي ﷺ في آخر الحديث: «أفلح وأبيه إن صدق». فهذا قسم بغير الله تعالى!.

الجواب

إن جميع الروايات ليس فيها كلمة «وأبيه» إلا هذه الرواية التي رواها إسماعيل بن جعفر، عن أبي سهيل، عن أبيه، عن طلحة بن عبيد الله مرفوعاً، وفيها إسماعيل بن جعفر وقد اضطرب فيه، وروايته هذه شاذة.

أولاً: الاضطراب

اضطرب فيه إسماعيل؛ فتارة يقول «أفلح إن صدق»[1]، وتارة «أفلح والله إن صدق» كما ذكره ابن عبد البر، وتارة قال: «وأبيه»، والرابعة شك فيها حيث قال: «أفلح وأبيه أو دخل الجنة وأبيه»[2]، والخامسة: «أفلح والله إن صدق»، أو «دخل الجنة والله إن صدق»[3].

ثانيًا: الشذوذ

في هذه الرواية خالف إسماعيل بن جعفر في روايته عن أبي سهيل ما رواه مالك عن أبي سهيل عم الإمام مالك وليس فيها «وأبيه» وهي عند مالك[4]. والإمام مالك من شيوخ إسماعيل، وطبقته أعلى من إسماعيل بن جعفر، ثم

(١) كما عند البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).
(٢) التمهيد لابن عبد البر (١٦/ ١٥٨).
(٣) التمهيد (١٤/ ٣٦٧)، ولكنه لم يسندها.
(٤) التمهيد (٦/ ١٥٧-١٥٨) والبخاري (٤٦)

هو أعرف بعمه أبي سهيل من إسماعيل بن جعفر؛ لذا قال القرافي: «لم تصح لأنها ليست في الموطأ»[1]. فهي رواية شاذة.

إضافة إلى أن أنساً رواها وليس فيها «وأبيه»[2]، ورواها أبو هريرة ليس فيها «وأبيه»[3]، ورواها أبو أيوب الأنصاري[4]، ورواها ابن عباس دون «وأبيه»، بلفظ «إن يصدق يدخل الجنة»[5]، وفي رواية: «والذي نفسي بيده لئن صدق ليدخلن الجنة»[6]؛ فزيادة «وأبيه» شاذة لا تصح.

وحكى السهيلي عن بعض مشايخه أنه قال: هذا تصحيف وإنما كان «والله»[7]، فقديمًا لم يكن ثمَّ تنقيط، فصحفت «والله» إلى «وأبيه». فلو أزلت التنقيط والهمزة لوجدتها نفس الكتابة تماما «والله» «وأبيه»؛ لذا فالصحيح: «أفلح إن صدق» كما في رواية البخاري ومسلم.

تنبيه: حديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»، حسنه

(١) انظر فتح الباري (١/ ١٠٨).
(٢) رواه النسائي (٤/ ١٢٢) وابن عبد البر من طريق ابن أبي شيبة (١٦/ ١٧٠).
(٣) رواه أبو عوانة (١/ ٢-٤).
(٤) البخاري (١٣٩٦، ٥٩٨٣).
(٥) ابن عبد البر (١٦/ ١٦٨).
(٦) ابن عبد البر (١٦/ ١٧٢).
(٧) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٠٨).

الترمذي وصححه الحاكم، ولكن فيه ضعف، ولكن يغني عنه قول النبي ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»؛ وقول ابن عباس رضي الله عنهما: «هذا كله به شرك» شاهد في المسألة.

- **حكم التلفظ بـ «لعمري»**

هذا ليس حلفاً بغير الله عز وجل؛ إذ أحرف القسم هي الواو والباء والتاء، تقول: والله، بالله، تالله.

أما لعمري: فهي بمثابة القسم، وليست قسماً، كمن يقول: عليّ الطلاق، أو كمن يقول عن نفسه: أنه يهودي أو نصراني إن لم يفعل كذا. فهذه الألفاظ في حكم القسم. كذلك لعمري؛ إذ اللام ليست من أحرف القسم؛ لذا قال بعضهم: هذه لام توكيد، فهي بمثابة القسم وفي حكم القسم واستعمالها جائز، سواءً لعمري أو لعمرك أو لعمر فلان، وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿لَعَمْرُكَ﴾: أي لحياتك. ومما يدل على الجواز:

الأمر الأول: روى أحمد بسند حسن عن خارجة بن الصلت، عن عمه قال: أقبلنا من عند النبي ﷺ، فأتينا على حي من العرب، فقالوا: نبئنا أنكم جئتم من عند هذا الرجل بخير، فهل عندكم دواء أو رقية؟ فإن عندنا معتوهاً في القيود. فقلنا: نعم. فجاءوا بالمعتوه في القيود، فقرأت بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية، أجمع بزاقي ثم أتفل، قال: فكأنما نشط من عقال. فأعطوني جُعلًا، فقلت: لا، حتى أسأل النبي ﷺ. فسألته فقال:

«كُل، لعمري من أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق».

الأمر الثاني: ما رواه ابن ماجه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «فلعمري ما أتم الله عَزَّ وَجَلَّ حج من لم يطف بين الصفا والمروة».

❑ **رابعاً:**

أو أنه مما يقصد به وجه الله تعالى ولكنه قصد به وجه الناس.

من ذلك الرياء والتسميع، وسيأتي بيان الرياء -إن شاء الله تعالى-، وهو أن يعمل العبد عملاً من أجل أن يراه الناس، فهذا إن كان في المعاملات فليس شركًا إنما أراد مدح الناس وقد نال مراده، أما إذا كان في العبادات بأن صلى نافلة وأراد بها مدح الناس فإن صلاته تبطل، ولا يقال بأنه خرج من الملة.

وقد سماه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شركاً أصغر، فعن محمود بن لَبيد قال: قال رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء، إن الله يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟»[1].

(١) أخرجه أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩).

القاعدة التاسعة عشرة

الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه؛ فحري بالعبد أن يخاف من الوقوع فيه؛ لذا بوب المؤلف [**باب الخوف من الشرك وقول الله** ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ **وقال الخليل** عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ **وفي حديث: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)، فسئل عنه فقال: (الرياء) وعن ابن مسعود** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال: (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)**[1]**، ولمسلم عن جابر** رضي الله عنه**، أن رسول الله** ﷺ **قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»].**

أراد المؤلف -رحمه الله تعالى- أن يبين في قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ أنه إذا مات الإنسان على الشرك فإن الله تعالى لا يغفر له؛ لأن الجنة حرمت على من أشرك بالله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ ، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار» أي خلد في النار .

(١) رواه البخاري (٤٤٩٧).

والند: هو العِدل الذي يعدِل الآخر في قوته ويساويه، تقول: ند البعير. أي أصبحت قوته تعدل قوتك ففرّ منك.

وذكر حديث جابر رضي الله عنه الذي يدل على نفس المقصد: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».

أما قول الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي مَن مات مِن الموحدين على المعصية ولم يتب فإن أمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

وفي الآية رد على الخوارج لأنهم يكفرون صاحب الكبيرة، بينما الله تعالى بيّن في هذه الآية أنه قد يغفر له؛ ومن المعلوم أن الله تعالى لا يغفر للكافر.

وفيها رد على المعتزلة الذين قالوا بأنه ليس بكافر ولا مؤمن ولكنه مخلد في نار جهنم، فبين الله عز وجل أنه قد يغفر له والمغفور له لا يخلد في النار، بل قد يدخله الجنة مباشرة.

ولما كان الله تعالى لا يغفر الشرك كان الخليل إبراهيم عليه السلام يخاف على نفسه بل وعلى بنيه من الشرك، فسأل الله أن يجنبه وبنيه الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ .

وكذا نبينا صلى الله عليه وسلم لحرصه علينا كان يخاف علينا من الوقوع في أصغر

صور الشرك المبطل للعمل فقال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: الرياء .

هذا الحديث رواه أحمد عن محمود بن لبيد قال: قال رسول ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟. قال: «الرياء، إن الله يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟».

القاعدة العشرون

لم يشرع الله الشرك الأكبر قط في شريعة أي نبي من الأنبياء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: دين الأنبياء واحد كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد»، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ قال عامة المفسرين: على ملة واحدة، وعلى دين واحد. . . فكل ما شرع في وقت لا يكون مقصوده شركاً، فإن الله لم يشرع الشرك قط[1]. أهـ .

وقال: لم يشرع الله لنبي من الأنبياء أن يعبد غير الله البتة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾، فأمر الرسل أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ

(١) الرد على الإخنائي (١٦٣).
لفظ البخاري ومسلم: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»، رواه البخاري (٣٤٤٣) ومسلم (١٤٥/٢٣٦٥).

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1].

فلم يشرع الله تعالى السجود الشركي لمخلوق ما، ولا الطواف الشركي ولا النذر الشركي لمخلوق ما في شريعة أي نبي من الأنبياء.

(١) الاقتضاء (٨٣٩)، وانظر: المجموع (٣٥/ ٣٦٤).

القاعدة الحادية والعشرون

الله تعالى لا يمنح أحداً من المخلوقين شيئاً من خصائصه العلية مهما عظم هذا المخلوق سواء كان سيد الملائكة أو سيد البشر

فالله تعالى لا يأذن بالسجود لمخلوق ما سجود عبادة، ولا يأذن بأن يطاف حول قبر أحدٍ من المخلوقين أو بيته عبادة للمخلوق، ولا الحلف به تعبداً أو تألهاً أو تعظيماً يضاهي تعظيم الله تعالى.

لذا فإن ما ثبت في شرعنا أو شرع من قبلنا من الأنبياء من التوجه في السجود نحو مخلوق ما فليس شركاً أكبر فهو إما أن يكون:

١- **استجابة لأمر الله تعالى**؛ فيكون للتبرك كالسجود جهة الكعبة. والمقصود بالتبرك أي جعل الله تعالى في السجود تجاهها أجر كبير. فالسجود جهة الكعبة ليس عبادة لها، وإنما عبادة لله تعالى، أما الكعبة فما هي إلا جهة جعل الله فيها بركة حين نولي وجوهنا شطرها في صلاتنا وسجودنا لله تعالى، وقبلها كان بيت المقدس هو الجهة التي جعل فيه بركة تولية سجود وجوهنا نحوه في عبادتنا لله تعالى، وفي شريعة اليهود كذلك يولون شطر بيت المقدس لا عبادةً للصخرة وإنما عبادة لله.

وبالرغم من ذلك حرمت شريعتنا جعل غير القبلة جهة للسجود تبركاً ولو بقصد التعبد لله تعالى، إلا في أحوال مستثناة كالعجز عن التوجه إلى القبلة أو عدم معرفة جهتها أو للحرج كالتنفل في السفر على الدابة، ومن قصد جهة غير القبلة يتبرك بالدعاء إليها في غير الأحوال المستثناة وليس تعبداً فقد وقع في الشرك الأصغر.

٢- **أو تكريماً للمخلوق؛** إذ أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام تكريماً له، وأذن الله تعالى لنبيه يعقوب عليه السلام وأبنائه بالسجود ليوسف عليه السلام تكريماً له، وهذا لا يقتضي مَنْحَهما شيئاً من خصائص الله سبحانه، وقد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية أن سجود الملائكة لآدم لم يكن سجوداً لله تعالى وآدم قبلة لهم كسجودنا نحو الكعبة، وإنما كان سجود تشريف وتكريم لآدم امتثالاً لأمر الله تعالى[١].

وبالرغم من كون سجود التكريم للمخلوق لا يقتضي منح المخلوق شيئاً من خصائص الله تعالى إلا أنه حرم في شريعتنا سدّاً للذريعة.

وما قيل في السجود يقال كذلك في الطواف، فما شرع من الطواف حول الكعبة ليس عبادة لها وإنما هو عبادة لله تعالى، فالكعبة لم يمنحها الله تعالى شيئاً من خصائصه، إنما الكعبة مركز مبارك أمرنا الله تعالى أن نطوف حوله تعبداً لله تعالى لا لعبادة الكعبة؛ لذا قبَّل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحجر

(١) المجموع (٤/ ٣٥٨-٣٦٠).

الأسود وقال: «أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ قبّلك ما قبّلتك»[1]. وقد حرم في شريعتنا الطواف حول أي شيء آخر غير القبلة تقرباً إلى الله تعالى ولو للتبرك بل هو بدعة، سداً لذريعة الشرك، وأما من طاف حوله تعبداً للمخلوق فهو شرك أكبر.

وما قيل في السجود والطواف يقال كذلك في القَسَم، فقد أقسم الله ببعض المخلوقات في كتابه الكريم: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾، وقول الله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾، وقوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾، فهذا القسم الإلهي بالمخلوقات لا يقتضي منحها شيئاً من خصائص الله تعالى لا في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا صفاته.

وبالرغم من ذلك فقسم المخلوق بمخلوق ما وإن كان لا يقتضي منح المقسم به شيئاً من خصائص الله تعالى إلا أنه حرم في شريعتنا سداً للذريعة؛ لقول النبي ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[2]، فليس من الشرك الأكبر ولكنه جعل في شريعتنا من الشرك الأصغر سداً للذريعة.

أما الحلف بمخلوق تأليهاً له وعبادة أو تعظيماً يضاهي تعظيم الله

---

(١) رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٦٤٦) مسلم (١٦٤٦).

تعالى فهو شرك أكبر.

قالت اللجنة العلمية للإفتاء بالسعودية برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «ولا يجوز الطواف بالقبور بل هو مختص بالكعبة المشرفة، ومن طاف بها يقصد بذلك التقرب إلى أهلها كان ذلك شركاً أكبر، وإن قصد بذلك التقرب إلى الله فهو بدعة منكرة فإن القبور لا يطاف حولها ولا يصلى عندها ولو قصد وجه الله»[١].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم في فتاواه: «وأما الذبح الذي يوجد أثره في داخل الحجرتين فلا يخلو من أمرين: أحدهما أن يكون لله. والثاني: أن يكون لصاحب القبر. فإن كان لله فهو معصية ولا يجوز لأنه وسيلة إلى الذبح لصاحب القبر والوسائل لها حكم الغايات في المنع... وأما إذا كان لصاحب القبر فهو شرك أكبر»[٢].

وفي الصلاة عند القبور قال: «وأما الصلاة فيها فإن كانت لله فلا تجوز لأنها وسيلة إلى الشرك... وإن كانت الصلاة لغير الله فهي شرك أكبر»[٣].

(١) الفتاوى برقم (٩٨٧٩) (١/ ٢٧).
(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٣١).
(٣) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٣٢-١٣٣).

القاعدة الثانية والعشرون

كل ما كان شركاً أكبر لدى نبي من الأنبياء فهو شرك أكبر لدى سائر الأنبياء

قال النبي ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[1]. الإخوة لعلات أي إخوة من الأب وأمهاتهم شتى[2]. ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: دين الأنبياء واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له[4]. وقال: إنما تنوعت الشرائع[5].

وقال: فجميع الرسل متفقون في الدين الجامع في الأصول الاعتقادية والعلمية كالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر، والعملية كالأعمال العامة المذكورة في سورة الأنعام والأعراف وبني إسرائيل[6].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).
(٢) الفتح (٦/ ٤٨٩).
(٣) الفتح (٦/ ٤٨٩).
(٤) الاقتضاء (٨٣٨).
(٥) الاقتضاء (٨٣٨)، وانظر: المجموع (٢٧/ ١٤٩-١٥٠) (٣٥/ ٣٦٤-).
(٦) المجموع (٢٠/ ٦).

فما كان شركاً أكبر في رسالة نبينا محمد ﷺ فهو شرك أكبر لدى سائر الأنبياء، وما لم يكن شركاً أكبر في دين نبي من الأنبياء فيقتضي أن لا يكون شركاً أكبر لدى سائر الأنبياء؛ إذ لو كان شركاً أكبر في دين نبي من الأنبياء لاقتضى أن يكون شركاً أكبر لدى غيره.

فنسبة شيء من خصائص الله تعالى لأي مخلوق هو شرك أكبر لدى سائر الأنبياء، ونسبة شيء من خصائص المخلوق إلى الله تعالى هو شرك أكبر لدى سائر الأنبياء، وتوجيه العبادة لمخلوق هو شرك أكبر لدى سائر الأنبياء، وسجود العبادة لغير الله تعالى شرك أكبر لدى سائر الأنبياء.

فسجود التكريم للمخلوق في شريعة آدم عليه السلام إلى يوسف عليه السلام كان جائزاً كما سجدت الملائكة لآدم عليه السلام وكما سجد يعقوب عليه السلام وإخوة يوسف ليوسف عليه السلام، فهو ليس شركاً أكبر في شريعتهم؛ ومن ذلك يتبين أن سجود التكريم لمخلوق ما ليس شركاً أكبر، ولكن لما تنوعت الشرائع واختلفت اختلف حكم سجود التكريم في الشرائع السماوية، فأتت الشريعة الخاتمة في الرسالة الخاتمة وحرم فيها سجود التكريم لأحد من المخلوقين، فأصبح محرماً ولكن ليس شركاً أكبر، أما سجود العبادة لمخلوق فهو شرك أكبر في جميع شرائع الأنبياء.

ومما يدل عليه أن النسخ لا يصح في التوحيد، قال أبو المظفر

السمعاني: وأما ما لا يجوز أن يكون إلا على وجه واحد مثل التوحيد وصفات الله ﷻ فلا يصح فيها النسخ[١].

قال ابن تيمية: لم يكن أحد من الأنبياء والصالحين عُبِد في حياته بحضرته فإنه كان ينهى من يفعل ما هو دون ذلك من المعاصي فكيف بالشرك؟ كما نهى الذين سجدوا له والذين صلوا خلفه قياماً»[٢].

فجعل السجود للنبي ﷺ تكريماً من المعاصي وليس من الشرك.

وقال الإمام الذهبي: ألا ترى الصحابة من فرط حبهم للنبي ﷺ قالوا: ألا نسجد لك؟ فقال: (لا).

فلو أذن لهم لسجدوا سجود إجلال وتوقير لا سجود عبادة كما قد سجد إخوة يوسف عليه السلام ليوسف... ولا يكفَّر بهذا أصلاً، وإنما يكون عاصياً، فليعرف أن هذا مَنْهيٌّ عنه وكذلك الصلاة إلى القبر[٣].

قال محمد العربي بن التباني رحمه الله: «والسجود للصنم كفر إذا قصد به التقرب إليه؛ إذ هو عبادة لغير الله، وكذا يحكم عليه به عند جهل قصده أو إنكاره؛ لأنه علامة على الكفر، والسجود للتحية معصية فقط في

(١) قواطع الأدلة (٣/ ٨٦).
(٢) الرد على الإخنائي (٤٩٠).
(٣) معجم الشيوخ الكبير (١/ ٤٦).

شرعنا، وقد كان سائغاً في الشرائع السابقة، بدليل سجود يعقوب وبنيه ليوسف عليهم الصلاة والسلام[1] .

قال العلامة السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والحاصل أن السجود لغير الله إما أن يكون على وجه العبادة بدعوى أن المسجود له إلهٌ كالصنم، أوْ لا كالسجود لنحو الوالد والظلمة والمشايخ، فالأول: كفر إجماعاً، والثاني: حرام من الكبائر، وقد يكفر فاعله[2] .

قال العلامة المعلمي اليماني: ليس السجود للمخلوق بأمر واحد، بل بثلاثة أمور:

١- إن أنزل الله به سلطاناً كان إيماناً.
٢- وإن لم ينزل به فإن لم يقصد به التدين [أي التعبد] كان معصية.
٣- وإن قصد به التدين [أي التعبد] كان كذباً على الله تعالى وشركاً[3] .

وقال: ومما يدل على هذه التفرقة ما نقله ابن حجر الهيتمي عن الروضة، ولفظه: وليس من هذا ما يفعله كثيرون من الجهلة الظالمين من السجود بين يدي المشايخ، فإن ذلك حرام قطعاً بكل حال، سواء

---

(١) براءة الأشعريين (١٤٩).

(٢) الذخائر شرح منظومة الكبائر (٣٧٣).

(٣) العبادة (٣٧٤).

أكان للقبلة أو لغيرها، وسواء السجود لله أو غفل، وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر عافانا الله من ذلك. ا.هـ.

وقال: «السجود للعظماء وللأبوين مع علم الساجد بأنه عاص بذلك السجود وأنه لا يفيد رضوان الله تعالى ولا نفعاً غيبياً ليس بشرك»[1].

وقد ورد سجود البهائم للنبي ﷺ من عشرة طرق منها ما رواه أبو نعيم من طريق غيلان بن سلمة الثقفي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فرأينا منه عجباً، جاء رجل فقال: يا رسول الله، إنه كان لي حائط فيه عيش عيالي، ولي فيه ناضحان فحلان قد منعاني أنفسهما وحائطي وما فيه، فلا يقدر أحد أن يدنو منهما، فنهض نبي الله ﷺ حتى أتى الحائط فقال لصاحبه: (افتح)، فقال: أمرهما عظيم. فقال: (افتح)، فلما حرك الباب أقبلا ولهما جلبة -أي صوت ورغاء- فلما انفرج الباب ونظرا إلى رسول الله ﷺ بركا ثم سجدا، فأخذ النبي ﷺ برؤوسهما ثم دفعهما لصاحبهما وقال: (استعملهما وأحسن علفهما)، فقال القوم: تسجد لك البهائم، أفلا تأذن لنا في السجود؟. فقال رسول الله ﷺ: (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)»[2].

---

(١) المرجع السابق (٣٧٢).

(٢) انظر: إرواء العليل (٧/ ٥٤).

وحديث سجود البعير للنبي ﷺ قد ورد من عدة طرق:

١- حديث أبي هريرة: رواه ابن حبان[١] من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وصححه ابن حبان وحسنه الألباني.

٢- حديث ثعلبة بن أبي مالك: رواه أبو نعيم[٢] بسند صحيح عن الليث بن سعد، عن ابن الهاد عنه.

٣- حديث ابن عباس: رواه الطبراني[٣] من طريق أبي عزة الدباغ، عن أبي يزيد المدني، عن عكرمة، عن ابن عباس، وسنده صحيح ورواته ثقات، وأبو عزة هو الحكم بن طهمان وثقة أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وقال ابن معين: صالح. وضعفه ابن حبان، وهو متعنت في الجرح[٤].

٤- حديث أنس: رواه أحمد[٥]، وأبو نعيم[٦] من طريق خلف بن خليفة، عن حفص بن أخي أنس -ابن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة- عن أنس، وقال المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد، رواته

---

(١) (٩/ ٤١٦٢).

(٢) (٢٨٢)

(٣) (١١/ ١٢٠٠٣).

(٤) انظر الجرح لابن أبي حاتم (٣/ ١١٨)، واللسان (٢/ ٣٣٢).

(٥) (٣/ ١٥٨).

(٦) (٢٨٧).

ثقات مشهورون. وأعله الألباني بخلف وقال: شاهد جيد لحديث أبي هريرة[1].

٥- حديث يعلى بن مرة: رواه أبو نعيم[2] من طريق معمر، عن عطاء ابن السائب، عن عبد الله بن حفص، عن يعلى، ورواه أبو نعيم[3] من طريق عمر بن عبد الله بن يعلي بن مرة، عن حُكَيْمَة، عن يعلي.

٦- حديث غيلان بن سلمة: رواه أبو نعيم[4] من طريق معلى بن منصور، ثني شَبِيْبْ بن شيبة، ثنى بشر بن عاصم عنه، وشبيب ليس بالقوي.

٧- حديث جابر: رواه أبو نعيم[5] من طريق مصعب بن سلام، ثنا الأجلح، عن ذيال بن حرملة عنه، وفيه الذيال مستور، ومصعب صدوق يخطئ كثيراً، ورواه[6] من طريق إسماعيل بن عبد الملك، عن أبي الزبير عن جابر، وفيه أبو الزبير مدلس وإسماعيل فيه ضعف.

---

(١) الإرواء (٧/ ٥٥).

(٢) (٢٨٣).

(٣) (٢٨٤)

(٤) (٢٨٥).

(٥) (٢٧٩).

(٦) (٢٨١).

٨- حديث عائشة: رواه أحمد[١]، وأبو نعيم في الدلائل[٢] من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن ابن المسيب عنها، وفيه علي بن زيد بن جُدعان وهو ضعيف.

٩- حديث ابن أبي أوفى: رواه أبو نعيم[٣] من طريق مكي بن إبراهيم، ثنا فائِد أبو الورقاء، عن ابن أبي أوفى، وفائِد ليس بثقة، يروي عن ابن أبي أوفى الأباطيل.

---

(١) (٦/٧٦).

(٢) (٢٧٨)

(٣) (٢٨٦)

القاعدة الثالثة والعشرون

التفريق بين الأحياء والأموات

لا تقاس أحكام الأموات على أحكام الأحياء، وقد فرق بينهم الكتاب والسنة والحس والعقل:

١- قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ﴾ .

٢- وفي كتابه الكريم ذكر الله تعالى الموت ضد الحياة على وجه التقابل ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ .

٣- وكذا النبي ﷺ فرق بينهما فنهى عن اتخاذ القبور مساجد فقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، فنهى عن اتخاذ بيت الميت وهو القبر مسجداً، بينما لم ينه عن اتخاذ بيت الحي مسجداً.

٤- وقال ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر»[١]، ففرّق ﷺ بين بيوت الأحياء وبيوت الأموات، ونهاهم أن يجعلوا بيوت الأحياء كبيوت الأموات.

---

(١) رواه مسلم (٧٨٠).

٥- لذا من مات وفارق الحياة فإن ماله يورث، وزوجته تنكح، ولا يملك شيئاً وتنفسخ ولايته ووكالته.

٦- ومن المعلوم أن من زار الحي حصل له بمشاهدته وسماع كلامه ومخاطبته وسؤاله وجوابه وغير ذلك ما لم يحصل لمن لم يشاهده ولم يسمع كلامه[١].

٧- من زار الحي فإنه يتعلم منه الإسلام والدين وهذا خيرٌ محض[٢].

٨- يمكن للمزور الحي أن ينكر على الزائر إذا وقع في المنكر أو الغلو في المزور، بينما المزور الميت لا يستطيع أن ينكر على الزائر غلوه الذي قد يفضي إلى عبادته وتأليهه ومنحه شيئاً من خصائص الألوهية، وهذا الدليل التاسع؛ لذا قال ابن تيمية: لم يكن أحد من الأنبياء والصالحين عُبِد في حياته بحضرته؛ فإنه كان ينهى من يفعل ما هو دون ذلك من المعاصي فكيف بالشرك؟ كما نهى الذين سجدوا له والذين صلوا خلفه قياماً.

وقال: «إن كدتم أن تفعلوا فعل فارس والروم، فلا تفعلوا»[٣]، وفي المسند بإسناد صحيح عن أنس قال: «ما كان شخص أحب إليهم من

(١) الرد على الإخنائي (٤٨٧).
(٢) انظر: الرد على الإخنائي (٤٨٩).
(٣) رواه مسلم (٤١٣)

رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك»[١]، وفي الصحيح أن جارية قالت عنده: وفينا نبي يعلم ما في غدٍ. فقال ﷺ: (دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين)[٢]، ومثل هذا كثير من نهيه عن المنكر بحضرته، فكل من رآه في حياته لم يتمكن أن يفعل بحضرته منكراً يقر عليه، وأما الذين يزورون القبور فيفعلون عندها من أنواع المنكرات ما لا يضبط[٣].اهـ.

وقال: وفي مسألتهم أنواع من المفاسد: منها إيذاؤهم له بالسؤال، ومنها إفضاء ذلك إلى الشرك، وهذه المفسدة توجد مع الموت دون الحياة، فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته إذ هو ينهى عن ذلك، وأما بعد الموت فهو لا ينهى؛ فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثناً يعبد، ولهذا قال النبي ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً»[٤][٥].

[وذكر قصة قوم نوح الذين عبدوا الصالحين بعد وفاتهم ولعن النبي ﷺ الذين اتخذوا القبور مساجد]. ثم قال: وأما النبي والصالح إذا بنى له مسجداً في حياته يصلى فيه معه فهذا من أفضل الأعمال، فحكم الحياة فارق حكم الممات. اهـ فيفرق بين الحي والميت في الإنكار

(١) مسند أحمد (٣/ ١٣٢، ١٣٤، ١٥١، ٢٥٠).
(٢) رواه البخاري (٤٠٠١).
(٣) الرد على الإخنائي (٤٩٠).
(٤) رواه أحمد (٨٨٠٤) وصححه الألباني.
(٥) الرد على البكري (١/ ٣٤٣-٣٤٥).

على الزائر ومنعه من الوقوع في الشرك والغلو.

لذا من شبه من زار قبر شخص بمن كان يزوره في حياته فهو مصاب في عقله ودينه[١].

لذا قال ابن تيمية: قياس زيارة القبر كزيارته حياً من أفسد القياس[٢].

فلا يجوز أن يستغاث بميت أو غائب لم يتحسسه ولا يستنصره أو يستعيذ به أو يدعوه أو يستشفع به أو يتقرب إليه أو يذبح له أو يطوف بقبره لا تقرباً إليه ولا تقرباً إلى الله تعالى به.

مسألة: إذا جاز الاستغاثة بالمخلوق الحي المحسوس، فلماذا يحرم على الحي أن يستشفع بالغائب والميت قائلاً: «ادعُ لي»؟

١- لأن الدعاء عبادة، والعبادة لا تشرع إلا بدليل من الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾.

٢- ولأن فيه قياس الله تعالى على ملوك الأرض. وقد سبق ما فيه من المفاسد والوجوه الشركية، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن أثبت الأنبياء ومن سواهم من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وبين خلقه

(١) الرد على الإخنائي (٤٩٣).
(٢) الرد على الإخنائي (٤٨٦).

كالحجاّب الذين بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حوائج خلقه، فالله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالبِ للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبّهون لله، شبهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا لله أنداداً[(١)].

٣- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لأن الغائب والميت لا ينهى من يشرك، بل إذا تعلقت القلوب بدعائه وشفاعته أفضى ذلك إلى الشرك به، فدعي وقُصِد مكان قبره أو تمثاله أو غير ذلك مما قد وقع فيه المشركون ومن ضاهاهم من أهل الكتاب ومبتدعة المسلمين... بخلاف ما يطلب من أحدهم في حياته من الدعاء والشفاعة فإنه لا يفضي إلى ذلك؛ فإن أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته بحضرته، فإنه ينهى من يفعل ذلك... فالطلب منهم في حياتهم وحضورهم لا مفسدة فيه، فإنهم ينهون عن الشرك بهم، بل فيه منفعة وهو أنهم يثابون ويؤجرون على ما يفعلونه حينئذ

(١) الواسطة بين الحق والخلق (ص ١٦).

من نفع الخلق كلهم، فإنهم في دار العمل والتكليف[1].

٤- لا فائدة من الطلب من الأموات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا لم يشرع دعاء الملائكة لم يشرع دعاء من مات من الأنبياء والصالحين ولا أن نطلب منهم الدعاء والشفاعة. . . . لأن ما أمرهم الله به من ذلك هم يفعلونه وإن لم يطلب منهم، وما لم يؤمروا به لا يفعلونه ولو طلب منهم، فلا فائدة في الطلب منهم[2].

٥- بل ورد في الكتب السابقة وفي شرائع الأنبياء النهي عن دعاء الأموات؛ إذ ورد في التوراة: إن موسى عليه السلام نهى بني إسرائيل عن دعاء الأموات[3].

لذا يفرق بين الأحياء والأموات في الاستغاثة والاستنصار والاستعاذة والدعاء والشفاعة والتقرب والذبح والطواف.

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٧٩-١٨١).
(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٨٠).
(٣) انظر مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٧).

القاعدة الرابعة والعشرون

الرياء مبطل للعمل

لذا بوب المؤلف [**باب ما جاء في الرياء وقول الله تعالى**: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ **الآية.**

عن أبي هريرة مرفوعاً: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي، فيزيّن صلاته، لما يرى من نظر رجل». رواه أحمد]

الرياء: أن يعمل العبد عملاً من أجل أن يراه الناس فيمدحوه ويثنوا عليه ويحصل على رضاهم، فإذا كان في المعاملات فليس شركًا، إنما أراد مدح الناس وقد نال مراده، وإذا كان في العبادات بأن صلى نافلة وأراد بها مدح الناس فإن صلاته تبطل ويسمى شركاً أصغر؛ وكذا يقال في الصدقة والحج والصيام، ولا يقال بأنه خرج من الملة.

وقد سماه النبي ﷺ شركاً أصغر، إذ ورد عن محمود بن لبيد أنه قال: قال رسول ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا

رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء، يقول الله ﷻ لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟»[(١)].

فعلى المسلم أن يخلص لله تبارك وتعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ ، فالرياء مبطل للعمل؛ لذا ورد في الحديث المذكور: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

أما من كان قصده الدنيا ومتاعها، يوالي عليها ويعادي عليها، ويحرم لأجلها ويستحل لأجلها فهذا شرك بالله تعالى.

لذا بوب المؤلف [باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ **الآيتين.**

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة،

(١) رواه أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩).

إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»].

«**عبد الدينار**»: أي قلبه متعلق بالدينار، يوالي عليه ويعادي عليه ويستحل لأجله ويحرم لأجله ويرضى لأجله ويسخط لأجله.

«**الخميصة**»: ثوب خز.

«**الخميلة**»: المخمل.

«**انتكس**»: انقلب.

«**إذا شيك**»: إذا دخل فيه الشوك.

«**فلا انتقش**»: لا أعانه الله تعالى على إزالة الشوك.

أما حديث «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله؛ أشعث رأسه؛ مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»: أي يرضى بما قسم الله تعالى له، ويرجو وجه الله تعالى حتى لو جعل في مؤخرة الجيش لم يتأفف.

وهذا الباب فيه مسائل:

(١) ما حكم العمل الذي اقترن به الرياء؟

فيه تفصيل:

أولاً: إذا قصد بكل العمل مراءاة الناس فالعمل باطل. كمن صلى لا لشيء إلا ليحصل على مدح الناس له والثناء عليه، وكمن صام لأجل ذلك.

ثانياً: الجزء من عمله الذي يرائي فيه هو الذي يَبْطُل. فإذا راءى في ركن بطل الركن، وإذا بطل الركن بطل العمل، وإذا راءى في واجب بطل الواجب، وإذا انتفى الواجب بطل العمل، وإذا راءى في المستحب لا في العمل كله بطل المستحب من العمل وبقي العمل؛ لأن العمل لا يبطل بانتفاء المستحب.

فالذي يصلي من أجل الناس ابتداء تبطل صلاته كلها، والذي قام الليل لوجه الله تعالى لكنه أطال السجود رياء بطلت الإطالة في السجود، ولكن الإطالة مستحبة؛ فتصح الصلاة ويبطل أجر الإطالة في السجود، ومن صلى لله تعالى ولكن حسّن صوته بالقراءة من أجل الفوز بثناء الناس بطل تحسين الصوت وصح العمل؛ لأن تحسين الصوت ليس من واجبات الصلاة.

أما الذي ذكر عمله للناس بعد الانتهاء منه وقال: أنا فعلت من الطاعات كذا وكذا للفوز بثناء الناس أو لمنفعة دنيوية فإنه يسمى تسميعًا، كمن يقيم الليل ويتهجد ثم يتحدث عن صلاته ويقول: أنا فعلت كذا وكذا. فهذا التسميع يبطل العمل، ولكن هل يبطل جميع العمل أو بعضه؟ روى البخاري عن النبي ﷺ: «**من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**»[1].

(٢) الفرح عند المدح على العمل

الفرح بأداء العمل وكذا الفرح بالمدح عليه وثناء الناس بعد الانتهاء من العمل وأثناءه دون طلبه منهم لا ينقص من العمل، وقد قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»[2]، فالنبي ﷺ يحث على العمل ويبين أن لا حرج على العامل بثناء الناس عليه بل له مكانة عند الله ﷻ؟؛ لذا عجل الله له البشارة على عمل الخير.

(٣) الزيادة في العمل عند تواجد الناس

عندما يكون الرجل مع إخوانه في الله فإنه يقوم الليل معهم ويصوم

(١) رواه البخاري (٦٤٩٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٢).

معهم، وإذا كان وحده لم يصم النافلة ولم يقم الليل، فهذا ليس رياء، بل هذا يدخل في حديث النبي ﷺ «ساعة وساعة »، كما قال حنظلة الأُسيدي: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟. قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله! ما تقول؟. قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟»، قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» ثلاث مرار[1].

وهذا شيء معتاد، فعندما يكون الإنسان وحده يصيبه الكسل والخمول، وعندما يكون مع الإخوة ينشط؛ إذ الصاحب ساحب، وهذه هي فائدة الأخوة في الله عز وجل أن تتخذ أخًا يعينك على الطاعة؛

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠).

لذا قال رسول الله ﷺ: «**ما من ثلاثة في قريةٍ ولا بدوٍ لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية**»[1]؛ فعليك أن تكثر من مجالسة الإخوان لتكثر أعمالك الصالحة.

(٤) الجمع في العمل بين إرادة وجه الله تعالى والمصلحة الدنيوية

حينما يقصد المسلم بعمله مصلحة دنيوية مع إرادة وجه الله تعالى ولم يقصد ثناء الناس فإن هذا لا يدخل في باب الرياء، فالشرع أباح ذلك، بل إن الدين قد وصى بمثل هذه الأمور ليشجع العبد على أداء الطاعات والزيادة في القربات والعبادات ولتعلو همته لفعلها، فقد قال نوح عليه السلام لقومه آمراً لهم بالاستغفار: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾، فرغبهم في الاستغفار وجعله طريقاً لتحصيل المصالح الدنيوية الكثيرة.

الحج

قال الله تعالى في الحج: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ

(١) رواه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧).

وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾، وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إباحة قصد التجارة مع قصد الحج، فأراد وجه الله تعالى وتحصيل المصلحة الدنيوية.

الصيام

قال النبي ﷺ مبينًا وسيلة تخفيف شهوة النساء بالصيام: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[١]، فرغبهم في الصوم وجعله طريقاً لتخفيف حدة الشهوة، فأراد وجه الله وتحصيل العفة وتخفيف حدة الشهوة.

الجهاد

رغب النبي ﷺ في الجهاد عن طريق تحصيل الغنيمة، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بعث إليّ رسول الله ﷺ: «**أن خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني**». فأخذت علي ثيابي وسلاحي ثم أتيته، فوجدته قاعداً يتوضأ، فصعد فيَّ النظر ثم طأطأ ثم قال: «**يا عمرو، إني أريد**

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (٣٣٩٨).

أن أبعثك على جيش يغنمك الله ويسلمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة»، فقلت: يا رسول الله، لم أسلم للمال، إنما أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون معك. قال: «يا عمرو، نعمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح»[1]، فقدم النبي ﷺ الغنيمة على السلامة، وجعل تحصيل الغنيمة بالجهاد وسيلة للدعوة إلى الجهاد، فأراد وجه الله وتحصيل المصلحة الدنيوية.

قراءة القرآن

عن أبي سعيد رضي الله عنه أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ

(١) رواه أحمد (٤/ ١٩٧، ٢٠٢)، وصححه ابن حبان (٣٢١١)، والحاكم (٢/ ٢، ٢٣٦).

جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ**»[1].

فقرأ الصحابي الراقي رضي الله عنه القرآن على الرجل لوجه الله تعالى بشرط أخذ الأجرة على القراءة، فأراد وجه الله وتحصيل المصلحة الدنيوية فأقرهم النبي ﷺ.

النكاح

لا حرج على من جعل تعليم القرآن مهراً للزوجة، فهذا تعليم للقرآن لمصلحة الزواج؛ إذ جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: جئت أهب نفسي. فقامت طويلًا، فنظر وصوّب، فلما طال مقامها قال رجل: زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة. قال: «عندك شيء تصدقها؟» قال: لا. قال: «انظر»، فذهب ثم رجع فقال: والله إن وجدت شيئًا. قال: «اذهب فالتمس ولو خاتمًا من حديد». فذهب ثم رجع قال: لا والله ولا خاتمًا من حديد. وعليه إزار ما عليه رداء، فقال: أصدقها إزاري. فقال النبي ﷺ: «**إزارك إن لبسَتْه لم يكن عليك منه شيء، وإن لبسْتَه لم يكن عليها منه**

(١) رواه البخاري (٥٧٤٩).

شيء». فتنحى الرجل فجلس، فرآه النبيﷺ موليًا، فأمر به فدعي، فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: سورة كذا وكذا، لسور عددها. قال: «قد ملكتكها بما معك من القرآن»[1]. فأراد بتعليمها القرآن وجه الله تعالى وتحصيل المصلحة الدنيوية وهو أن يكون مهراً لنكاحها.

إطالة السجود في الصلاة لغير مصلحة الصلاة

روى النسائي عن شداد رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنًا أو حسينًا، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ أو أنه يوحى إليك. قال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»، فأراد النبي ﷺ بإطالة سجوده وجه الله تعالى واستمتاع حفيده بذلك.

الدعاء

الدعاء عبادة، وعندما تحتاج إلى شيء تسأل الله تبارك وتعالى أن يعطيك إياه حتى وإن كان أمرا دنيوياً، وحينئذ فقد فعلت عبادة الدعاء

(١) رواه البخاري (٥٠٣٠).

لتحصل مصلحة دنيوية.

وكذا أمرنا الله ﷻ بالطاعات وفعل المأمورات وترك المنهيات من أجل الحصول على المتع الحسية في الجنة؛ ولذا رغبنا فيها وبيَّن لنا وصفها وبيَّن أن فيها رؤية الله ﷻ، فأمرنا بالطاعة ورغبنا فيها عن طريق وعدنا بالفوز بالمتعة الجسدية المادية الدائمة في الجنة وتحقيق شهواتنا.

وكذا مدرسو التربية الاسلامية وأساتذة كلية الشريعة وأئمة المساجد والمؤذنون يأخذون أجرة على فعلهم لهذه الطاعات والقربات، فلو أغلق هذا الباب لتعطلت هذه الأعمال.

وعليه لا مانع من الصوم من أجل العبادة ومن أجل تخفيف الوزن، وكذلك لا مانع من الوضوء للصلاة وللتبرد، وهو قول جماعة من العلماء كالعز بن عبد السلام، وابن رجب الحنبلي، وابن العربي، والقرافي، والسعدي، وابن عثيمين، وعمر الأشقر.

فلا يزال العبد كذلك حتى يحب الطاعة، ثم يرتقي إلى مرتبة أعلى من ذلك حتى يفعل ذلك محبة لله ﷻ دون مصلحة دنيوية.

وقد فصل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]، وملخصه ما يلي:

---

(١) الدرء (٦/ ٧٣- ٧٦)، والمجموع (١٠/ ٨٣- ٨٤).

١- النفوس تحب اللذة بالأكل والشرب والنكاح؛ فتشتغل بالمحبوب الأدنى من الأكل والشراب والنكاح لقوة حاجتها العاجلة إليه، كالجائع شديد الجوع يشتغل بألم جوعه عن لذة المناجاة.

٢- إن من النعيم ما له نظير عند المخاطبين والمكلفين؛ فإذا ذكر اشتاقوا إليه، ومنه ما ليس له نظير عندهم، من ذلك الشعور بمحبة الله تعالى.

فأغلب الناس لا يعرفون من حبهم الله تعالى إلا الشهوات، واستحضارهم للشهوات أوضح وأظهر من معرفتهم واستحضارهم لمحبة الله والنظر إليه، فوجود المحبة في قلوبهم غير الشعور بها واستحضارها ومعرفتها، فوجود الشيء غير الشعور به، فذكر الله تعالى في كتابه جزاء العمل الصالح من اللذات الظاهرة والشهوات ما تشتاق إليه النفوس لينالوا بعد ذلك اللذة العليا وهي التلذذ بمحبة الله تعالى.

فإن ما يرجوه الإنسان من الأكل والشرب والنكاح وما يخافه من العقاب باعث له على العمل، فإذا ذاق حلاوة الإيمان وطعم العبادة كان الله أحب إليه من كل شيء.

وتفصيل ذلك: أن الله تعالى أخبرهم في كتابه الكريم عن الجنة بما له نظير عندهم من الملذات والشهوات من الطعام والشراب والنساء وغيرها من الملذات التي تشتاق إليها النفوس؛ ليتحصل بشوقهم ورغبتهم في

شهواتهم الاستجابة لله تعالى فيما أمرهم به فيكون باعثاً لهم على العبادة والعمل، فإذا فعلوا ذلك نالوا ما لم يخطر في قلوبهم وما ليس له نظير عندهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ فيتذوقوا حينئذ حلاوة الإيمان وطعم العبادة، فينالوا بعد ذلك اللذة العليا وهي التلذذ بمحبة الله تعالى، فإذا ذاقوها كان الله أحب إليهم من كل شيء.

٣- إن العبد قد يعرض له هوى في معصية يحبها، فدواعي الشهوة لديه توجب تقديمها، مع علمه بما يفوته بذلك ما هو أفضل، فإذا حصل له ترهيب يصده عن ذلك، أو رغبة ترغبه فيما ترغب فيه نفسه حتى يترك ذاك كان هذا دواءً نافعاً له يشتاق به إلى المحبوب الأعلى.

فإذا استقاموا على طريق الله تعالى وعبادته لرغبتهم بالشهوات المذكورة؛ وخَوَّفهم من العقوبة على المعصية حصل لهم بعد ذلك حلاوة المعرفة والعبادة ما هو أعظم من ذلك، كمن أسلم رغبة في الدنيا فلم تغرب الشمس إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس.

وكمن دخل في العلم والدين رغبة في المال والجاه أو رهبة من عزل أو عقوبة، فلما ذاق حلاوة الإيمان والعلم كان أحب إليه مما طلعت عليه الشمس، هذا في الدنيا فما الظن بما في الآخرة؟، وإذا كشف الحجاب

في الآخرة فنظروا إلى الله تعالى كان أحب إليهم من جميع ما أعطاهم، كما قال تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

وملخص ذلك أنه تحصل الرغبة والرهبة بالمحبوب الأدنى والمرهوب الأدنى ويقوده ذلك إلى المحبوب الأعلى.

أما ما ذكر المؤلف في باب قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ فهذا الذي لا يريد وجه الله تعالى في أي أمر من الأمور ولا يخلص في عبادة الله تعالى، بل يعبد الحياة الدنيا وزينتها ويريد فقط تحصيل المصلحة الدنيوية.

(٥) دعاء الله تعالى بأن يجعل له مكانة في قلوب العباد ليس من الرياء

قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ قال ابن كثير: «أي الثناء الحسن والذكر الجميل». فدعاء الله تعالى بإلقاء محبتك في قلوب الخلق والفوز بثنائهم الحسن والذكر الجميل هي دعوة الخليل عليه السلام، وليس فيه رياء لأنك سألت الله عز وجل ذلك ولم تسأل الناس، وطلبك

من الله تعالى عبادة، لكن لا تذهب إلى الناس لتسألهم الثناء الحسن والذكر الجميل بعملك الصالح فقد قال تعالى: ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (٢٠١) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٢٠٢)﴾

❊ ❊ ❊

القاعدة الخامسة والعشرون

الأعمال ثلاثة أقسام

أولاً: العمل التعبدي

١- الأعمال التعبدية التي ثبتت بالشرع لا يجوز أن يتقرب بها إلى غير الله تعالى، ولا يجوز أن توجه إلا لله تعالى، ولا يجوز أن يقصد بها إلا وجه الله تعالى، كمن يسجد لله ويذبح لله وينذر لله ويحج إلى بيت الله تعالى.

٢- فإذا تقرب بها إلى غير الله تعالى ذلاً وحبًّاً فهذا شرك، كمن سجد لمخلوق تقرباً ذلاً وحبّاً أو نذر أو وقف أوقافًا له أو حج إلى قبره تقرباً، فهذا شرك مخرج من الملة.

٣- أما إذا أظهر أنه قصد وجه الله تعالى في العمل التعبدي بينما قصد وجه الناس فهذا هو الرياء؛ إذ قصد الحصول على حظه من ثناء الخلق، وعمله باطل محرم.

٤- إذا عَبَد الله تعالى بعمل لم يثبت شرعًا فهو بدعة محرم، كمن تمسح بقبر تقرباً إلى الله متبركاً بهذا القبر وليس متقرباً إلى صاحب القبر، أو طاف به تبركاً متقرباً إلى الله قياساً على الطواف بالكعبة تقرباً إلى الله

تعالى، فهذا محرم.

ثانياً: عمل له وجه غير تعبدي لم يحظره الشارع

إذا كان العمل له وجه تعبدي ووجه آخر غير تعبدي فجاء به على وجه غير تعبدي لم يحظره الشارع دخل في باب المعاملات: كأن يقصد به عملاً دنيوياً أباحه الشارع أو شرعه، كمن ذبح بقصد أكل اللحم، أو أهدى هدية ليتحبب بها إلى محبوب، أو ذبح عند قدوم كريم عدة ذبائح لكرامته فيطعمها ولا يتركها بلا انتفاع، أو طاف ببيت زوجته التي هجرته ينتظر خروجها ليحظى بالنظر إليها، فهذا جائز ما بين مشروع ومباح.

ثالثاً: عمل له وجه غير تعبدي محظور شرعاً

إذا كان العمل له وجه تعبدي ووجه آخر غير تعبدي حظره الشارع فجاء به لا متقرباً متذللاً إلى المخلوق وقصد بما لم يَرِد في الشرع جوازه فهو محرم، كمن سجد سجود تكريم لمحبوب فهذا كان مباحًا في الشرائع السابقة كسجود الملائكة لآدم عليه السلام وسجود يعقوب عليه السلام وأبنائه ليوسف عليه السلام، ولكن حرمه الله تعالى في شريعتنا، أو ذبح لرجل كريم من الأحياء كرامة وتركها ولم يحرص على الانتفاع بها وقصد بذلك نهر الدماء ولم يقصد التذلل له ولا التعبد فهذا محرم وفاعله ملعون؛ لقول النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله».

وصور هذه القاعدة متعلقة بتوحيد الألوهية الذي هو كمال الحب مع كمال الذل.

❑ الصورة الأولى: الذبح

لذا بوب المؤلف: [**باب ما جاء في الذبح لغير الله وقول الله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ **الآية، وقوله:** ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾.

عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة» رواه أحمد].

﴿وَنُسُكِي﴾ النسك هو الذبح.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ أي لله وحده

«لعن الله من لعن والديه» : كيف يلعن الرجل والديه؟ أن يلعن والدي الطرف الآخر، فيلعن الطرف الآخر والدي الطرف الأول، فكأنه هو الذي لعن والدي نفسه، فكان الأول هو المتسبب والمحرض الذي حرض الطرف الثاني على لعن والدي الطرف الأول، وهذا مطرود من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ.

«لعن الله من آوى محدثاً» : ما المراد بالمحدِث؟

أولاً: من أحدث بدعة، وقد تكون عقدية أو عملية.

ثانياً: صاحب الجريمة الذي ارتكب جريمة كبيرة.

«لعن الله من غير منار الأرض» : المنار: هو العلامات الإرشادية التي تعين المسافر، كأن تكون علامة في الطريق تشير إلى مكة فيجعلها على الطريق المؤدي إلى الرياض، فيجعل هذا مكان هذا وهذا مكان هذا، وهذا مطرود من رحمة الله تعالى لأنه يضر الناس ضرراً بالغاً.

١ – فالذبح لله تعالى توحيد وهو مطلوب، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾، وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، بل أعظم القربات المالية إلى الله تعالى هو الذبح تعبداً لله تعالى.

٢ – ومن ذبح لغير الله تعالى تعبداً لا ذبح الكرم والجود كمن يذبح لقبر أو وثن كما تفعله العرب في الجاهلية يجعلونه للآلهة فكانت لا تمس مطلقًا إلى

أن تموت ولا ينتفع بها أبداً، أو يذبحونها تقربًا للآلهة ويتركونها، فهذا الفعل يفعلونه تقرباً لآلهتهم لكمال حبهم لها مع كمال الذل، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾، ويشمله حديث النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»؛ فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

٣- ومن ذبح مظهرًا أنه يتقرب إلى الله تعالى ولكنه قصد ثناء الناس فهذا من الرياء المبطل للعمل.

٤- ومن ذبح لإنسان كريم حي ضيافة وكرامة فذبح عشرين ناقة إكرامًا له لكرامته عليه أو لشرفه ثم طهاه ودعا الغني والفقير ووزعه فهذا لا بأس به، بل هو مندوب شرعًا لاسيما إذا كان الذبح للضيف تقربًا إلى الله عز وجل.

٥- ومن ذبح لحي كريم لكرامته لا تعبداً ولا ذلاً فأراق الدماء وتركها ولم يحرص على أن ينتفع بها أحد فهو ملعون، كما في الحديث «لعن الله من ذبح لغير الله».

❑ **الصورة الثانية: التقرب بصدقة أو قربة**

١- فمن تقرب إلى الله تعالى بصدقة أو عمل صحيح فهذا توحيد.

٢- ومن تقرب إلى وثن أو قبر بشيء من ذلك فهو شرك مخرج من الملة.

لذا أورد المؤلف حديث طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقرب قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله ﷻ، فضربوا عنقه فدخل الجنة».

وهذا الحديث فيه كلام:

أولاً: من جهة السند. فالصحيح أنه موقوف من كلام سلمان - رضي الله عنه - وأرضاه[1].

ثانياً: من جهة المتن. قالوا: هذا مكره، فكيف يدخل النار وهو مكره مضطر والله تعالى قال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ ؟ فقال بعضهم: إن المكره ليس له مخرج في الشرائع السابقة حتى لو قتل. وقال البعض: بل هذا غير ممنوع منه في الشرائع السابقة. وقيل: ليس في الحديث أنهم أجبروه، بل طلبوا منه التقرب فقرب مباشرة إذ لم يجد حرجاً من التقرب إلى غير الله ﷻ، بينما المكره غير مؤاخذ. فإن صح الحديث فالمعنى أنه تقرب طواعية.

---

(١) رواه أحمد في الزهد (١٥-١٦)، ورواه ابن أبي شيبة (٣٥٨/١١) ح (٣٣٥٨٣)، وأبو نعيم (٢٠٣/١).

٣- ومن تقرب بصدقة مظهرًا أنها لوجه الله تعالى بينما قصد وجه الناس فهذا من الرياء.

٤- ومن تقرب إلى حي بعطاء توددًا لا تعبدًا ولا ذلاً فهذا مندوب شرعاً كما قال النبي: «تهادوا تحابوا».

٥- ومن تقرب إلى حي بعطاء لا ينتفع به وتركه فهذا تبذير وإفساد للأموال وهو محرم، كمن يأتي ببعض الحلوى ويلقيها على ابنه أو على من يحب ولا ينتفع بها أحد.

❑ الصورة الثالثة: النذر

ما هو تعريف النذر؟ وما الفرق بينه وبين إلزام النفس لمخلوق بعطاء أو عمل؟

النذر لغة: إخبار فيه تخويف[١].

اصطلاحاً: أن يوجب شخص على نفسه قربة تعبداً وتعظيما وتقرباً[٢].

فالنذر من العبادات التي لا يجوز أن توجه إلا لله تعالى.

---

(١) المفردات (٤٨٧)، والصحاح (١٠٣٢)، والنهاية (٨٩٤).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (٢٣٦)، وأنيس الفقهاء للقونوي (٣٠١)، والمفردات (٤٨٧)، والنهاية (٨٩٤)، واللسان (٣/ ٦١٢)، ومواهب الجليل (٤/ ٤٨٩)، وحاشية الدسوقي (٢/ ١٦١)، والموسوعة الفقهية (٤٠/ ١٣٦).

كانت العرب تنذر لغير الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦﴾.

فمن تقرب بالنذر إلى غير الله تعالى فقد أشرك.

لذا بوب المؤلف: [**باب من الشرك النذر لغير الله وقول الله تعالى**: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ **وقوله**: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾.

وفي الصحيح عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»].

فيطبق التقسيم المذكور في القاعدة على هذه الصورة

١- **من ألزم نفسه بالتقرب إلى الله** ﷻ بالنذر فليفعل، ومن نذر أن يعصه فلا يفعل. فمن نذر أن يصوم في الشمس قائمًا فليصم ولكن ليجلس وليستظل ولا كفارة عليه، أما ما ورد أنه إذا لم يفِ بنذر المعصية وجبت عليه كفارة يمين فرواية لا تصح.

٢- وإن قصد به غير الله تعالى فهو شرك.

٣- وإن أظهر أنه قصد به وجه الله تعالى بينما قصد وجه الناس فهذا رياء مبطل للعمل.

٤- وإن أوجب على نفسه عطية لفلان لا تعبداً فهذا مباح.

٥- وإن أوجب على نفسه عطية لفلان لا تعبداً ويعلم أن الطرف الآخر سيلقيها ولا ينتفع بها فهذا محرم؛ لأنه تبذير وقد حرم الله التبذير، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ .

تنبيه: حديث: «لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين» الحديث صحيح بدون زيادة: «كفارته كفارة يمين»فهي زيادة لا تصح، وإليك البيان:

روى البخاري عن طلحة عن القاسم عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

أما زيادة: «وكفارته كفارة يمين» فلم يروها البخاري:

١- وإنما زادها عبد الرحمن بن مجبر (وليس عبد الله بن محيريز) عند الطحاوي[(١)]؛ إذ قال حفص بن غياث في مجلس عبيد الله بن عمر: سمعت ابن مجبر ذكره عن القاسم عن عائشة عن النبي ﷺ بمثله، وقال فيه: «يكفر عن يمينه».

(١) مشكل الآثار (٤/ ١٧١/ ١٥١٤) (٥/ ٣٩٤/ ٢١٤٤).

فابن مجبر خالف عبيد الله بن عمر ومالكاً اللذين روياه عن طلحة بن عبد الملك دون هذه الزيادة[١].

وابن مجبر لم يوثقه إلا واحد، بينما طلحة بن عبد الملك وثقة مجموعة من الجهابذة؛ فرواية طلحة أصح لأنه أوثق، ورواية ابن مجبر منكرة.

ثم لم يصرح ابن مجبر برفع هذه الزيادة عن رسول الله ﷺ وإنما قال فيه: «يكفر عن يمينه»، هل من قوله؟ أم قول أم المؤمنين عائشة؟ أم قول النبي ﷺ؟؛ لذا قال ابن القطان: عندي شك في رفع هذه الزيادة[٢]. ورجح بأنها من قول القاسم بن محمد[٣].

وقال ابن عبد البر: حديث منكر عند جماعة من أهل العلم[٤].

٢- وله طريق آخر عن عائشة رضي الله عنها وفيه سليمان بن أرقم «متروك».

٣- أما حديث عمران رضي الله عنه بلفظ: «لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين» فقد رواه محمد بن الزبير الحنظلي عن أبيه عن عمران. ومحمد بن

(١) الطحاوي (٤/ ١٧٠-١٧١) (٥/ ١٩٤-١٩٥).
(٢) (التلخيص ٤/ ١٧٥)، بيان الوهم والإيهام (٢/ ٢٨٨ - ٢٨٩).
(٣) بيان الوهم والإبهام (٢/ ٢٨٨ - ٢٨٩).
(٤) التمهيد (٢/ ٦١- ٦٢) (٦/ ٩٦).

الزبير «متروك»، وذكروا هذا الحديث من مناكيره، وقال ابن عبد البر: لا يصح[1]. وضعفه النسائي.

٤- أما حديث ابن عباس: النذر نذران، فما كان لله فكفارته الوفاء، وما كان للشيطان فلا وفاء فيه، وعليه كفارة يمين.

فقد ضعفه البيهقي مرفوعاً[2]، ورواه وكيع موقوفاً على ابن عباس وهو الأصح، بينما خالفه طلحة بن يحيى فرواه مرفوعاً، وقد رجح الألباني وقفه[3].

ورواه البيهقي من طريق محمد بن موسى بن أعين ثنا خطاب عن عبد الكريم الجزري عن عطاء عن ابن عباس[4]. وفيه ثلاث علل:

الأولى: خطاب بن القاسم فيه ضعف. وثقه ابن معين، ووثقه أبو زرعة في رواية، وقال عنه: منكر الحديث في رواية أخرى، وقال عنه أبو حاتم: يُكتب حديثه. وقال النسائي: لا علم لي به. وقال عنه أبو زرعة: يقال إنه اختلط.

والثانية: محمد بن موسى بن أعين لم يوثقه أحد.

(١) التمهيد (٦/ ٩٦).

(٢) سنن البيهقي (١٠/ ٧٢).

(٣) انظر: الإرواء (٨/ ٢١٠-٢١١).

(٤) سنن البيهقي (١٠/ ٧٢).

الثالثة: رواية عبدالكريم، عن عطاء، قال ابن معين: حديث عبدالكريم عن عطاء رديء.

فالصحيح أنه موقوف عليه.

٥- ورد من قول ابن عباس ﵄ وقد سبق بيان صحته موقوفاً.

فقوله يخالف الحديث حيث نفى النبي ﷺ أن يطلق عليه نذر: «لا نذر في معصية»، وكذا لم يأمر ﷺ بالكفارة في نفس الحديث وإنما أبطله ﷺ، ولم يأمر أبا اسرائيل بالكفارة، ومما يؤكد أنه لا يعتبر نذراً قاعدة: «التحريم يقتضي الفساد والبطلان».

القاعدة السادسة والعشرون

قاعدة سد الذرائع

وهي منع الوسائل الجائزة والمشروعة، والتي غالبًا ما تُفضي إلى مفسدة مظنونة ظنًا غالبًا، سواء كانت تلك المفسدة مكروهة أم محظورة، والتي تساوي مصلحة فعل هذه الوسيلة أو تزيد.

الجائزة: تشمل المباحة والمكروهة.

والمشروعة: تشمل المستحبة والواجبة، فخرجت المحرمة لأنها ممنوعة أصلاً.

غالباً ما تفضي إلى مفسدة: خرجت الوسائل التي تُفضي أحياناً قليلة إلى مفسدة، كقيادة السيارات أحياناً تُفضي إلى حوادث، وركوب الطائرة أحياناً يُفضي إلى حوادث، وكذلك ركوب الخيل والإبل، ولكن نسبتها نادرة إذا ما قورنت بعدد الرحلات التي تقوم بها السيارة والطائرة والخيل والإبل.

بينما النظر إلى النساء الشابات غالباً ما يؤدي إلى إثارة الشهوة، وكذلك كشف المرأة لشعرها وجِيدها يثير الشهوة، فهي وسيلة غالباً ما

تؤدي إلى مفسدة.

مفسدة مظنونة ظناً غالباً: خرج بذلك من ظن حدوث مفسدة ولكن نسبة الظن قليلة، كمن يظن ظناً مرجوحاً أنه لو اشترى سيارة فإنه سينشغل بها ولكنه احتمال ضئيل عنده فلا تدخل في قاعدة سد الذرائع.

المفسدة المظنونة مكروهة أم محظورة: لا يلزم أن تكون المفسدة المظنونة محرمة، فقد تكون مكروهة كالجلوس في مجالس القيل والقال، فيغلب على ظنه أنه لو حضر مجلساً معيناً فإنه سيسود فيه القيل والقال.

والتي تساوي مصلحة فعل هذه الوسيلة أو تزيد: خرجت المفسدة التي تقل عن مصلحة فعل الوسيلة، كتعدد الزوجات فيه مفسدة للزوجين ولكن المصلحة المترتبة من تكثير النسل وتكثير أمة النبي ﷺ وتعفيف النساء لاسيما العوانس والأرامل والمطلقات مع زيادة عددهن على عدد الرجال فيه مصلحة كبيرة.

وكذا الإكثار من النسل ولو بزوجة واحدة فيه مفسدة التعب في التربية والمتابعة والنفقة والغَيرة بين الأولاد ولكن المصلحة المترتبة أكبر.

❑ **من صور القاعدة:**

❑ **الصورة الأولى**

عدم جواز الذبح المباح تقرباً إلى الله وحده في أماكن تقام فيها شعائر الكفر والشرك سداً للذريعة. لذا بوب المؤلف [**باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله» وقول الله تعالى ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾**

عن ثابت بن الضحاك ﷺ، قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأله النبي ﷺ فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد»؟ قالوا: لا. قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم»؟ قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما].

«**العيد**»: هو احتفال عامٌّ على مستوى الأمة في مكان ما أو زمان ما، يجتمعون فيه دوريا إما سنويًا أو فصليًا أو شهريًا؛ لذا يشترط في تسميته عيداً شروط ثلاثة:

١- أن يكون فيه احتفال: يحتفى فيه بالهدايا أو بلباس جديد أو مميز.

٢- عام: على مستوى البلد أو الأمة، يشارك فيه جميع أهل البلد من رجال ونساء وأطفال.

٣- يحدث دورياً إما أسبوعياً أو شهرياً أو فصلياً أو سنوياً، كعيد الفطر والأضحى.

«**النذر**»: هو إلزام النفس تعبداً التقرب بالطاعة إلى الله ﷻ.

فالنذر يتعلق بالطاعة؛ فلا نذر في الأمور المباحة، ولا في المعاصي، بل يكون في القرب فقط كالصدقة والصيام والصلاة وغيرها.

«**لا وفاء لنذر في معصية الله**»: ومن المعصية أن يكون في المكان المنذور فيه وثن من الأوثان يعبد، أو عيد من أعياد الكفار.

«**ولا فيما لا يملك ابن آدم**»: فلو نذر ذبح إبل فلان من الناس لا يملكها الناذر فلا اعتبار بهذا النذر، ونذر المعصية ساقط لا اعتبار له، وليس له كفارة؛ لأنه لا يُتقرب إلى الله بالمعاصي.

فمنع النبي ﷺ من وفاء نذر الذبح في أماكن تقام فيها شعائر الكفر والشرك وإن لم يقصد تعظيمها لئلا يكون ذريعة لتعظيمها عند غيره، أو وسيلة يستخدمها المشركون لترويج كفرهم وشركهم، وذريعة للإشراك بالله تعالى.

❑ الصورة الثانية

مسجد الضرار؛ إذ أُمر النبي ﷺ باجتناب المسجد الذي أقيم على الكفر وعلى الإرصاد لمن حارب الله ورسوله ﷺ؛ لئلا يكون ذريعة ووسيلة يستعمله أهل النفاق إرصاداً لمن حارب الله ورسوله وإضراراً لدعوة التوحيد وتفريقاً بين المؤمنين، كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ﴾ .

لذا ذكر المؤلف قول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ﴾ الآية، وأرفقها مع حديث النهي عن الذبح في مكان فيه وثن من أوثان الجاهلية.

❑ الصورة الثالثة

الغلو في الصالحين؛ لذا بوب المؤلف [**باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين وقول الله** عز وجل: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾.

وعن عمر أن رسول الله ﷺ **قال «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجاه.**

وقال: قال رسول الله ﷺ: **«إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو».**

ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً]**

فالغلو في الصالحين ذريعة إلى الشرك؛ لذا حرمه الشارع.

والشاهد من الحديث: أن سبب كفر الكفار وشركهم هو الغلو في الصالحين والإفراط في رفعهم فوق مقامهم وفي رفع الأنبياء إلى مرتبة الألوهية، من أجل ذلك قال النبي ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: «عبد الله ورسوله»: أي لا تغلوا فيَّ فترفعوني عن قدري، أنا عبد الله ورسوله؛ لذا قال النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: «هلك المتنطعون»: أي الغالون المتعمقون المتكلفون.

لذا جعل المؤلف هذه القاعدة من المسائل التي ذكرها في نهاية هذا الباب **فقال**: [«**المسألة العاشرة: معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه**»].

ومن الغلو في الصالحين الغلو في الألفاظ؛ لذا بوب المؤلف: [**باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك**

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه **قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي** ﷺ **فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى». قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً؛ فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان». رواه أبو داود بسند جيد.**

وعن أنس رضي الله عنه **أن ناساً قالوا: يا رسول الله! يا خيرنا وابن خيرنا،**

وسيدنا وابن سيدنا! فقال: «يا أيها الناس! قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ» .رواه النسائي بسند جيد].

هؤلاء مجموعة من الصحابة حديثو عهد بإسلام أتوا النبي ﷺ قالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، ومن المعلوم أن النبي ﷺ سيد البشر؛ إذ قال: «أنا سيد ولد آدم»، فلا بأس من إطلاق لفظ السيد عليه ﷺ، بل وكذلك على البشر ممن يتصف بالسيادة، كما قد قال تعالى عن عزيز مصر: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾، فسمى الزوج سيدًا؛ فيجوز أن يطلق لفظ «سيد» على المخلوق كما قال ﷺ للصحابة في حق سعد بن معاذ: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه»، وقال ﷺ في المملوك: «ليقل: سيدي ومولاي».

ولكن النبي ﷺ وجد منهم في هذا الكلام تعظيمًا وإطراءً يفتح بابًا للغلو، وقالوا: «خيرنا وابن خيرنا»؛ فجعلوا عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ خيرهم مع أنه لم يمت على الإسلام، فحصل نوع من التعظيم حتى لمن مات على الشرك، فقال النبي ﷺ: «السيد الله، ولايستجرينكم الشيطان»: أي لا يستميلنكم الشيطان، فسدّ النبي ﷺ الذريعة المؤدية إلى رفعه فوق مقامه الشريف، وقال النبي ﷺ: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم»: أي لا تبالغوا في تعظيمي، «ما أحب أن

ترفعوني فوق منزلتي».

❑ الصورة الرابعة

عبادة الله عند تماثيل الرجال الصالحين؛ لذا ذكر المؤلف تحت **باب [ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين] أثر ابن عباس -رضي الله عنهما- في قول الله تعالى:** ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ **قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عبدت].**

ففي الآثار الواردة في هذا الباب سد للذرائع المؤدية إلى الشرك، فعبادة الله تعالى عند التماثيل تؤدي إلى الشرك؛ إذ روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه: «أن وَدًّا وسُوَاعًا ويغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا» هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبِدت»[1].

وقد تكلم العلماء في هذا الأثر وأن الراجح أنه من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وعطاء لم يسمع

(١) البخاري (٤٩٢٠).

من ابن عباس، بالإضافة إلى أن عطاء فيه ضعف، ولذا قال الحافظ ابن حجر: «لابد للجواد من كبوة»[1]. مع ملاحظة أن هذا الحديث ليس على شرط البخاري؛ لأن اشتراط البخاري الصحة مختص بروايته للأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ، وهذا من الموقوف وهو لم يشترط الصحة في الموقوف؛ إذ سمي كتابه: «الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه».

❑ **الصورة الخامسة**

العكوف على القبور والتبرك بها لذا بوب المؤلف **[باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله**

روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم، لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا

قبور أنبيائهم مساجد». ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات

---

(١) مقدمة الفتح (ص ٣٧٦).

القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنن].

«**الوثن**»: هو كل ما نصب للعبادة.

«**اللهم، لا تجعل قبر ي وثنا يُعبد**»: أي لا تجعله يُنصب فيُعبد.

وقد استجاب الله تعالى هذا الدعاء لنبيه ﷺ فحفظ الله قبر النبي ﷺ من أن يُجعل وثناً؛ فأحيط بالحوائط بحيث لا يستطيع أحد الوصول إليه.

وأما التحذير من عبادة قبره ﷺ فإنه يتضمن جميع الذرائع التي تؤدي إلى عبادته ﷺ؛ لذا فإن الحديث يشمل النهي عن الآتي:

أولاً: اتخاذه قبره ﷺ قبلة في الصلاة. فمن أراد أن يصلي واستقبل القبر النبوي وجعله قبلة له في صلاته فقد عبده.

ثانياً: التمسح بقبره ﷺ.

ثالثاً: التوجه إلى القبر النبوي أثناء الدعاء لنفسه.

رابعاً: قصد القبر النبوي للصلاة عنده من باب التبرك.

خامساً: الاستشفاع أو الاستغاثة بالقبر النبوي.

❏ **الصورة السادسة**

نهي النساء عن الإكثار من زيارة القبور ؛ فمن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنن.

أما حديث: «لعن زائرات القبور» فهو ضعيف جداً، وأقوى منه حديث فيه ضعف: «لعن الله زوّارات القبور» دون زيادة «والمتخذين عليها المساجد والسرج»، والفرق بين «زوارات» و«زائرات»: أن «زوّارات» هن كثيرات الزيارة، أما «زائرات» فلا تقتضي كثرة الزيارة.

وأما نهي النساء عن كثرة زيارة القبور فذلك لضعف قلوب النساء، فكثرة الزيارة تؤدي إلى النياحة والجزع، وقد تكون ذريعة إلى تعظيمهن لصاحب القبر، فمنع الشارع إكثار النساء من زيارة القبور منعاً لوقوع تلك المفاسد.

❏ **الصورة السابعة**

اتخاذ قبر الصالح عيداً؛ لذا بوب المؤلف [**باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك وقول الله تعالى**: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ **الآية**.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم

قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات].

على الرغم مما يلاقيه النبي ﷺ من شدة وتعنت من قبل الناس إلا أنه ﷺ كان حريصًا عليهم وعلى الأمة؛ فبين لها كل شيء.

«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً»: أي اقرأوا فيها القرآن حتى لا تكون بيوتكم كالقبور، فدل بأن القبور لا يقرأ فيها القرآن، هذا المعنى الأول، والمعنى الثاني: لا تدفنوا فيها موتاكم.

«ولا تجعلوا قبري عيداً»: العيد: هو الاحتفال في مكان أو زمان، ويعود هذا الاحتفال سنويًا أو شهرياً أو أسبوعياً، ويحصل فيه اجتماع عام على مستوى الشعب والأمة رجالاً ونساءً وأطفالاً؛ لذا لا يسمى عيدًا إلا إذا توفرت فيه شروط ثلاثة:

١- الاحتفال وهو الذي يصاحبه طعام ولباس وزينة وغيرها .

٢- الاجتماع فيه على المستوى العام وعلى مستوى الأمة أو الشعب من رجال ونساء وأطفال.

٣- العَوْد، فيعود سنويًا أو شهريًا أو أسبوعيًا .

فمتى توفرت الشروط الثلاثة اعتبر عيدًا سواء في المكان أم الزمان،

كعيد الفطر وعيد الأضحى، وإذا اختل شرط لم يسم عيداً، فصيام يوم عاشوراء يعود سنويًا، وعلى مستوى الأمة، ولكن لا يحصل فيه احتفال فلا يسمى عيداً، أما العيد الوطني فهو كاحتفال أهل المدينة بيوم بعاث وقد كرهه النبي ﷺ وقال: «إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر»[1]، أما إذا كان الاحتفال على مستوى البيت أو الأسرة أو العائلة فلا يدخل في مسمى العيد لاختلال شرط من شروط العيد.

والمعنى: لا تجعلوا قبري مكانًا يحتفل عنده الناس بالاجتماع والزيارة وتوزيع الطعام على مستوى الأمة أو الناس، كما يحصل عند قبر الحسين رضي الله عنه أو البدوي أو علي رضي الله عنه.

ويتضمن النهي عن اتخاذه عيداً عدة أمور محظورة:

أولاً: شد الرحال والسفر إلى القبر النبوي.

ثانيًا: تخصيص الدعاء للنفس عند قبر النبي ﷺ.

ثالثًا: قصد قبر النبي ﷺ من أجل الصلاة عليه هناك، بل وأنت في مكانك في أي مكان يمكنك أن تصلي على النبي ﷺ فتصله صلاتك عليه؛ إذ من خصائصه ﷺ أنه تبلغه صلاتك عليه وسلامك بخلاف غيره.

(١) رواه أحمد (٣/ ١٠٣).

رابعًا: استقبال القبر تدعو عنده لنفسك، أو النذر له، أو الحج له، أو الذبح عنده، أو العكوف على القبر النبوي، كل هذا يدخل في اتخاذه عيداً.

خامسًا: إتيان القبر عقب كل صلاة للصلاة والسلام عليه ﷺ لاسيما المقيمين في المدينة، فقد كرهه الأئمة كالإمام مالك، لكن إذا أتيت المدينة للصلاة في المسجد ثم زرت القبر النبوي وسلمت على ساكنه ﷺ فهذا مستحب.

سادسًا: شد الرحال والسفر إلى مواضع بعينها غير المساجد الثلاثة من أجل التعبد فيها لبركتها؛ لذا لم يشد أصحاب النبي ﷺ الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ ممن سكن منهم العراق وأرض الشام واليمن على كثرة أسفارهم وبعدهم عن مدينة النبي ﷺ.

سابعًا: قول بعضهم: «زرت القبر النبوي» أو «سافرت إلى القبر النبوي»، فقد كره الإمام مالك هذا القول حتى لا يعتبر مزارًا.

أما استقبال القبر النبوي للسلام على النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- فهو مستحب.

❑ الصورة الثامنة

الدعاء عند قبور الصالحين؛ إذ دعاء الله للنفس عند قبور الصالحين من البدع، وهو ذريعة للوقوع في الشرك بأن يدعو ويستغيث بالصالحين

غداً؛ لذا ذكر المؤلف [**حديث علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في المختارة**].

❏ **الصورة التاسعة**

شد الرحال إلى القبر النبوي؛ إذ من المعلوم أن أفضل القبور هو قبر النبي ﷺ، وإذا كنت في المدينة فَزُرْ قبره ﷺ فإن زيارة قبره عمل مستحب؛ إذ النبي ﷺ ندبنا إلى زيارة القبور على العموم، أما السفر من أجل ذلك على الخصوص فهذا هو الذي نهى عنه النبي ﷺ فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى». فيندب شد الرحال إلى المسجد النبوي لا إلى القبر الشريف، فإذا كنت في المدينة فإنه يندب زيارة القبر الشريف، وبالرغم من ذلك فإن الإمام مالكًا -رحمه الله تعالى- وغيره يرون عدم الإطالة في الدعاء عند القبر النبوي.

ماذا عن شد الرحال من أجل التجارة أو من أجل الاعتبار؟

إن السفر للمعاملات كالتجارة وغيرها لا يدخل في النهي الذي في

الحديث؛ لكثرة ما يحدث في عهد النبي ﷺ ولم ينه عنه، ولا يدخل فيه السفر للاعتبار؛ لأن الله تعالى أمر بالسفر لأجل ذلك فقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ ، فهذا ليس سفراً لبركة المكان وإنما سفر اعتبار وموعظة، والنهي الوارد في الحديث هو السفر لأجل بركة المكان.

فالسفر إلى أماكن محددة مباركة للتعبد والتبرك قد منع منه الشارع سداً لذريعة الشرك إلا إلى المساجد الثلاثة للحديث السابق، لاسيما إذا صاحبه الطواف والنذر والذبح والإطعام والتجمع عنده فهذا بمثابة الحج، فإذا وُجِّه إلى القبور فإنه يؤدي إلى الحج إلى القبور كما يحج إلى بيت الله تبارك وتعالى ويتعبد فيه بالنذر والطواف وغيرها من العبادات والمناسك، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى عن تتبع آثار الأنبياء؛ إذ قال معرور بن سويد الأسدي: خرجنا مع عمر في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾ و﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾﴾ ، فلما قضى حجه ورجع والناس يبتدرون فقال: ما هذا؟. فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ. قال عمر رضي الله عنه: هكذا هلك أهل الكتاب، اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعاً، من عرضت له منكم فيها الصلاة فليصلّ، ومن لم يعرض له منكم الصلاة فلا يصل[(١)] .

(١) رواه عبد الرزاق (٢/ ١١٨-١١٩)، وابن أبي شيبة (٧٦٢٤)، وسعيد بن منصور [اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٤٤)]، وابن وضاح (٤١-٤٢).

❑ الصورة العاشرة والحادية عشرة

عبادة الله تعالى عند قبور الصالحين واتخاذ القبور مساجد؛ لذا بوب المؤلف [**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده، في الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها في أرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله». فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل، ولهما عنها قالت: «لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً». أخرجاه، ولمسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»، فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ**

مسجداً، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ : «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً». ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» رواه أبو حاتم في صحيحه»].

فعبادة الله عند قبور الصالحين واتخاذ قبورهم مساجد غلو في الصالحين الأموات.

فأحاديث الباب المذكور «تنهى عن اتخاذ القبور مساجد»، وأنه لا يجوز بناء المساجد على القبور، وأنه لا يجوز الدفن في المساجد، وأنه لا يجوز إدخال القبر في المسجد، كل ذلك سداً لذريعة عبادتها والإشراك بالله تعالى.

مسألة: لماذا تغلو في الرجل الصالح وتجعله واسطة بينك وبين الله تعالى؟

أجاب قائلاً: إذا أتيت ملكًا من ملوك الدنيا فإنك لا تدخل عليه مباشرة تأدبًا معه، إنما يجب عليك أولاً أن تستأذن من الحاجب أو الوسيط، فإذا كان هذا مع ملوك الدنيا فكيف بالله عز وجل؟ وهو أعظم

منه؟ فلذلك نجعل بيننا وبين الله تعالى وسائط وشفعاء.

بهذه الإجابة يكون قد وقع في عظائم الأمور والتي منها:

أولاً: مثَّل الله عز وجل بخلقه، فجعله كملك من ملوك الدنيا.

ثانياً: لو تساءلنا: لماذا يلجأ الناس إلى الوسطاء والشفعاء والحجاب مع ملوك الدنيا؟

١- لأن هذا الملك لا يعلم حاجتك فهو غافل عنك وغائب، فيحتاج إلى من يعرِّفه بحاجتك، وهل الله عز وجل غائب عن حاجتك؟ ولا يعرف ما هي؟ ولا يعرف أنك مظلوم أو محتاج؟ فجعلت الله عز وجل كجُهال الملوك الذين لا يعرفون أمور رعيتهم؟ إن الله عز وجل قد وسع كل شيء علماً، كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾، فهذا طعن وانتقاص في حق الله عز وجل.

٢- لأن هذا الملك أحياناً لا يريد أن يقضي حاجتك، ولكنه يُحْرَج من الواسطة، فالواسطة تُحرجه بل وربما تُكرهه وتُجبره؛ فيضطر للتجاوب معها، وهل أحد يُكْرِه الله عز وجل؟ تعالى الله عن ذلك.

٣- أو لأن لهذه الواسطة يداً على الملك فما يستطيع الملك أن يردها، وهل لأحد من المخلوقين يد على الله ﷻ؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، والأمر كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ .

٤- لأن الملك يخاف من تهديد هذه الواسطة؛ لأنه سيجمع الناس ضده ويقلب عليه الأمور، فيضطر الملك إلى التجاوب خوفاً، وهل يخاف الله ﷻ من أحد؟ قال تعالى: ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾ ، ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾

٥- لأن هذا الملك قاسي القلب فيحتاج إلى من يزيده رحمة وعطفًا على الناس، فتأتي الواسطة لتحنن قلب الملك على صاحب الطلب، والله ﷻ أرحم الراحمين، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ ، وأرحم بعباده من المرأة برضيعها؛ فهل يحتاج الله ﷻ إلى من يزيده رحمة على عباده؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

٦- لأن الملك أحياناً لا يشاء شيئًا ما، فتأتي الواسطة لتُثْنيه عن مشيئته إلى مشيئة أخرى، وهل يستطيع أحد أن يُغيّر مشيئة الله تعالى؟ تعالى الله ﷻ عن ذلك علواً كبيراً ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ .

فقياس رب العزة سبحانه وتعالى على خلقه وتمثيله بملوك الأرض وإنزاله إلى مرتبة ملوك الدنيا ومنحه خصائص الملك المخلوق انتقاص في حق الله ﷻ، وهذه ليست حجة لمن يغلو في الصالحين وفي قبورهم بل تزيد اعتقاده شركاً ولا تبرئه من الشرك، وقد سبق بيان هذه المسألة.

فإذا قال: لا أتوجه إلى الله مباشرة لكثرة ذنوبي؛ فهي حائل بيني وبين إجابة دعائي لذا أتى بعض الصحابة إلى النبي ﷺ في حياته ليدعو لهم.

أجيب بأن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»، فلا بد من دليل يدل عليه، وقد دل الدليل على أن سؤال الحي ليسأل الله تعالى جائز لكنه مكروه لأنه نوع من الاسترقاء وافتقار إلى الأحياء، أما سؤال الميت ليشفع له عند الله تعالى فلم يثبت الإذن به من قِبَل الشارع، ثم هو ذريعة إلى الاستغاثة به إذ ليس سؤال الحي أن يشفع له ويدعو له كسؤال الميت من حيث الذريعة إلى الشرك؛ ذلك أن الميت لا يستطيع الإنكار على السائل إذا ما غلا في الدعاء واعتدى فيه، ويتبين ذلك في قاعدة عدم الاستواء بين الأحياء والأموات.

مسألة: كيف يُوجَّه دخول القبر النبوي في توسعة المسجد النبوي؟ وإذا كانت الصلاة محرمة في المسجد الذي بني على قبر أو دفن فيه

ميت أو أدخل فيه قبر، فماذا عن المسجد النبوي؟

الجواب

أولاً: القبر النبوي كان معزولًا عن المسجد ثم اضطروا لمثل هذا في الثمانينات من الهجرة النبوية عندما أراد الوليد بن عبد الملك أن يوسع المسجد من الناحية اليمنى ومن الناحية اليسرى، فاضطر إلى إدخال قبر النبي ﷺ، ولكنه حدَّه بثلاثة حوائط حتى يخرجه من المسجد ليصبح منفصلاً عنه تمامًا، وقديمًا كان أحدهم يملك أرضًا في وسط أرض يملكها شخص آخر، فتبنى البيوت في وسط الأرض وتحدد، ولا تعتبر من الأرض المحيطة بها لأنها منفصلة عنها بالحوائط والحدود، وعلى الرغم من ذلك فقد أنكر عليه سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى-، ولكن الوليد رأى أنه مضطر للتوسعة، وأن هذا ليس إدخالًا للقبر في المسجد بعد تحديده بالحوائط في حال الاضطرار، إضافة إلى أنه لم يحفر قبراً في المسجد ولم يبن مسجدًا على القبر، ولم يقصد الجمع بين القبر والمسجد، وإنما أراد توسعة المسجد، ولا يستطيع ذلك إلا بهذه الوسيلة.

ثانياً: حتى لو دخل القبر النبوي في المسجد النبوي فهذا لا يبطل الأحاديث الواردة في فضل الصلاة في المسجد النبوي، فللمسجد النبوي والمسجد الحرام والمسجد الأقصى خصوصية ليست لغيرها من

المساجد، من ذلك الصلاة فيه تعدل ألف صلاة ومشروعية شد الرحال إليه، ثم إن النبي ﷺ طاف بالكعبة في عمرة القضاء وحولها ثلاثمائة وستون صنمًا، ومن المعلوم أنه لا يجوز أن نطوف حول الأصنام أو نجعل الأصنام في القبلة ثم نصلي إليها، بالرغم من ذلك لم يبطل النبي ﷺ مكانة الكعبة لوجود الأصنام حولها وذلك لخصوصية الكعبة، فكذلك المسجد النبوي له خصوصية، كما قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾، فقال النبي ﷺ: «هو مسجدي هذا»[1].

ولما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى»، وقال النبي ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[2].

فخرج المسجد النبوي من التحريم بثلاثة أمور: بالاضطرار، ثم بفصل القبر عنه، مع الأدلة الدالة على خصوصيته.

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٣١)، (٣/ ٧، ٨٩)، ونحوه مسلم (١٣٩٨).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

❑ الصورة الثانية عشرة

[باب ما جاء في المصورين، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة». أخرجاه. ولهما عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله». ولهما عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم». ولهما عنه مرفوعاً: «من صوّر صورة في الدنيا كلّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ». ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي عليّ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»].

ذكر المؤلف باب المصورين استكمالًا لموضوع تعظيم الله تبارك وتعالى وسدّاً لذريعة الشرك بالله تعالى، فذكر الأحاديث الواردة في التصوير.

التصوير ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تصوير ذوات الأرواح كالطير والحيوان والإنسان، وهذا حرمه النبي ﷺ.

القسم الثاني: تصوير غير ذوات الأرواح كالشجرة والسماء والبحر، وهذا لا بأس به كما قال ابن عباس رضي الله عنه.

ما هو التصوير المحرم؟

يدخل في التصوير المحرم التماثيل كما في حديث علي رضي الله عنه الذي أورده المؤلف، وهو عند مسلم بلفظ: «أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته»[1]، ثم ذكر طريقاً آخر وقال: «ولا صورة إلا طمستها»، وهذا هو أصل التصوير، كذلك يدخل فيه الرسم اليدوي لذوات الأرواح كأن يرسم إنسانًا أو يرسم طيرًا.

ومما يدل على أن التمثال يشمل الرسم اليدوي لذوات الأرواح فيشمله التحريم ما روى مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد سترت سهوةً لي بقرام فيه تماثيل، وفيه الخيل ذوات الأجنحة، فلما رآه هتكه وتلون وجهه وقال: «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون خلق الله»[2].

«**سهوة**»: بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً.

«**القرام**»: ستر رقيق.

(١) مسلم (٩٦٩).
(٢) مسلم (٢٠١٧).

«**بقرام فيه تماثيل، وفيه الخيل ذوات الأجنحة**»: أي ستر رقيق عليه رسوم ذوات الأرواح ورسوم خيل ذوات أجنحة، والتمثال هو الشيء المصور، وهو أعم من أن يكون شاخصاً أو يكون نقشاً أو دهاناً أو نسجاً في ثوب، قاله ابن حجر[(١)].

وفي رواية: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم» ثم قال: «إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»[(٢)].

وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: «من صوّر صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ»[(٣)].

هل يدخل فيه التصوير الفوتوغرافي؟

طائفة كبيرة من العلماء ذهبوا إلى أن التصوير الفوتوغرافي يشمله التصوير المحرم، بينما طائفة أخرى يرون أنه لا يشمله، والراجح ما ذهبت إليه الطائفة الثانية أنه لا يدخل فيه؛ لأن التصوير الفوتوغرافي ليس فيه مضاهاة لخلق الله، فأنت إذا وقعت على ورقة فأخذت أنا توقيعك فصورته، فالتوقيع الذي في الصورة هو توقيعك ولا توقيعي، ولا أقول إني بتصويري لتوقيعك قد ضاهيت توقيعك وأنه توقيعي؛ لأن

(١) الفتح (١٠/ ٣٨٧).
(٢) رواه مسلم (٢١٠٧).
(٣) مسلم (٢١١٠).

التصوير انعكاسات الأشعة عليه، فهذا ليس مضاهاة، وبهذا احتج الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- على عدم دخول التصوير الفوتوغرافي في المضاهاة وإن كان يرى تحريم التصوير الفوتوغرافي.

ثم المرآة كانت على عهد النبي ﷺ، والصورة المتكونة في المرآة ما هي إلا نتيجة انعكاسات الأشعة على المرآة، فإذا حركت وجهك تحركت الصورة في المرآة، وهذا أعظم مضاهاة من الصورة التي على الورقة؛ فلو كان في الصورة الفوتوغرافية مضاهاة فالمضاهاة في المرآة أعظم، وبالرغم من ذلك لم يحرمها النبي ﷺ.

فالصحيح أن التصوير الفوتوغرافي لا يدخل في الأحاديث الواردة، فيحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، والنهي العام مخصص بالذي يضاهي خلق الله تعالى للأحاديث التي ذكرها المؤلف، والفوتوغرافي ليس فيه مضاهاة، فالتحريم العام الوارد في التصوير خصص بالأدلة فخرج منه ما يسمى بالتصوير الفوتوغرافي بدلالة الأَوْلى كما في المرآة لأنه ليس فيها مضاهاة، وخرج منه ما فيه مصلحة راجحة كما أذن لأم المؤمنين عائشة -رضي الله تعالى عنها- باللعب بصور البنات؛ إذ قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه،

فَيُسَرِّبهن إليَّ فيلعبن معي»[١]، وكذلك أذن لها في اللعب بتمثال الخيل الذي له أجنحة، فقد ذكرت أم المؤمنين رضي الله عنها أنها كشفت عن بنات لها لُعَب، فرأى النبي ﷺ بينها فرساً له جناحان من رقاع فقال: (ما هذا؟ فرس له جناحان؟)، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟. فضحك حتى رأيت نواجذه»[٢]، وهو قول الجمهور[٣] لغلبة المصلحة؛ لذا رجح العلماء جواز الرسم لأجل التعليم، وخرجت الصورة التي في الثوب الممتهن للحديث «إلا رقماً في ثوب»[٤]، ولما رواه البخاري[٥] عن عائشة في حديث القرام المذكور: «فجعلناه وسادة أو وسادتين»، وفي رواية له: »يجلس عليهما»[٦]، وبوب له البخاري: «باب ما وطئ من التصاوير».

فهو محرم سداً للذريعة أو لقصد المضاهاة أو إعانة على الشرك؛ لذا أبيح ما ليس بمضاهاة كالمرآة ويشمله الفوتوغرافي، وأبيح منها الرسوم والتماثيل للحاجة كما في لعب الأطفال، وأبيحت منها الصور المهانة كذلك؛ لأن أصل التصوير ليس شركاً ولا كفراً ولا مضاهاة لخلق الله

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٠).

(٢) رواه أبو داود، والنسائي، وصححه الألباني في آداب الزفاف (٢٧٥- ٢٧٦).

(٣) فتح الباري (١٠/ ٥٢٧).

(٤) رواه البخاري (٥٩٥٨).

(٥) البخاري (٥٩٥٤).

(٦) البخاري (٢٤٧٩).

تعالى إلا من قصد المضاهاة، فهذا نبي الله سليمان عليه السلام قال الله تعالى عنه: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾، قال مجاهد: كانت من نحاس[1]. وقال قتادة: كانت من خشب ومن زجاج[2]. وقال أبو العالية: لم يكن ذلك في شريعتهم حراماً ثم جاء شرعنا بالنهي عنه[3]. وقال سبحانه عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾، والأنبياء جميعاً أولاد علات، أتوا بتوحيد واحد بينما شرائعهم مختلفة، فلو كان التصوير كفراً أو شركاً أو مضاهاة لله سبحانه لما حل لأنبيائه أن يفعلوه، وإنما كملت شريعتنا بسد الذرائع التي قد تؤدي إلى الشرك أو الكفر.

مسألة: الإشكال الوراد على قول النبي ﷺ: «أشد الناس عذابًا»

معلوم أن المشرك أشد الناس عذابًا، والمنافق أشد عذابًا من المشرك: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، فكيف يكون المصور أشد عذابًا؟

قال بعضهم: المعنى أنه من أشد الناس عذابًا وليس أشد الناس

(١) رواه ابن جرير (٢٢/ ٤٩).
(٢) رواه عبدالرزاق (الفتح ١٠/ ٣٨٢) وابن جرير (٢٢/ ٤٩).
(٣) الفتح (١٠/ ٣٨٢).

عذاباً، كما في رواية مسلم من طريق أبي معاوية، عن الأعمش بلفظ: «من أشد الناس عذاباً»، ولكن رواية البخاري أصح لأنها من طريق سفيان، عن الأعمش، فالحديث لم يقل: «من أشد الناس عذابًا» بل قال: «أشد الناس عذابًا»، لكن الصحيح - والله أعلم- ما رجحه ابن جرير الطبري بقوله: أشدهم عذابًا ذاك الذي صورها لتعبد من دون الله ﷻ. اهـ

وجعل بعضهم الوعيد لمن صوّر مضاهاةً كما ورد في الحديث: «يضاهئون بخلق الله»؛ لذا قال النبي ﷺ: «يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»[1].

فالصور -عدا الفوتوغرافية- حكمها سواء، فالرسم والتماثيل محرمة عمومًا إلا المهانة أو ما كان منها لمصلحة راجحة، وأشدهم حرمة وعذاباً يوم القيامة من صوَّر من أجل أن تعبد من دون الله ﷻ أو مضاهاة لخلق الله تعالى.

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٣٨٤).

القاعدة السابعة والعشرون

أصل الإيمان هو ركن الإيمان وهو قول القلب وعمله

١- **قول القلب**: هو علم القلب بوحدانية الله تعالى ويقين القلب بها.

٢- **عمل القلب**: هو انقياد القلب واستسلامه لـ «لا إله إلا الله»، ولكل ما علمه من دين الله تعالى استسلاماً ركنياً، ومحبته محبة ركنية تجعل قلبه لا يرضى أن ينتقص أحد دين الإسلام ولا شيئاً من شريعته، ويخاف الله تعالى خوفاً ركنيًا، ويخضع له خضوعاً ركنياً تجعله يشعر بالذنب إذا ما عصى الله تعالى.

إذا توفر في القلب هذا العلم اليقيني وانقاد له تحقق أصل الإيمان، وإذا فقد أحدهما كفر، وإذا توفر أصل الإيمان فإنه لا ينفعه إذا لم يتلفظ بالشهادتين عند القدرة، فالتلفظ بهما شرط لقبول الأصل القلبي، فإذا تلفظ بالشهادتين دخل في الاسلام وارتقى أول مرتبة من مراتب الإيمان.

القاعدة الثامنة والعشرون

الفرع الواجب للإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح

فالفرع الواجب القلبي هو العلم الواجب والانقياد القلبي الواجب، فمن العلم الواجب تعلم الصلاة الواجبة والصيام الواجب والزكاة الواجبة، وأما الانقياد القلبي الواجب فهو أن ينقاد القلب لهذه الواجبات فيستسلم لها استسلاماً واجباً، ويحبها محبة تقوده إلى العمل بهذه الواجبات، ويخاف من تركها خوفاً يقوده إلى العمل بها وعدم التفريط بها ويقوده إلى اجتناب المعاصي.

أما الفرع الواجب المتعلق باللسان فهو أن يستسلم بلسانه؛ فيتلفظ بالواجبات اللسانية وهي الأقوال الواجبة كالشهادتين والألفاظ الواجبة في الصلاة وغيرها.

أما الفرع الواجب المتعلق بالجوارح فهو تأدية الجوارح للواجبات كالصلاة والصيام والحج وغيرها من الواجبات، هذه هي الفروع الواجبة: قلبية ولسانية وجارحية.

إذا توفر أصل الإيمان مع جميع الفروع الواجبة فقد تحقق الإيمان الواجب.

القاعدة التاسعة والعشرون

الفرع المستحب يكون بالقلب واللسان والجوارح

فالفرع المستحب القلبي هو العلم المستحب والانقياد القلبي المستحب، فمن العلم المستحب تعلم الصلاة المستحبة والصيام المستحب والصدقة المستحبة وسائر المستحبات، أما الانقياد والاستسلام القلبي المستحب فهو أن ينقاد القلب لفعل هذه المستحبات ويستسلم استلاماً يقوده إلى العمل بهذه المستحبات، ويحبها محبة تقوده إلى العمل بها.

أما الفرع المستحب باللسان فهو أن يستسلم بلسانه؛ فيتلفظ بالمستحبات اللسانية من الأذكار والأقوال سواءً في صلاته أم في حجه أم في عباداته أم في معاملاته مع الناس.

أما الفرع المستحب المتعلق بالجوارح فهو تأدية الجوارح للمستحبات كالصلاة المستحبة والصيام المستحب والصدقة المستحبة وغيرها من المستحبات.

وإذا توفر أصل الإيمان مع الفرع الواجب والفرع المستحب فقد تحقق الإيمان المستحب وهو الإحسان.

القاعدة الثلاثون

مراتب الإيمان هي: الإيمان الواجب والإيمان المستحب والإيمان الناقص

فالإيمان الواجب هو الذي لا بد وأن يتوفر فيه أمران:

أولهما: أصل الإيمان.

وثانيهما: الفرع الواجب. وهو المسمى بمرتبة الإيمان، ويسمى أصحابه بالمؤمنين والمقتصدين والأبرار وأصحاب اليمين، فالإيمان الواجب لا بد وأن تتوفر فيه أركان الإيمان وواجبات الإيمان، فلا بد وأن يتوفر فيه العلم الركني والعمل الركني هذا أولاً، ثانياً لابد وأن يتوفر فيه جميع الفروع الواجبة وهي جميع العلوم الواجبة وجميع الأعمال القلبية الواجبة وجميع أعمال الجوارح واللسان الواجبة.

بينما الإيمان المستحب هو الذي توفر فيه أصل الإيمان مع الفرع الواجب والفرع المستحب، وهو المسمى بالإحسان، وأصحابه هم السابقون بالخيرات عباد الله المقربون، فالإيمان المستحب لابد وأن يتوفر فيه الإيمان الواجب المذكور، ويضاف إليه تعلم العلوم المستحبة والقيام بالأعمال القلبية المستحبة وأعمال الجوارح واللسان المستحبة،

بعضها أو كلها.

بينما إذا توفر أصل الإيمان مع التلفظ بالشهادتين عند القدرة فقد تحقق أول مراتب الإسلام، فإذا لم تصاحبه الفروع الواجبة سمي **بالإيمان الناقص**، وأصحابه مسلمون لكنهم ظالمون لأنفسهم.

هذه المراتب الثلاث هي التي اصطفاها الله تعالى إذ قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ .

القاعدة الحادية والثلاثون

مراتب علم القلب

العلم الركني للقلب: وهو ما لا يدخل العبد في دين الإسلام الذي بعث به النبي ﷺ إلا به، وهو العلم بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وهذا العلم إذا لم يتوفر لا يصبح الإنسان مسلمًا، فهذا هو العلم الركني وهو قول القلب الركني، وهو اليقين بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

أما العلم الواجب للقلب: فهو تعلم الواجبات وكيف تُؤدى، كالصلاة والصيام الواجبين وغيرهما من الواجبات.

وأما العلم المستحب: فهو تعلم المستحبات كالصلاة والصيام المستحبين وغيرهما من الأعمال المستحبة وتعلم كيف تُؤدى.

القاعدة الثانية والثلاثون

مراتب العمل القلبي

هي ثلاث مراتب كمراتب العلم، فمنه العمل القلبي الركني، والعمل القلبي الواجب، والعمل القلبي المستحب.

مثال:

من أعمال القلب المحبة، فتكون المحبة على مراتب ثلاث:

محبة ركنية: تحب الله ورسوله المحبة الركنية.

محبة واجبة: تحب الله ورسوله المحبة الواجبة.

محبة مستحبة: تحب الله ورسوله المحبة المستحبة.

وهذه مراتب ثلاث يتفاضل فيها الناس فمنهم المسلم، ومنهم المؤمن، ومنهم المحسن، فالأول المسلم وهو الذي حقق المحبة الركنية، والثاني المؤمن وهو الذي حقق المحبة الركنية والمحبة الواجبة، والثالث هو المحسن وهو الذي حقق المحبة الركنية والواجبة والمستحبة، فحقق المراتب الثلاث.

وما قيل في المحبة يقال كذلك في الخوف بأنه ركني وواجب ومستحب، وكذلك الاستسلام والانقياد والخضوع والاطمئنان وغيرها من أعمال القلوب.

مسألة (١): كيف يعلم العبد بأنه توفر فيه ركن المحبة وركن الأعمال القلبية؟

يقول القائل: أنا أعصي الله تعالى، فهل يعنى هذا أني أحب المعصية التي وقعتُ فيها أكثر من حبي لله عَزَّ وَجَلَّ؟ وآخر يعشق امرأةً تأمره بالمحرم فيستجيب لها فيعمل المحرم، فهل هذا يعني أنه يحبها أكثر من حبه لله عَزَّ وَجَلَّ؟ فهل المحبة الركنية انتفت من قلبه؟ فهل هذا كافر؟

الجواب: هذا الفهم ليس صحيحاً، وهذا هو الذي وقعت فيه الخوارج بتكفير صاحب الكبيرة، فالعبد يستطيع أن يميز بأنه تحققت فيه المحبة الركنية وعمل القلب الركني أم لا بسؤال يطرحه على نفسه، وذلك أنه إذا وقع في المعصية هل يشعر بعدها بأنه أخطأ وأنه أذنب؟ فإذا كانت الإجابة «نعم» -بل بعضهم يحترق قلبه لوقوعه في المعصية- فيقال له: إذن المحبة الركنية متحققة في قلبك، فلو لم تكن تحب الله عَزَّ وَجَلَّ أكثر من وقوعك في المعصية ما احترق قلبك، ولما شعرت بشيء من الخوف أو القلق أو الكدر أو الهم؛ فهذا لم

يخرج من دائرة الإسلام لتوفر الأصل القلبي.

ولكن إذا قال: لا أجد أي حرج ولا أشعر بذنب ولا أشعر بأنني مخطئ في حق الله تعالى عند مقارفتي لمعصية أو عند شرب الخمر أو في مقارفة الزنا مع علمه بحرمتها، فهذا يحب المعصية أكثر من حبه لله عز وجل؛ فلم يتوفر فيه ركن المحبة.

مسألة (٢): كيف يعلم العبد بأنه حقق المحبة الواجبة؟

يستطيع أن يعرف مدى تحقق المحبة الواجبة في قلبه إذا فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات، فصلى الصلاة الواجبة وصام الصيام الواجب وبر والديه البر الواجب ونحوها فتحققت فيه جميع الواجبات، فالمحبة القلبية الواجبة قد تحققت حينئذ؛ إذ هي التي قادته لفعل الواجبات، فهذا مؤمن ومتى ما نقص شيء من هذا فترك واجباً أو فعل محرماً بلا عذر شرعي فالمحبة الواجبة ناقصة ولكن الركنية متحققة في قلبه.

مسألة (٣): كيف يعلم العبد بأنه حقق المحبة المستحبة؟

يستطيع كذلك أن يعرف بأن المحبة المستحبة متحققة إذا فعل المستحبات أو بعضها وترك المكروهات أو بعضها، فإذا فعل الواجبات وترك المحرمات وفعل المستحبات وترك المكروهات فقد

توفرت في قلبه المحبة المستحبة؛ إذ هي قادته إلى فعل ذلك، فقد ارتقى في محبته إلى مرتبة أعلى من المحبة الواجبة؛ إذ ارتقى إلى مرتبة الإحسان لتوفر جميع مراتب المحبة في قلبه وهي المحبة الركنية والواجبة والمستحبة مع العلم بأن المحبة المستحبة مراتب كذلك.

القاعدة الثالثة والثلاثون

أقسام الكفر

ينقسم الكفر إلى أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة.

الكفر الأكبر: يتحقق إذا انتقض أصل الإيمان بانتقاض أحد ركنيه، إما بانتقاض قول القلب فيشك في توحيد الله تعالى ولا يوقن بذلك، أو بانتقاض العمل الركني للقلب كالانقياد الركني أو الاستسلام الركني أو الخضوع الركني أو الحب الركني وغير ذلك من أركان أعمال القلب وقد يستدل عليه بأعمال ظاهرة.

الكفر الأصغر: هو الذي لم ينتقض فيه أصل الإيمان.

القاعدة الرابعة والثلاثون

الناس في الشهادة بالتوحيد أصناف ثلاثة

الصنف الأول: عَلِم وتيقن أنه لا إله إلا الله، واستسلم قلبه وظاهره، فهذا المسلم المصطفى المقبول عند الله تعالى؛ إذ توفر فيه أصل الإيمان وهو علم القلب بالتوحيد واستسلامه له وتوفر شرط قبول هذا الأصل وهو الاستسلام الظاهر.

الصنف الثاني: عَلِم وتيقن أنه لا إله إلا الله، ولكن قلبه لم يستسلم، وظاهره كذلك حتى لسانه لم يستسلم، هذا هو الكافر بَيِّن الكفر، فهذا توفر فيه أحد أركان الأصل القلبي وهو اليقين بالتوحيد، ولكنه فقد أحد أركان الأصل القلبي وهو عمل القلب واستسلامه للتوحيد، وفقد شرط قبول الأصل وهو الاستسلام الظاهر، كما قال سبحانه عن فرعون: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ ، وكما قال موسى عليه السلام له: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ ، فقد توفر اليقين دون حب واستسلام وانقياد لما علموه واستيقنوه.

الصنف الثالث: هذا الصنف بين الصنفين، فقد عَلِم وتيقن أنه لا إله إلا الله، واستسلم بظاهره لها، يقول بلسانه أمام المؤمنين: «لا إله إلا

الله» ولكن قلبه لا يحبها ولم يستسلم لها، فهذا لم يتوفر فيه ركن العمل القلبي؛ إذ فقد أحد أركان الإيمان فَفَقَد أصل الإيمان، فهذا هو المنافق يظهر الإيمان ويبطن الكفر؛ إذ فقد أحد أركان الأصل القلبي وهو استسلام القلب للتوحيد.

فكل صنف من الأصناف الثلاثة عنده علم يقيني بأنه لا إله إلا الله، حتى الكافر عنده علم بها كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ ، لكن المسلم انقاد ظاهره وباطنه، ويقابله الكافر الذي لم ينقد ظاهره ولا باطنه، أما المنافق فاتفق مع المسلم في انقياد الظاهر، بينما اتفق مع الكافر في عدم انقياد الباطن، وانفرد الكافر بعدم انقياد الظاهر، وانفرد المسلم بانقياد الباطن.

هذه الأقسام الثلاثة مذكورة في مستهل سورة البقرة.

القاعدة الخامسة والثلاثون

من استحل محرماً معلوماً من الدين بالضرورة كفر

فإذا حرم الشارع شيئاً ما ثم اعتقد المرء حِلّه مع علمه بتحريم الشارع له أو صرح بلسانه أو كتابة بأنه حلال بكامل إرادته مع حضور عقله فقد كفر.

❑ **من صور القاعدة: استحلال الحكم بغير ما أنزل الله**

لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى**: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ **الآيات. وقوله**: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ **الآية. وقوله**: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ **الآية، عن عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما**، أن رسول الله** ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح، وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت**: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ **الآية، وقيل: نزلت**

في رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع إلى النبي ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ : أكذلك؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله»] .

فالذي يحكم بحكم مخالف للشرع وهو مستحل له وراض به ويريد أن يتبعه الناس عليه فهذا طاغوت.

وقد اتفق علماء السلف -رحمهم الله تعالى- أن من استحل الحكم بغير ما أنزل الله تعالى في مسألة واحدة أو مئة مسألة أو في جميع المسائل بأن قال: هذا الحكم أفضل من حكم الله ﷻ، أو مساوٍ لحكم الله تعالى، أو دون حكم الله تعالى ولكن يجوز الحكم به فهذا كافر.

أما إذا لم يستحله لكن حكم به لهواه فهذا ليس بكافر، لكنه فاسق ظالم واقع في جرم عظيم، لكن الحكم بغير ما أنزل الله في مسألة واحدة ليس كالحكم في مئة مسألة، وكلما ازداد فيه ازداد إثماً، وعلى هذا اتفق علماء السلف -رحمهم الله تعالى-.

أما حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » فهو ضعيف لا يصح، فقد ضعفه ابن رجب في جامع العلوم والحكم بأربع علل: ضعف نعيم بن حماد، وتفرده، واضطرابه فيه، والانقطاع[1].

(١) جامع العلوم والحكم (٧٢٣-٧٢٤).

وأما رواية الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة... إلخ فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ . فهذه رواية مرسلة لا تصح.

ورواية قتل عمر بن الخطاب ﵁ لذلك الرجل لا تصح سنداً، ولو صحت لكان قد قتله من أجل مسألة واحدة! ولجاز حينئذ قتل كل من لم يحكم بغير ما أنزل الله ولو في مسألة واحدة! وكذا إذا سرق المسلم وجب قتله لأنه تحاكم إلى هواه؟! وهذا لم يقل به أحد من أهل السنة؛ فهذا ليس بصحيح، ثم كيف لم يرجع عمر ﵁ إلى النبي ﷺ؟ إذ لا يجوز أن يفتئت المسلم على الحاكم، فهذه الرواية المرسلة تخالف النصوص الشرعية، فهذه الرواية لا تصح سندًا ولا متنًا.

القاعدة السادسة والثلاثون

التقليد الأعمى يصيّر المقلد عبداً مربوباً للمقلَّد

لذا بوب المؤلف [**باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!، وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول:** ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية:** ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **الآية. فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلّون ما حرم الله، فتحلونه؟» فقلت: بلى. قال: «فتلك: عبادتهم». رواه أحمد والترمذي وحسنه»**].

التقليد وقعت فيه الأمم السابقة، فكانوا يأخذون بقول أحبارهم ورهبانهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام فذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- قول ابن عباس رضي الله عنهما وأحمد والأئمة: أنه متى ما أتاك قول

النبي ﷺ فقل سمعنا وأطعنا، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

وكما وقعت فيه الأمم السابقة كذلك صُدِّر إلينا ووقعنا فيه، فصرنا نقرأ متون المذهب ولا نسمع لآية ولا لحديث، وإذا قيل: قال الله تعالى أو قال رسول الله ﷺ. نرد على ذلك بقولنا: «ولكن قال العالم الفلاني كذا». فأراد الإمام -رحمه الله تعالى- أن يحذر من هذا الأمر؛ إذ الواجب أن نأخذ قول العالم الذي معه الدليل، فقول النبي ﷺ لا يحبس ويعطل حتى يأتي عالم ليفتح باب السجن عن كلامه ﷺ، بل قول العالم هو الذي يحبس ويعطل ولا يقبل ولا يمر على الجسر حتى يأتي بآية أو بحديث النبي ﷺ، فقول العالم يُستدل له ولا يُستدل به، فقول العالم ليس أحد أدلة الشرع؛ لذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ. وتقولون: قال أبو بكر وعمر!.

هذا الكلام صدر من ابن عباس في الصديق والفاروق، فكيف بغيرهم ممن دونهم! وهذا من باب اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله عز وجل.

وعندما حاور ابن القيم -رحمه الله تعالى- أحد المقلدين فرد عليه المقلد بقول إمامه، قال له ابن القيم: ناشدتك الله! لو كان رسول الله ﷺ حياً أمامك فقال لك رسول الله ﷺ قولًا أو حديثًا فهل ستأخذ بقول إمامك أم بكلام النبي ﷺ؟. قال: فسكت.

فالصحيح أننا نأخذ من أقوال العلماء ما يوافق الكتاب والسنة، ولا نقدم قول أحد على قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ؛ لذا أردفه بقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾.

القاعدة السابعة والثلاثون

قاعدة الأسباب

الأسباب ثلاثة

أولاً: السبب المؤثر تأثيراً تامًا مطلقًا.

ثانياً: السبب الناقص الصحيح.

ثالثاً: السبب الناقص غير الصحيح:

١- شركي . ٢- محرم. ٣- مكروه.

أغلب الأبواب في كتاب التوحيد هي تطبيق لهذه القاعدة، فهذه القاعدة هي المفتاح لها، فإذا فُهمت فهماً جيداً تمكن القارئ من فهم أغلب الأبواب بسهولة -بإذن الله تعالى-.

شرح القاعدة

أولاً: التأثير التام المطلق

التأثير في الأشياء تأثيراً مطلقاً بيد الله ﷻ وحده، فلا يقع شيء إلا بإذن الله وحده؛ لأنه لا يفتقر إلى إذن غيره ولا إعانته، ولا يملك غير الله

دفعه، كالشفاعة فهي بإذن الله ﷻ لا تتحقق إلا بإذنه، والضر كذلك؛ فلا أحد يضرّ أحدًا إلا بإذن الله ﷻ، والنفع كذلك، فلا ينفع أحد أحدًا إلا بإذن الله ﷻ، ولا يموت أحد إلا بإذن الله وهكذا، فإذا جُعل شيء من هذا التأثير المطلق بيد غير الله ﷻ أصبح شركاً بالله تعالى.

والله ﷻ لا يحتاج إلى سبب مخلوق إذا أراد أن يفعل شيئًا، ولا إلى معين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، ولا مانع لما أراد، ولا راد لما منع، قال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

ثانياً: السبب الناقص الصحيح

لقد جعل الله تعالى لبعض المخلوقات تأثيراً ناقصاً، ولكن تأثيره لا يكون إلا بإذن الله ﷻ، فهو مجرد سبب، مع الأخذ بالاعتبار أنه ليس السبب الوحيد، فهناك أسباب أخرى بديلة له، وجميع هذه الأسباب تفتقر إلى أخرى معينة لها، ولهذا السبب موانع تمنعه من تحقيق تأثيره؛ لذا سمي سبباً ناقصاً.

أما كونه صحيحاً فلأنه ثبت إما بالشرع أو بالضرورة، فمما ثبت بالشرع أن الدعاء ينفع، فالدعاء سبب للإجابة، وثبت أن الرقية تنفع

في الشفاء، ومما ثبت بالضرورة والحقائق الثابتة أن الشمس تدفئ المكان، والماء يروي، والدواء يشفي، فهذه أسباب ناقصة صحيحة.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

فهو السبب الذي لم يثبت أثره بالشرع ولا بالضرورة، أو كانت مفسدته راجحة.

وسمي سببًا لأن بعضهم يظنه كذلك، وسمي ناقصاً لأنه كالسبب الناقص الصحيح من حيث اعتقاد فاعله أن الأمر بيد الله ﷻ وحده، وأنه يحتاج إلى سبب آخر مُعِين، وقد يستبدل سببًا آخر، وله مانع يمنع تأثيره، ولكن سمي غير صحيح لأنه لم يثبت بالشرع ولا بالضرورة، أو كانت مفسدته أكبر من مصلحته.

وهو أقسام:

١- سبب شركي

فهو سبب ناقص غير صحيح شركي، كأن يقول القائل: هذا سبب من الأسباب ولكن الله تعالى جعل فيه شيئًا من خصائص الألوهية، كما حصل لقريش وكفار العرب مع آلهتهم إذ منحوا خصائص الله تعالى لأصنامهم؛ فاعتقدوا فيها أنها أنفع لهم من الله تعالى لأن الإجابة

الإلهية ربما لا تتحقق وربما تتأخر، بينما هذه الأصنام لا تؤخر الاستجابة وأنها تِرْيَاق مُجَرّب، ومنها ما يعتقده بعضهم في الخرزة أو الكف الذي فيه صورة العين فيعتقد فيه أنه يمنع من كل شر بإذن الله، فهو يجعل الأمر بيد الله، ولكن جعل للسبب خصائص الربوبية في أنه يدفع كل ضر، أو يعتقد في صاحب القبر أنه يهدي القلوب ويغفر الذنوب، وهذا من خصائص الله تعالى.

ومنها أن يجعل لله تعالى شيئًا من خصائص المخلوق، من ذلك أن يعتقد في مخلوق أنه واسطة بينه وبين الله ﷻ في تحقيق المنافع وإجابة الدعاء قياساً على ملوك الأرض، فكما أنه لا ينبغي الدخول عليهم إلا بالواسطة والحجاب فكذلك الله تعالى، فلابد من واسطة بين العبد وبين الله تعالى، فهذا شرك لأنه قاس الله تعالى على ملوك الأرض، فقاسوا الله تعالى المتصف بصفات الكمال بملوك الدنيا المتصفين بصفات النقص الذين يحتاجون إلى الوسطاء ليكملوا نقصهم، فقالوا: إن السبب بيد الله ﷻ. لكنهم جعلوا لله تعالى خصائص المخلوق؛ فشبهوا الله بخلقه.

٢- سبب محرم

السبب الناقص غير الصحيح المحرم هو السبب الذي لم يدل عليه الشرع ولا الضرورة أو مفسدته تفوق مصلحته، ولكن فاعله لم يجعل

فيه شيئًا من خصائص الله تعالى، ولم يجعل لله شيئًا من خصائص المخلوق، كأن يعتقد البركة في الخرزة مثلًا، أو يتبرك بحدوة الحصان ويقول: في هذه بركة بإذن الله قياساً على الحجر الأسود. فكما يتبرك بالحجر الأسود يتبرك بهذه الحدوة وهذه الخرزات. فيقول: ليس في هذه الحدوة شيء من خصائص الله تعالى، ولكنها بركة فإذا تمسحت بها فإن الله يدفع عنك الضر. فهذا سبب ناقص غير صحيح محرم لأنه لم يثبت شرعاً ولا ضرورة.

وكذا الأسباب التي ثبتت ضرورة ولكن الشارع حرمها لأن مفسدتها تفوق مصلحتها، وتشمل جميع الأمور المحرمة الأخرى من مأكولات ومطعومات ومعاملات مالية محرمة ومنكوحات محرمة، فجميعها أسباب ناقصة محرمة غير صحيحة.

٣- سبب مكروه

وهو الذي لم يدل عليه الشرع ولا الضرورة، ومفسدته تفوق مصلحته، ولكنه ليس محرما ولا شركاً.

مثاله: النذر المعلق بشرط. كأن يقول القائل: لله عليّ نذر إن حصلت على تقدير امتياز سأذبح بعيراً. فالنبي ﷺ بيّن أن النذر مكروه، إذ روى مسلم من حديث عبد الله بن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ يومًا ينهانا عن

النذر، ويقول: «إنه لا يرد شيئًا، وإنما يستخرج به من الشحيح»، فهذا سبب ناقص غير صحيح مكروه، لا يقدم ولا يؤخر.

وهذه القاعدة تطبق على الطيرة والعدوى والتوكل والاستعانة والاستغاثة، وكذلك تطبق على أبواب كثيرة ذكرها المؤلف في الكتاب.

من صور تطبيق هذه القاعدة

❑ الصورة الأولى: إجابة الدعاء

لذا بوب المؤلف [باب تفسير التوحيد فذكر قول الله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ »].

أولاً: التأثير التام المطلق

إن التأثير المطلق في إجابة الدعاء ونفع المدعو بيد الله عز وجل وحده، ولا يفتقر سبحانه إلى مخلوق لتحقيق الإجابة، ولا يستطيع مخلوق أن يرد إجابة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ .

ثانياً: سبب ناقص صحيح

إذا قال: أدعو فلاناً الحي وأطلب وجوده لينفعني فيما هو في حدود

قدرته ثم أعطيه مقابل ذلك عطاء. فهذا سبب ناقص صحيح، مثاله: ما لو استعنت بشخص في تصليح سيارتك المتعطلة، أو دعوت طبيباً ليصف لك الدواء، أو الطاهي ليطهو لك الطعام، فاستجابوا لدعائك. فهم أسباب ناقصة لا تؤثر إلا بإذن الله تعالى، ولها موانع تمنعها من تحقيق مقصودها، وتحتاج إلى أسباب أخرى معينة، ويمكن أن تستبدل غيرها، وثبت تأثيرها ضرورة.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

وهو كالسبب الناقص الصحيح من حيث أن له موانع تمنع تحقيق تأثيره، ويحتاج إلى أسباب أخرى معينة، ويمكن أن يستبدل غيره، ولا يؤثر إلا بإذن الله تعالى، ولكن لم يثبت بالشرع ولا بالضرورة، فمنه ما هو شركي ومحرم ومكروه.

١- فإن قال بعد وفاة رسول الله ﷺ: يا رسول الله، اكشف عني الضر. فهذا **دعاء شركي.**

٢- وإن دعا الله تعالى عند شجرة أو عند قبر نبي أو قبر أحد الصالحين تبركًا سائلاً الله تعالى أن يجيبه أسرع عند هذه الشجرة **فهو محرم،** أو قال عند القبر النبوي: «يا رسول الله، ادع الله لي»، فهو لم يطلب كشف الضر من رسول الله ﷺ، وإنما طلب من النبي ﷺ

بعد وفاته أن يدعو الله له ليكشف الله الضر، لتتحقق الإجابة من الله تعالى بصورة أسرع عند القبر الشريف، كما طلب الأعمى من رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو له، فهذا بدعة كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية لأنه قاس الطلب من النبي ﷺ ليشفع له بعد وفاته على الطلب منه في حياته، فقاس الموت على الحياة.

٣- فإن طلب من صالح حي أن يرقيه مفتقراً إليه كان **مكروهاً**؛ لقول النبي ﷺ: «سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، ولقوله ﷺ: «من يبايعني على أن لا يسأل الناس شيئاً وله الجنة»، وتلك المرأة التي تُصرع لما سألت رسول الله ﷺ أن يدعو لها أن لا تصرع نصحها بأن تصبر وتتنازل عن سؤالها له ﷺ ولها الجنة.

❑ **الصورة الثانية: التبرك**

التبرك: هو الثبات والزيادة، فهو ثبات الخير ونماؤه وزيادته، تقول: برك البعير. أي ثبت في مكانه، ومنه قول الله تعالى: ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: أي جعلنا فيه الخير، والخير فيه ينمو ويزيد.

تطبيق قاعدة الأسباب

أولاً: البركة المطلقة

البركة المطلقة هي لمن بيده البركة التامة والتأثير التام المطلق وهو الله ﷻ، فالبركة من الله ﷻ، كما في صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**البركة من الله**»، **فإذا ما وجهتها لغير الله** ﷻ **فقلت: فلان أو هذا المخلوق بيده البركة المطلقة. أصبح هذا شركًا بالله** ﷻ؛ لذا بوب المؤلف باباً فقال:

[«**باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ الآية، عن عمران بن حصين** رضي الله عنه، أن النبي ﷺ **رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْر، فقال: «ما هذه»؟ قال: من الواهنة. فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبداً» رواه أحمد بسند لا بأس به. وله عن عقبة بن عامر** رضي الله عنه **مرفوعاً:**

«من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك». ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ »].

أما حديث عمران وما ورد فيه: «فلو مت وهي في يدك ما أفلحت أبدًا» فهو حديث ضعيف لا يصح، وإن كان معناه صحيحاً.

«**من صُفْر**»: من نحاس.

«**التميمة**»: كل ما يعلق لجلب نفع أو دفع ضر فهو من التمائم، مثل الخرزة الزرقاء وحدوة الحصان والخيط، وقد دعا النبي ﷺ على صاحب التميمة ألا يَتِمّ عليه.

«**الودعة**»: التي تستجلب من البحر كالأصداف أو الأحجار لجلب النفع ودفع الضر، وقد دعا عليه النبي ﷺ بألا يكن في وداعة الله ولا حفظه.

أما حديث: «من تعلق تميمة فقد أشرك» فقد حسنه الشيخ الألباني.

فالحلقة والخيط والودعة تكون شركية إذا اعتقد فيها التأثير التام المطلق في تحقيق البركة؛ لذا قال ﷺ في الحديث: «من تعلق تميمة

فقد أشرك»، وهذا المعنى الأول للحديث.

ثانياً: بركة ناقصة صحيحة

هو أن يعتقد أن هذه البركة المخلوقة تنفع بإذن الله ﷻ، وتحتاج إلى سبب آخر معين، وهذه البركة لها مانع يمنع من تحقق نفعها، فيطلب زوال الموانع ليتحقق نفعها، وهناك أسباب أخرى بديلة قد تحقق نفس النتيجة، وقد ثبتت بركتها بالشرع أو ثبتت ضرورة.

ومما ثبت بالشرع مسح الحجر الأسود في الطواف وأن فيه البركة، ومما ثبت بالشرع التبرك بقراءة القرآن وبالأذكار وبالأدعية وبالرقى التي لم يحرمها الشرع، والتبرك بعرق النبي ﷺ، فكلها ثبتت بالشرع، وكما قال أسيد رضي الله عنه لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لما كانت سببًا في نزول آية التيمم: «ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر»[1].

ومما ثبتت بركته ضرورة النخلة التي فيها بركة كثيرة، وبركتها كبركة المسلم كما في البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم**»، **ثم قال النبي** ﷺ: «هي النخلة»[2].

ومما ثبتت بركته ضرورة التمر، فإن فيه بركة، ويمد آكله بالقوة

(١) رواه البخاري (٣٣٤).
(٢) رواه البخاري (٥٤٤٤)

والنشاط، وثبتت البركة في السحور، ففي البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة»[1].
وبركة جويرية -رضي الله عنها- على قومها كما روت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: لما سبى رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في سهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عمه، فكاتبت على نفسها، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها فقال: «أتزوجك وأقضي عنك كتابتك؟»، فقالت: نعم. قال: «قد فعلت»، فلما بلغ المسلمين ذلك قالوا: أصهار رسول الله ﷺ ! فأرسلوا ما كان في أيديهم من سبايا بني المصطلق، فلقد عتق

بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق، قالت: فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[2].

---

(١) رواه البخاري (١٩٢٣).

(٢) رواه ابن اسحاق (سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٤، ٦٤٥)، ومن طريقه رواه أحمد (٦/ ٢٧٧)، وأبو داود (٣٩٣١)، البيهقي (٩/ ٧٤).

ثالثاً: بركة ناقصة غير صحيحة

إذ يعتقد أن هذا الشيء فيه بركة، وأن البركة المطلقة بيد الله ﷻ، ولا تتحقق بركة هذا الشيء إلا بإذن الله، وأن هذا السبب يحتاج إلى معين، ولابد من امتناع الموانع لتتحقق بركة هذا الشيء، وأن هذا السبب له بديل، ولكن لم تثبت بركة هذا الشيء بالشرع ولا بالحقائق الضرورية، من ذلك الخرزة والتمائم وحدوة الحصان والتمسح بالقبر ولبس الخيط والحلقة لدفع بلاء ما، فهو إما شركي أو محرم أو مكروه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ .

١- فمنه ما هو **شركي** كالتبرك بالخيوط والخرز والتمائم والاعتقاد بأنها أنفع له من الله تعالى، أو أنها تدفع عنه جميع الشرور بإذن الله تعالى، فالتبرك بشيء لدفع جميع الشرور من خصائص الربوبية، وهذا قد جعلها للخيوط أو الخرز أو التمائم، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «من تعلق تميمة فقد أشرك».

٢- ومنه ما هو **محرم** كالتمسح بالقبر معتقدًا بأن الله تعالى سيحقق له مراده بهذا التمسح، أو أن الله تعالى سيغفر له ذنبه بذلك قياساً على مسح الحجر الأسود، فهو يعتقد بأنه يتم بإذن الله ولم يتنازل الله عن شيء من

خصائصه، ولكن لما كان هذا الأمر تعبدياً فإنه يَرِد هذا السؤال: هل هذا التمسح أثبته الشرع؟ الجواب: لا؛ إذن هذه البركة غير صحيحة؛ فهي محرمة .

ومن ذلك رسم الكف أو تعليق التمائم لمنع الحسد وكذا لبس الحلقة والخيط والخرز الأزرق وعقد اللحية تبركاً وتعليق القلادة والأوتار على الإبل ونحوها لرفع بعض البلاء أو دفع الإصابة بالعين بإذن الله تعالى، أو يعتقد بأنها مجرد سبب سيزيدك الله تعالى خيرًا باستعمالها وتعليقها ونحوه فهذا جميعه محرم لم يرد فيه دليل، فلم تدل عليه الضرورة ولا الشرع، بينما من لبسها للزينة لا لشيء سبق ذكره فلا بأس بها كالقلادة والسوار للمرأة والساعة للرجل.

أما قوله ﷺ: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**» فله معنيان: إما شركاً أكبر وقد سبق بيانه في التأثير المطلق والتأثير الناقص غير الصحيح الشركي، وإما ذريعة إلى الشرك وهذا المعنى الثاني للحديث وهو المحرم غير الشركي.

٣- ومنه البركة **المكروهة**، ومن ذلك التبرك بدعاء الصالحين وذلك بأن يطلب من غيره أن يرقيه أو يدعو له لما فيه من البركة، كقول القائل للصالح الحي: يا فلان، ادع الله لي فإني أتبرك بدعائك. فطلبك الدعاء من غيرك لك وهو حي تبركاً وإن كان جائزاً إلا أنه مكروه؛ لما ثبت في

الصحيحين أن النبي ﷺ لما قال: «سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ثم قال: «هم الذين لا يسترقون» أي لا يسألون غيرهم الرقية لأنفسهم، وقال ﷺ: «اليد العليا خير من السفلى» واليد السفلى هي السائلة، وقال ﷺ: «من يبايعني على أن لا يسأل الناس شيئاً وله الجنة».

أما دعاؤه لك دون أن تسأله فهو مستحب، وكذا سعي الآخرين ليدعو لك الرجل الصالح مستحب إذا لم تسألهم السعي والشفاعة عند الصالح.

❑ **الصورة الثالثة: التبرك بقراءة الرقى وكتابة الأذكار في التمائم**

لذا بوب المؤلف: **[باب ما جاء في الرقي والتمائم، في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري ﵁ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت.**

وعن ابن مسعود ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». رواه أحمد وأبو داود.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وكل إليه». رواه أحمد والترمذي.

«التمائم»: شيء يعلق على الأولاًد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود ﵁.

«الرقى»: هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمَة.

و«التِّولة»: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته، وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول ﷺ: «يا رويفع! لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو

تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه».

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه، **قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة» رواه وكيع. وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن»]**.

«**قلادة من وتر**»: كانوا يجعلون على البعير قلادة من وتر وهو حبل أو شيء حتى يدفع العين أو الحسد عن هذا البعير.

«**والرقى**»: ما يقرأ من الأذكار والألفاظ لدفع الأمراض أو لدفع الضر أو لجلب النفع.

«**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»: أي الرقى المحرمة وهي التي من أقوال الجاهلية؛ إذ كانوا يستخدمون بعض الرقى المحرمة.

«**التولة**»: كانت المرأة تتحبب إلى زوجها فتكتب بعض الكتابات وتجعلها تحت وسادة الزوج لتحبب زوجها إليها.

«**من عقد لحيته**»: كانوا يعتقدون أن في عقد اللحية دفعاً للشرور ودفعاً للعين والحسد، فبين النبي ﷺ بأن هذا ليس فيه بركة.

«**من تقلد قلادة من حبل - وتر**»: بقصد دفع العين أو السحر أو الحسد أو لدفع الضر بالعموم.

«**أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه** »: وهذا لا يعني أنه كافر خرج من الملة، ولكنه خرج من دائرة الإيمان الواجب، ودخل في دائرة الإسلام.

«**من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة**»: هو من قول سعيد بن جبير -رحمه الله تعالى-.

ففي عتق الرقبة نجاة من النار، فبكل عضو من العتيق ينجو عضو من المعتق من النار، فكأنه بقطعِهِ التميمة نجَّا صاحبها من النار، فلما نجا صاحبها من النار نجا الله قاطع التميمة من النار؛ فالجزاء من جنس العمل.

قول إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن»، الصحيح في المسألة أنه لم يثبت دليل على صحة التميمة من القرآن.

أولاً: التأثير المطلق

من اعتقد في الرقى والتمائم ما هو من خصائص الله ﷻ بأنها تحقق المطلوب وتؤثر دون إذن من الله ﷻ في دفع الضر أو جلب النفع فهذا شرك.

ثانياً: تأثير ناقص صحيح

الرقى الصحيحة هي التي تكون بالألفاظ التي ثبتت شرعيتها وجوازها بالكتاب والسنة لفظاً أو موافقة للقواعد الشرعية.

ثالثاً: تأثير ناقص غير صحيح

أن يتلفظ بألفاظ أو يكتب كتابة لم يثبت جوازها شرعاً، وإن كان يعتقد أن تأثيرها بيد الله تعالى وحده وأنها لا تعدو كونها أسباباً قد لا تؤثر ولها موانع وبدائل، فمنها الشركي ومنها المحرم.

١- **شركي**: فمن اعتقد فيها ما هو من خصائص الله عز وجل في تحقيق المطلوب أو أن الله تعالى منحها شيئًا من خصائصه في دفع الضر أو جلب النفع فهذا شرك، وكذا الرقية بألفاظ شركية.

٢- **محرم**: أن لا يعتقد في السبب شيئاً من خصائص الله تعالى ولكنه لم يثبت شرعاً أو ثبت تحريمه، كأن يرقي بالألفاظ المحرمة وليست ألفاظاً شركية.

ومن التبرك المحرم أن يجعل القرآن في السيارة أو في البيت دون قراءة للتبرك فهذا لم يأت به الشرع، وإذا كتب شيئًا من القرآن أو الأذكار وعلقه على المريض فهذا لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم، وإن كان ابن القيم رحمه الله ذكر شيئًا من هذا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه كان

يكتب الأذكار بزعفران ثم يغسله بالماء ثم يشرب، لكن هذه الرواية لا تصح عن ابن عباس ﵄، ولو صحت لجازت الكتابة بالزعفران وشربه، لكنها لم تثبت، فمن ثبتت عنده هذه الرواية قال بجواز مثل هذه الكتابة للقرآن أو الأذكار.

سوار الطاقة

موجود الآن ما يسمى بسوار الطاقة الذي يلبس لتزويد لابسه بالطاقة، ويزعمون أنه يطرد الشحنات الكهربية من الجسد، والحقائق الطبية تنفي كل هذا، ولم يثبت فيه شيء، فلو أثبتته الحقائق الطبية لدخل في الأقسام التي تقدم ذكرها مما أثبتته الضرورة والحقائق، أما لو كانت مجرد أشياء للتجارة والتربح والترويج لها بأنها تطرد الشحنات الكهربائية فهو كذب، وإن اعتقد فيها بركة طرد الشحنات بلا دليل فتدخل في قسم التمائم المحرمة، فيحرم حينئذ.

٣- **مكروه**: وهو أن يرقي بالألفاظ المكروهة.

❑ **الصورة الرابعة: التبرك بشجرة أو حجر**

لذا بوب المؤلف [**باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ الآيات، عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ : «الله أكبر! إنها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ «لتركبن سنن من كان قبلكم». رواه الترمذي وصححه»**].

يطبق التقسيم السابق في هذا الباب:

أولاً: التأثير المطلق

«**اللات**»: حجر في الطائف كانت العرب تعبده، وكانوا يتبركون به ويذبحون عليه ويتقربون إليه، وأصل اللات هو رجل كان يلتّ السويق للناس وللحجاج، فلما مات بنوا على قبره هذا الحجر أو تلك الصخرة ثم تقربوا إليه، بحيث أصبح له عندهم تأثير مطلق؛ فعبدوه من دون الله تعالى.

«**العزى**»: كان للعرب شجرة تعبد من دون الله ﷻ، يعتقدون فيها التأثير المطلق والبركة المطلقة، كما قال قائلهم: «لنا العزى ولا عزى لكم»، فهذا شرك أكبر.

«**مناة**»: كان لأهل المدينة صنم بالمشلل يعتقدون فيه التأثير المطلق، وهذا شرك.

ثانياً: السبب الناقص الصحيح

هو ما ثبت بالشرع، كما ثبت التبرك بالمسح على الحجر الأسود والركن اليماني والتبرك بشعر النبي ﷺ وعرقه وثيابه.

ثالثاً: السبب الناقص غير الصحيح

كقول بعض مسلمة الفتح: «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط»: أي اجعل لنا شجرة نعلق عليها سيوفنا لننتصر كما للمشركين شجرة يعلقون عليها سيوفهم فينتصرون، فإن كان اعتقادهم فيها كاعتقادهم في اللات والعزى فهذا كفر مخرج من الملة، وإن كان اعتقادهم أن الله تعالى يبارك لمن علق عليها سيفه فهذا سبب محرم؛ لأنه ذريعة إلى الشرك ولم يثبت بدليل صحيح.

❑ **الصورة الخامسة: الاستعاذة**

لذا بوب المؤلف [«**باب من الشرك الاستعاذة بغير الله وقول الله تعالى**: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾، **وعن خولة بنت حكيم** رضي الله عنها **قالت: سمعت رسول الله** صلى الله عليه وسلم **يقول**: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**». **رواه مسلم**»]

تعريف الاستعاذة

الاستعاذة: هي الستر والمجاورة، فمتى ما جاورت الشيء واستترت به فقد استعذت به، وفُسرت بالالتجاء والاعتصام والتحرز.

وكانت العرب تعتقد بأن الله تعالى هو الذي خلق السموات وخلق الأرض وهو الذي يحيي ويميت، لكنها كانت تتعلق بالمخلوقات كالأصنام والجن وبعض الأموات وتعتقد أنها يمكن أن تُعيذ من جميع الشرور، ومنهم من يعتقد أنها تُعيذ من بعض الشرور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، ومنهم من يعتقد أنها إذا أرادت إعاذة شخص ما فإنه لا يقف أمامها أحد وتحت مشيئتها.

وفي قول الله تعالى: ﴿كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: ففي الجاهلية كان إذا سافر أحدهم فمر على واد وقد أدركه الليل فخشي من جن هذا الوادي قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر قومه. فيستعيذ به من

جميع شرور قومه، أو يقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الشر. فبيّن الله تبارك وتعالى أن هذا الأمر من الشرك، وقد استنكر بعض الجن هذا الأمر.

«**أعوذ بكلمات الله التامات**»: كلمات الله ﷻ قسمان:

الأولى: كلمات شرعية، وهي كلماته في القرآن الكريم وجميع ما ثبت من الأوامر الإلهية والنواهي والأحكام الشرعية.

الثانية: كلمات كونية قدرية، وهي قوله تعالى للشيء: كن. فيكون، وبهذا فسر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- قوله ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامات**»: أي الكلمات الكونية القدرية، فإنه سبحانه وتعالى إذا قال: «كن» بأن لا يصاب هذا الإنسان فلا يمكن لأحد من الخلق أن يمس هذا الإنسان أو يصيبه بشيء، فمن قال: «أعوذ بكلمات الله التامات»: أي أعوذ بكلمات الله الكونية القدرية لم يصبه شيء بإذن الله تعالى، أما الكلمة الشرعية فإن الله يشرع أمرًا ويحكم به، والناس قد يلتزمون بهذا الحكم الشرعي وقد لا يلتزمونه.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: و«كلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»: هي التي كوّن بها الكائنات، فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته... فإنه يدخل تحتها جميع الخلق، حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل النار، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة والقدر لهم فقد افترقوا في الأمر والنهي

والمحبة والرضا والغضب.

وأما «كلماته الدينية»: فهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار»[(١)].

وقال: «وكلمات الله نوعان: كلماته الدينية المتضمنة شرعه ودينه كالقرآن، وكلماته الكونية التي بها كوّن الكائنات، وهي الكلمات التي كان النبي ﷺ يستعيذ بها في قوله: (أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزها بر ولا فاجر)، فإن كلماته التي بها كوّن المخلوقات لا يخرج عنها بر ولا فاجر، بخلاف كلماته التي شرع بها دينه فإن الفجار عصوها كما عصاها إبليس ومن اتبعه»[(٢)].

تطبيق القاعدة السابقة على الاستعاذة

أولاً: الاستعاذة المطلقة

لا يجوز أن نستعيذ استعاذة مطلقة بغير الله تعالى؛ فمن اعتقد في مخلوق أنه يعيذه دون إذن من الله تعالى فقد أشرك، ومن ذلك استعاذة العرب المطلقة بسيد الجن من شر قومه دون إذن من الله تعالى، كما في بعض وجوه الآية

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٠-٢٧١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٦٦).

المذكورة في الباب: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ .

ثانياً: استعاذة بسبب ناقص صحيح

وهي الاستعاذة بمخلوق من شر أمر في حدود قدرته؛ إذ يجوز الاستعاذة بالمخلوقين فيما هو مقدور لهم، وتعتقد فيه بأنه مجرد سبب، وقد يتحقق وقد لا يتحقق، وأن الأمر بيد الله ﷻ، وتعتقد بأن هذا السبب وهو الاستعاذة بهذا المخلوق يحتاج إلى سبب آخر يعينه، وقد يوجد مانع يمنع تأثيره في تحقيق النتيجة، وربما يوجد سبب آخر بدلًا من هذا السبب يحقق ما يحققه السبب الأول، وربما يكون أفضل منه، وجميع ذلك يتعلق تأثيره بمشيئة الله تعالى، ثم لا بد وأن يكون قد ثبت بدليل شرعي أو ثبت ضرورة، فهذه الاستعاذة جائزة.

المثال الأول

روى مسلم عن أبي مسعود رضي الله عنه أنه ضرب غلامه، فجعل يقول: أعوذ بالله. فجعل يضربه، فقال: أعوذ برسول الله. فتركه، فقال رسول الله ﷺ: «**والله! لله أقدر عليك منك عليه**»، فأعتقه.

فاستعاذ الغلام برسول الله ﷺ فيما هو في حدود قدرته ﷺ ليخلصه ويمنعه من ضرب سيده له.

المثال الثاني

عن جابر: أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فأتي بها النبي ﷺ، فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها**»، فقطعت[١].

وفي رواية لأحمد: أن امرأة من بني مخزوم سرقت فعاذت بأسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فأتي بها رسول الله ﷺ فقال: «**لو كانت فاطمة لقطعت يدها**»، فقطعها. (٣/ ٣٨٦)

وفي رواية لأحمد أيضًا: «**فعاذت بربيب رسول الله** ﷺ »[٢].

المثال الثالث

روى مسلم عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم...**» الحديث[٣]، فهذه استعاذة بالبيت وهو مخلوق.

المثال الرابع

ما رواه البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه مسلم (١٦٨٩).

(٢) أحمد (٣/ ٣٩٥).

(٣) رواه مسلم (٢٨٨٢).

«**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرَّف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به**»[1]: أي من وجد شيئًا يستتر به فليلجأ إليه ويستتر وهذه استعاذة ثبتت ضرورة.

ثالثاً: استعاذة بسبب ناقص غير صحيح

هذا النوع يعتقد فيه أنه سبب بيد الله تعالى، قد يتحقق به المطلوب وقد لا يتحقق، وله موانع، ويوجد بديل له، ولكن هذا السبب لم يثبت بدليل شرعي ولم تثبته الضرورة، فمنه شركي ومحرم ومكروه.

١- **شركي**: أن ينسب للسبب أمرًا أو يستعيذ به من أمور لا يستطيعها ولا يقدر عليها إلا الله عز وجل والتي هي من خصائص الله تعالى، وإن كان يعتقد أنه لا يقع إلا بإذن الله تعالى، كأن يستعيذ به من جميع الشرور، كاستعاذة العرب بسيد الجن من جميع شرور قومه، فالإعاذة من جميع الشرور ليست بيد أحد من المخلوقات، وإنما هي من خصائص الله تبارك وتعالى؛ فإذا وجهت لغير الله تبارك وتعالى أصبحت شركًا، فهذا سبب ناقص غير صحيح شركي.

وقد استدل العلماء بهذا الحديث: «من قال: أعوذ بكلمات الله

---

(١) رواه البخاري (٣٦٠١).

التامات من شر ما خلق» على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق من جميع الشرور شرك، فلا يستعاذ من جميع الشرور إلا بالله تعالى أو بصفة من صفاته، فدل الحديث على أن كلمات الله تعالى صفة من صفاته.

٢- **محرم**: وقد يكون السبب الناقص غير الصحيح محرماً، كأن يستعيذ بتميمة أو خرزة أو حدوة أو رسمة يد أو رسمة عين ليدفع الله بها عنه الشر أو الجن أو العين قياساً على ما سبق ذكره من الاستعاذة الصحيحة المقيدة، ولكن هذا السبب لم يثبت ضرورة ولا شرعاً، وبالرغم من ذلك يظن أن الله تعالى جعل فيه البركة.

٣- **مكروه**: وقد يكون السبب الناقص غير الصحيح مكروهاً، كقوله: إذا أعاذني الله عز وجل من ذاك الشر فلله علي نذر أن أذبح شاة. فهو بهذا علق تحقيق النذر بإعاذة الله تعالى له من هذا الشر، وهذا النوع من النذر المشروط مكروه.

❑ **الصورة السادسة: الاستغاثة**

لذا بوب المؤلف [**باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره وقوله تعالى:** ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ **الآية، وقوله:** ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ **الآية، وقوله:** ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ **الآيتان، وقوله:** ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، **وروي الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: « إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل »**].

الاستغاثة: طلب الغوث، والغوث إزالة الشدة، فالاستغاثة طلب إزالة الشدة.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

إن العرب وإن كان عندهم شيء من توحيد الربوبية في الخلق والإحياء والإماتة إلا أن عندهم شركاً في شيء منه كما سبق في الاستعاذة، وكشركهم في الشفاعة إذ يعتقدون أن شفاعة آلهتهم عند الله عز وجل مقبولة

دون إذن من الله تعالى، وكذا عندهم شرك في الاستغاثة.

مسألة

ربما يقول قائل: أما يجوز لي أن أدعو إنسانًا وأستغيث به وهو على قيد الحياة لينفعني؟ فالمريض يذهب إلى الطبيب، والطبيب ينفعه.

الجواب: هو تطبيق القاعدة في الاستغاثة.

أولاً: الإغاثة المطلقة

التأثير المطلق في الغوث بيد الله وحده؛ فلا يؤثر أحد تأثيرًا ذاتيًا في إزالة الشدة وكشف الضر وإجابة المضطر وإغاثته إلا الله تعالى، ولا يستطيع أن يزيل جميع الشدائد إلا الله تبارك وتعالى؛ فإذا وجه إلى غير الله تبارك وتعالى أصبح شركًا.

ثانياً: السبب الناقص الصحيح

أن يعتقد في السبب المخلوق أنه مجرد سبب فيما هو مقدور للمخلوق في الشيء الذي استغاث به، والأمر بيد الله تعالى فإن شاء الله أمضاه وإن شاء لم يمضه، وأن هذا السبب يحتاج إلى معين، ويوجد له بديل، ويوجد مانع يمنع تأثيره، وقد ثبتت صحته إما بالضرورة أو بالشرع.

أما ثبوته بالضرورة كما لو استدعيت طبيبًا لينفعك ويغيثك بإذن الله، أو استدعيت إنسانًا لينقذك من الغرق فأنقذك وأغاثك بفضل الله.

وأما ثبوته بالشرع كما في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ ، فاستجاب موسى عليه السلام لإغاثة من استغاثه، وما نهاه موسى عليه السلام عن مثل هذه الاستغاثة.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

أن يعتقد أنه سبب بيد الله تعالى إلا أنه لم تثبته الضرورة ولم يثبت بالشرع، بل مبني على أوهام وشكوك أو ما كان ضرره أعظم من نفعه، فمنه الشركي والمحرم والمكروه.

١- **الشركي**: من ذلك دعاء الغائب والاستغاثة به كأن يقول: يا فلان، اغثني، يا فلان، اكشف عني الضر، يا فلان، اجعل زوجتي تحمل.

وسمي هذا شركًا لأنه استغاث بغائب.

والغائب هو الذي ليس بينك وبينه اتصال محسوس؛ فلا تسمعه ولا تراه ولا تشعر بمسّه لبشرتك، فالاستغاثة بالمخلوق الغائب شرك، ومثله لو استغاث بميت، فهذا كله شرك.

بينما أنت لو دعوت حيًا تتحسّسَه فيما يقدر عليه الحي لا يعتبر شركاً، كما لو ذهبت إلى الطبيب ليداويك من مرض عضال فلا يعتبر هذا شركاً.

مسألة: لماذا إذا أتيت قبر هذا الطبيب الصالح بعد وفاته وقلت له: يا فلان، داوني، وكما نفعتني في حياتك فانفعني في قبرك. لماذا يعتبر هذا شركاً؟

لماذا إذا استغثت بغائب لا أسمعه ولا أراه ولا أشعر بمسّه يعتبر شركاً؟

لأن هذا المدعو الغائب أو الميت صاحب القبر لا تراه ولا تسمعه ولا يتحسّسَك فهو في حقك غيب، والله تعالى في حقك غيب لا تسمعه ولا تراه وأنت في قبضته وله كمال الحياة، فلماذا دعوت الميت وتركت الله ﷻ؟ لماذا لجأت إليه وتركت الله ﷻ؟ لماذا لا تدعو الله ﷻ؟

الإجابة: لولا أن المستغيث يعتقد أن هذا الميت أنفع له من الله تبارك وتعالى لما دعاه؛ لذا تجده يقول: قبر فلان تِرْيَاقٌ مُجَرّبٌ، دعوت الله سنة وسنتين فلم يتحقق مرادي، فلما دعوت فلانًا استجاب مباشرة.

هذا الشعور والاعتقاد بأنه أنفع له من الله تبارك وتعالى شرك واضح وكفر بالله ﷻ، هذا من جهة.

ولقد اطلعت على مناظرة بين أحد الموحدين وأحد المبتدعة:

قال الموحد للمبتدع: لا يجوز لك أن تطلب من الميت لأنه مخلوق، هذا شرك، إنما يجب عليك أن تطلبه من الله تعالى.

فرد عليه المبتدع قائلًا: أما تذهب أنت إلى الحي وتسأله حاجتك فيحقق لك الغرض؟

فأجاب الموحد: هذا إنسان حي بينما أنت تطلب من ميت لا يتحرك.

فقال المبتدع: أنت تقول: إن هذا لا يجوز لك أن تطلبه من الميت لأنه مخلوق وهذا شرك، فلماذا لا يعتبر طلبه من المخلوق الحي شركا بالله عز وجل؟! فكلاهما مخلوق؟ فإما أن يكون الشيء المطلوب في حدود قدرة المخلوقات أو شيء لا يقدر عليه إلا الخالق، فإذا كان لا يقدر عليه إلا الخالق فطلبه من المخلوق شرك سواء كان المخلوق حياً أو ميتاً، وإذا كان في حدود قدرة المخلوقات جاز دعاء المخلوق ليخلصك منه سواء كان حيًا أو ميتًا، فلماذا اعتبرته أنت شركاً؟ والشرك هو أن تجعل للمخلوق شيئاً من خصائص الخالق أو العكس، بينما الاستغاثة بالمخلوق فيما هو في قدرة المخلوقات على العموم فيما ليس من خصائص الله تعالى لا يسمى شركاً، فلماذا اتهمتني بالشرك؟.

فسكت كل منهما خوفًا من أن يقيم أحدهما الحجة على الآخر، وهذه شبهة يطلقها أهل البدع.

فالله تعالى غيب في حق المستغيث، لا يسمعه المستغيث ولا يراه، ولكن المستغيث في قبضة الله تعالى يملك التأثير التام في ضره ونفعه، أما الميت فإن المستغيث لا يسمعه ولا يراه، والميت لا يتحسسه، فلماذا ترك

الله تعالى واستغاث بالميت إلا لاعتقاده بأنه أنفع له؟ هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: يقال لهذا الشخص: لماذا دعوت فلانًا واستعذت به؟

سيقول: ليشفع لي عند الله ﷻ.

فقل:

أولاً: أنت لم تقل له: اشفع لي عند الله ﷻ. بل قلت له: أغثني. ولو قلت له: اشفع لي عند الله ﷻ. لأصبح بدعة؛ لعدم ثبوت دليل على طلب الشفاعة من الأموات، فأنت قلت له: أغثني، حقق لي مقصدي ومرادي وحاجتي.

ثانياً: ماذا تريد ممن سألته؟ هل تريد من الميت أن يسعى في بذل السبب؟ كحال الطبيب الحي الذي يبذل السبب للشفاء كما احتج به المبتدع، فهل الميت يبذل السبب أيضاً؟.

على سبيل المثال: إذا مرضت، هل أنت تريد من هذا الميت عندما دعوته أن يُجري لك عملية جراحية حتى ترجع إليك عافيتك؟ أم أردت منه أن يصف لك دواء؟ أو يناولك إياه؟ هذا لا يريده أغلب عباد القبور، فقياسه على الطبيب قياس فاسد غير صحيح.

ثالثاً: لو قيل -تَنَزُّلاً- إن المستغيث بالقبر أراد من الميت وصف

الدواء أو إجراء عملية له، فيقال له: إن أجرى لك هذا الميت العملية الجراحية أو وصف لك دواءً هل تعتقد بأن الشفاء غير مضمون وأن الأمر بيد الله وحده؟ وأن هذا مجرد بذل سبب كحال الطبيب الحي إذا أجرى لك العملية أو وصف لك دواءً فقد لا تشفى ولا تتحسن أحوالك؟ عباد القبور لا يعتقدون هذا، إنما يعتقدون أن الميت متى ما أراد شفاء السائل شفاه وحقق له حاجته وكشف كربته، فهو دعاه واستغاث به لاعتقاده بأن الشفاء سيتحقق إذا أراد الميت ذلك ولا بد، بلا علاج ولا عملية جراحية، لذا يقول له: اكشف كربتي، أنا في جوارك. فمن دعا حياً أو ميتاً بهذا الاعتقاد فقد أشرك مع الله تعالى.

مثال آخر:

يقول: أنا أستنصر برسول الله ﷺ كما أستنصر بالأحياء تمامًا، فهل الاستنصار بالأحياء شرك؟

يقال له: لو كان النبي ﷺ موجودًا واستغثت به ليعينك، هل سيتحقق النصر ولا بد؟ أم ربما يحدث كما حدث في غزوة أحد حينما هزم المسلمون، وحصلت لهم النكسة، ولم يتحقق النصر على الرغم من وجوده ﷺ بينهم؟

أنت عندما دعوت رسول الله ﷺ واستغثت به وطلبت منه النصر وهو في قبره إنما أردت منه تحقيق النصر، وكأن الأمر بيده ﷺ وأن النبي ﷺ

يؤثر تأثيرًا ذاتيًا في النصر والشفاء وفي جلب النفع ودفع الضر.

فهذا المبتدع قد جعل الشفاء المطلق والإغاثة المطلقة والنصر المطلق بيد صاحب القبر، وهذا شرك.

فيكون المستغيث قد جعل للمخلوق خصائص الخالق سبحانه.

من جهة ثالثة: يحتج عابد القبر بقوله: إذا أتيت ملكًا من ملوك الدنيا فإنك لا تدخل عليه مباشرة تأدبًا معه، إنما يجب عليك أولاً أن تستأذن من الحاجب أو الوسيط لما للوسطاء من مكانة عند الملوك والتأثير، فإذا كان هذا مع ملوك الدنيا فكيف بالله ﷻ وهو أعظم؟ فلذلك نجعل بيننا وبين الله تعالى وسائط وشفعاء فنستغيث بهم.

بهذه الإجابة يكون قد وقع في عظائم الأمور، منها:

أنه مثَّل الله ﷻ بخلقه، فجعله كملك من ملوك الدنيا، وهذا شرك.

منها: أننا لو تساءلنا: لماذا يلجأ الناس إلى الوسطاء والشفعاء والحجاب مع ملوك الدنيا؟

أولاً: لأن الملك لا يعلم حاجتك فهو غافل عنك وغائب، فيحتاج إلى من يعرِّفه بحاجتك. فهل الله ﷻ غائب عن حاجتك؟ ولا يعرف ما هي؟ ولا يعرف أنك مظلوم أو محتاج؟ فجعلت الله ﷻ كجهال الملوك الذين لا

يعرفون أمر رعيتهم؟ إن الله عز وجل قد وسع كل شيء علماً، كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾، فهذا طعن وانتقاص في حق الله عز وجل.

ثانياً: أو لأن الملك أحياناً لا يريد أن يقضي حاجتك، ولكنه يُحْرَج من الواسطة، فالواسطة تُحرجه بل وربما تُكرهه وتُجبره؛ فيضطر للتجاوب معها، وهل أحد يكره الله عز وجل؟ تعالى الله عن ذلك، وفي الحديث: «فإن الله لا مكره له».

ثالثاً: أو لأن لهذه الواسطة يداً على الملك فما يستطيع الملك أن يردها، وهل لأحد من المخلوقين يد على الله عز وجل؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾.

رابعاً: أو لأن الملك يخاف من تهديد هذه الواسطة؛ لأنه سيجمع الناس ضده ويقلب عليه الأمور؛ فيضطر الملك إلى الاستجابة خوفاً منهم، وهل يخاف الله عز وجل من أحد؟ قال تعالى: ﴿قُلْ فَمَن

يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ﴾، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ .

خامساً : أو يقضيها لحاجته إلى الشفعاء وفقره إليهم بينما الله جل في علاه هو الغني، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ .

سادساً : أو لأن هذا الملك قاسي القلب فيحتاج إلى من يزيده رحمة وحناناً على الناس، فتأتي الواسطة لتحنن قلب الملك على صاحب الطلب، والله عز وجل أرحم الراحمين، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ ، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ﴾ ، وأرحم بعباده من المرأة برضيعها، فهل يحتاج الله عز وجل إلى من يزيده رحمة على عباده؟ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

سابعاً : أو لأن الملك أحياناً لا يشاء شيئًا ما، فتأتي الواسطة فتقنعه لتثنيه عن مشيئته إلى مشيئة أخرى، فيكون المستغيث قد اعتقد في الغائب أو الميت أنه حرك إرادة الله تعالى فجعله مريداً لها بعد أن لم يكن؛ إذ هذا دور المقربين من الملوك، كيف يكون هذا والله تعالى هو الذي بيده إرادات العباد، فهل يستطيع أحد أن يغير مشيئة الله تعالى؟ تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ .

ثامناً : وقد يكون ذلك الملك عاجزًا عن قضائها وحده بينما الله تعالى

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ، أو لا يعرف الملك طريق قضائها فيعرّفه الشافع الطريق بينما ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ .

فقياس رب العزة سبحانه وتعالى على خلقه وتمثيله بملوك الأرض وإنزاله إلى مرتبة ملوك الدنيا ومنحه خصائص الملك المخلوق انتقاص في حق الله ﷻ، وهذه ليست حجة لعابد القبور بل تزيده شركاً في مسألة الاستغاثة ولا تبرئه من الشرك.

وبناء على ذلك يقال له:

أولاً: أنت جعلته أنفع لك من الله تبارك وتعالى، فلماذا لا تدعو الله ﷻ مباشرة؟ فكلاهما غيب في حقك؟.

ثانياً: أنت عندما دعوته وهو ميت أردت منه التأثير الذاتي في النصر والنفع وكشف الضر، وهذا لا يكون إلا بيد الله ﷻ ، وإنما يدعو الناس أصحاب القبور بهذه النية.

ثالثاً: أنت قست الله تعالى المتصف بالكمال بالمخلوق الضعيف الناقص، ووصفته بخصائص المخلوقين.

رابعاً: أنت وصفت الله تعالى بالنقائص إما بعدم علمه، أو غفلته عن حاجة السائل، أو يُحْرج من الواسطة، أو للواسطة يدٌ على الله تعالى، أو يخاف منها، أو لفقره إليها، أو الواسطة أرحم منه فتزيده رحمة وحناناً،

أو الواسطة تغيّر مشيئة الله تعالى، أو لعجزه، أو لا يعرف طريق قضاء حاجة السائل فتعرفه الواسطة كيف يقضيها.

فواحدة مما سبق تعتبر شركاً بالله تعالى.

ومن صور الاستغاثة الشركية أن يستغيث بالمخلوق ولو كان حيّاً فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كإنزال المطر وغفران الذنوب وهداية القلوب، ومن صوره الشركية أن يستغيث به من كل شيء وإن لم يعتقد فيه تأثيرًا ذاتيًا، فكل هذا من خصوصيات الله سبحانه وتعالى.

٢- المحرم: من صوره أن يسأل مخلوقًا حيًا حاضرًا يستغيث به فيما لا قدرة له عليه وإن كان مقدوراً لإنسان آخر أو مخلوق آخر، ومن صوره أن يستغيث بساحر في حل السحر، فيعتقد فيه أنه مجرد سبب والأمر بيد الله عز وجل، فقد يحل الساحر السحر وقد لا يحله، إلا أن هذا السبب لم تثبته الضرورة، ولم يثبت بالشرع بل حرمه، وأن مفاسده كثيرة، فهذا محرم، ومن صوره كل ما حرم الشارع الاستغاثة به.

٣- **المكروه**: من صوره أن يستغيث بالمخلوق بلا مقابل فيكون عالة عليه، فيدخل حينئذ في الاسترقاء المكروه.

وبهذا تم التقسيم الثلاثي.

❑ **الصورة السابعة: الإعانة والنصر**

لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى:** ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ **الآية.**

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ **الآية.**

وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه **قال: شُجَّ النبي** صلى الله عليه وسلم **يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: «كيف يفلح قوم شَجُّوا نبيهم»؟ فنزلت:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم **يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم، العن فلاناً وفلاناً» بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله تعالى:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ **الآية، وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ .

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال: قام رسول الله** صلى الله عليه وسلم **حين أنزل عليه:** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ **فقال: «يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله** صلى الله عليه وسلم **لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً»].**

فقول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾: أي الله هو الخالق؛ فكيف يشركون به المخلوقات الأخرى؟ بل هذه المخلوقات الأخرى تحتاج إلى من ينصرها فكيف يستنصرون بها؟ فبيّن الله عز وجل حال هذه المخلوقات التي يستنصرون بها فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

والسمع أنواع ثلاثة:

سمع إدراك وسمع فهم وسمع استجابة، ولا يلزم من تحقق سمع الإدراك تحقق سمع الفهم، فربما يسمع ويحفظ ولكن لا يفهم، والمقصود من الآية سمع الإدراك، ومعناها: لو سمعوا سمع إدراك ما فهموا، ولو فهموا ما استجابوا لكم.

تطبيق القاعدة بأقسامها الثلاثة التي سبقت:

أولاً: التأثير الذاتي المطلق

الإعانة المطلقة الذاتية والنصر المطلق الذاتي بيد الله عز وجل وحده، فلا يستطيع أحد أن يعينك إعانة ذاتية من عنده ولا ينصرك نصراً ذاتياً إلا الله سبحانه وتعالى، فالذي لا يحتاج إلى غيره ولا يحتاج إلى إذن من أحد هو الله تبارك وتعالى، فهو الذي يعينك وينصرك في جميع الأمور.

مثاله: إذا أتيت إلى ملك من ملوك الدنيا فإنه لا يملك مملكته ملكًا ذاتيًا مطلقًا، بل تحصل له أمور لا يستطيع منعها ولا يكون ذلك إلا بيد الله ﷻ.

من أجل ذلك ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- ما حدث في غزوة أحد أن النبي ﷺ لا يملك النصر وحينما دعا النبي ﷺ على أناس بأعيانهم قال الله تعالى له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ ، وقد أسلموا بعد ذلك وآمنوا بالله ﷻ، وحسن إسلامهم في نهاية الأمر، فأراد أن يبين المؤلف -رحمه الله تعالى- أن الأمر المطلق بيد الله تعالى.

وقوله ﷺ : «**لا أغني عنكم من الله شيئاً**»: هذا يوم القيامة، أي لا أستطيع أن أدفع عنكم شيئاً ولا أملك نصرتكم، فالأمر بيد الله ﷻ من حيث الإعانة المطلقة والنصر المطلق.

ثانياً: سبب ناقص صحيح

أن تستعين بمخلوق وتستنصر به فيما هو مقدور له، وفيما أثبته الشرع أو أثبتته الضرورة، وتعتقد وجود أسباب

أخرى معينة له، وموانع قد تمنع تحقق تأثيره، وأنه توجد أسباب أخرى تؤدي نفس مقصوده، وأن هذا السبب لا يؤثر إلا بإذن الله تعالى.

مثاله: أن تستعين بملك وتستنصر به فيما هو في حدود قدرته الظاهرة وله ملك ظاهر، ولكن تعتقد بأنه ما هو إلا سبب والأمر بيد الله ﷻ، والله تعالى قد ينتزعه منه متى شاء، فهو الذي مَلَّكَه إياه ومنحه له، فهذا سبب ناقص أثبتته الضرورة في ملكه للدولة، فملكه للدولة ملك ناقص.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

إذا اعتقد في سبب أنه بيد الله ﷻ، وأن هذا السبب قد يبطل إذا شاء الله تعالى، وله موانع، ولكن هذا السبب لم تثبته الضرورة ولا الشرع وإنما بناه على أوهام وشكوك وظنون، أو أثبتته الضرورة ولكن مفاسده أكثر من مصالحه، فهذا النوع منه ما هو شركي، ومنه ما هو محرم، ومنه ما هو مكروه.

مثاله: أن تقول: بيد الميت ملك ظاهري مجرد، والله تعالى يستطيع أن يسلبه منه، ولكن اعتقادك بأن الميت يملك لم تثبته الضرورة، وما هو إلا شكوك وأوهام، فماذا يملك الميت؟ لا شيء يملكه، بل يورَّث مالُه وتُقْسم تركتُه لزوال ملكه عنها، فهذا سبب ناقص غير صحيح، قد يكون شركيًا، وقد يكون محرمًا، وقد يكون مكروهًا.

١- **فمن الشرك** أن يستعين ويستنصر بمخلوق في جميع الأمور، ومنه

أن يستنصر بالميت أو الغائب في أمرٍ ما ، وقد سبق تفصيله في الاستغاثة.

٢- **ومن المحرم** أن يستعين ويستنصر بمخلوق حي فيما ليس في مقدوره وإن كان في مقدور مخلوق آخر.

٣- **ومن المكروه** أن يستعين بمخلوق ويستنصر به بلا مقابل فتكون يده سفلى بينما يد المخلوق الآخر يد عليا .

❑ الصورة الثامنة: الشفاعة

لذا بوب المؤلف [**باب الشفاعة وقول الله تعالى**: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ **وقوله**: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآيتين.

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله. ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ **فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ـ لا يبدأ بالشفاعة أولاً ـ ثم يقال له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفع، وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه». فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل**

الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه»].

باب الشفاعة باب عظيم زَلَّت فيه العرب فوقعت في الشرك، وإليك البيان:

أولاً: الشفيع: هو من كان أحاديًا منفردًا فجاء الآخر فشفعه، أي أصبح زوجًا بعد الانفراد، ومنه الشفع والوتر.

ثانياً: الشفاعة التي نفاها الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ هي الشفاعة المطلقة المقبولة التي تُقبل دون إذن من الله ﷻ، فلا شفاعة مقبولة إلا بإذن الله تعالى، وعلى ذلك دلت الآيات التي ذكرها المؤلف.

ثالثاً: شروط الشفاعة

حتى تكون الشفاعة صحيحة مقبولة يوم القيامة أو لمغفرة الذنوب يجب أن تتوفر فيها ستة شروط:

الشرط الأول: أن تكون هذه الشفاعة مشروعة

لا تقبل الشفاعة سواءً كانت دنيوية أم أخروية لمغفرة الذنوب أو جلب منفعة أو دفع مضرة إلا بتوفر هذا الشرط وهو أن تكون الشفاعة قد شرعها الله تعالى.

لو توفرت جميع الشروط الأخرى ولكن هذه الشفاعة لم تُشرع لم تُقبل حينئذ الشفاعة.

مثاله: حديث الشفاعة والذي فيه شفاعة أهل الجنة لمن كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم لمن كان في قلبه مثقال شعيرة، ثم مثقال ذرة، ثم يبقى في النار من قال: لا إله إلا الله. ولم يعمل خيرًا قط، فالشافع والمشفوع كلاهما مرضي عنهما لأنهما من أهل التوحيد، لكن المشفوع له لم يقبل الله تعالى الشفاعة فيه لأنها لم يشرعها الله تعالى كما في الحديث: فيقال لي: «يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسل تُعطه، واشفع تُشفّع»، فأقول: أي رب، أمتي أمتي. فيقال لي: «انطلق فمن كان في قلبه مثقال خردلة من إيمان فأخرجه منها. فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد فأخر له ساجدًا، فيقال لي: «يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسل تُعط، واشفع تُشفّع»، فأقول: أي رب، أمتي أمتي. فيقال لي: «انطلق فمن كان في قلبه أدنى من ثلثي مثقال من خردل فأخرجه من النار»، فأنطلق فأفعل، ثم أقوم الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا، فيقال لي: «يا محمد، ارفع رأسك، وقل

يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفّع»، فأرفع رأسي فأقول: أي رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله. فيقال لي: «ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله».

وفي رواية لمسلم: «فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط»، وفي رواية للبخاري: «فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه».

فالشفاعة لمن لم يعمل خيرًا قط لم يشرعها الله تعالى لأحد من الخلق، فهي شفاعة غير مأذون بها لأحد، إنما يُخرجهم الله تعالى بلا شفاعة، يُخرجهم برحمته سبحانه، ومنهم آخر رجل يخرج من النار.

فالشفاعة المقبولة لا بد وأن يشرعها الله تعالى، فيدل الدليل على جوازها لأنها عبادة وإلا فلا تقبل، لذا لما قال الكفار: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾؟ فأين الدليل على قبول تلك الشفاعة التي تقدموا بها؟ فلا بد وأن يدل الدليل على جوازها والإذن بها.

وكذا دعاء الميت وسؤاله ليشفع له عند الله تعالى فيقول: «يا فلان، اشفع لي عند الله تعالى» فهو محرم؛ إذ لم يدل الدليل على مشروعية هذه الشفاعة، هذا **أولاً**.

ثم هي ذريعة إلى التمادي في سؤاله في كشف الضر وجلب النفع، وهذا **ثانياً**.

ثالثاً: هو اعتداء في الدعاء؛ إذ هو تكليف الميت بما ليس له.

رابعاً: هو معارض لجميع الأدلة الدالة على أن الأموات هم الذين يحتاجون إلى الأحياء وأنهم لا يستوون مع الأحياء، فكيف يُسألون؟.

لذا عندما يذهب شخص إلى الميت ويقول: يا رسول الله، يا أبا بكر، يا عمر، يا علي، اشفع لي عند الله تبارك وتعالى. فهؤلاء مرضي عنهم، مأذون لهم في الشفاعة لإيمانهم، والسائل من أهل لا إله إلا الله، ويقول: أنا لم أدعه ليكشف عني الضر بل ليدعو الله لي. ويقول: أنا مأذون لي في الشفاعة لأني من المسلمين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا بدعة»[1]. وذلك لاختلال الشرط الأول للشفاعة المقبولة حيث لم تثبت مشروعية هذه الشفاعة، ففقد شرطًا من شروط الشفاعة الصحيحة، وإذا اختل شرط واحد من الشروط لم تُقبل الشفاعة.

فهذه الشفاعة ليست مشروعة، فهي شفاعة محرمة.

---

(١) المجموع (٢٧/ ٧٦).

الشرط الثاني: الرضا عن المشفوع له.

لو أردت أن تشفع لشخص فلا بد وأن يكون مرضيًا عنه عند الله ﷻ وهو أن يكون من أهل التوحيد، وإلا لا تُقبل فيه الشفاعة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟. قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله. خالصًا من قلبه أو نفسه».

مثاله: شفاعة نوح عليه السلام في ولده.

شفع نوح عليه السلام لابنه، لكن الله ﷻ لم يقبل شفاعته ولم يرض بها؛ لأن ولده ليس من أهل التوحيد الذين هم أهل الشفاعة، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

مثال ثان: شفاعة إبراهيم عليه السلام في والده.

ورد في الحديث أن الله عز وجل لا يقبل شفاعة إبراهيم عليه السلام في أبيه فيتحول إلى ذكر الضبع فيُلقيه في النار، كما عند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟. فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟. فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم، انظر ما تحت رجليك؟. فينظر، فإذا هو بِذِيْخٍ متلطخ، فيُؤخذ بقوائمه فيلقى في النار».

مثال ثالث: شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب.

روى البخاري عن المسيب رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله** »، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويُعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك»، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ

لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ ، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ .

مثال رابع: استغفار النبي ﷺ لأمه.

أراد النبي ﷺ أن يستغفر لأمه فما قَبِل الله عز وجل منه، كما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت».

الشرط الثالث: أن يأذن الله للشفاعة في المرضي عنه

ليس كل مرضي عنه مأذونًا لأن يُشفع له، فربما يكون من أهل التوحيد ولا يأذن الله بالشفاعة له.

فهؤلاء المؤمنون في حديث الشفاعة لما شفعوا لأهل الكبائر من أهل النار في المرحلة الأولى أذن الله تعالى لهم إذناً خاصاً بالشفاعة فيمن كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ولم يأذن بالشفاعة لمن كان في قلبه مثقال نصف دينار مع كونهم من أهل التوحيد مرضياً عنهم ومن أهل الشفاعة، وفي المرحلة الثانية لم يأذن بالشفاعة إلا لمن كان في قلبه مثقال نصف دينار من إيمان ولم يأذن بالشفاعة لمن كان في قلبه مثقال شعيرة من

إيمان وهم مرضي عنهم من أهل التوحيد، وفي الثالثة لم يأذن إلا لمن كان في قلبه مثقال شعيرة ولم يأذن لمن كان في قلبه مثقال ذرة، ففي كل مرحلة كان فيها إذن خاص لمجموعة خاصة.

الشرط الرابع: الرضا عن الشافع

قد يكون المشفوع له مرضيًا عنه -أي من أهل التوحيد- ومأذونًا له إذناً خاصاً، لكن لا بد وأن يكون الشافع مرضيًا عنه أي من أهل التوحيد؛ لقول الله تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ ، فإذا لم تُقبل شفاعة الأنبياء والرسل في المشفوع له المشرك فكيف إذا كان الشافع مشركًا؟ كيف تُقبل شفاعته؟ ؛ لذا قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ .

الشرط الخامس: أن يكون الشافع مأذوناً له إذناً عاماً في الشفاعة

فقد يكون الشافع مرضياً عنه من أهل التوحيد ولكن لا يؤذن له في الشفاعة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ ، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ .

من ذلك آخر رجل موحد يخرج من النار فلا يبقى بعده رجل يشفع له هذا الموحد.

الشرط السادس: أن يكون الشافع مأذونًا له في تلك الشفاعة

إن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مرضي عنهم، والناس الذين من أهل التوحيد في عرصات يوم القيامة مرضي عنهم كذلك، وبالرغم من ذلك لا يؤذن للأنبياء بالتقدم بالشفاعة ليأتي الله تعالى للفصل بين العباد، فكل منهم يقول: «نفسي نفسي»، فلم يؤذن لأحد منهم، والوحيد المأذون له في هذه الشفاعة في هذا المقام هو رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله، فلا يتعرض أحد لهذا النوع الخاص من الشفاعة إلا سيد البشر ﷺ بعد إذن الله ﷻ له، كما في الحديث: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله. فيأتون موسى فيقول: لست لها، لكن عليكم بعيسى فهو روح الله وكلمته. فيأتون عيسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد. فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجدًا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسل تُعط، واشفع تُشفّع»[(١)].

فلا بد وأن يكون الشافع مأذوناً له في الشفاعة حتى تُقبل شفاعته، حتى رسول الله ﷺ لم يتقدم بالشفاعة لهم إلا بعد أن أذن الله تعالى

(١) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

له بقوله: «يا محمد، قل يُسمع لك، وسل تُعط، واشفع تُشفّع».

ولكن بعض أنواع الشفاعة لم يشترط الله تعالى فيها الرضا عن المشفوع له، وهذه الشفاعة ليست في مغفرة الذنوب أو لدخول الجنة ولكن لتخفيف الأذى والعذاب، فيخفف الله عنه ولكن لا يخرجه من النار ولا يقبل الاستغفار له، كشفاعة النبي ﷺ لأبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وكذا شفاعته ﷺ لجميع أهل الموقف يوم القيامة مؤمنهم وكافرهم ليأتي الله تعالى للفصل بين الناس .

تطبيق القاعدة على مسألة الشفاعة:

أولاً: الشفاعة المطلقة

هي التي نفاها الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ هي الشفاعة المطلقة المقبولة، التي لا يحتاج المشفوع عنده إلى إذن أحد، فهذه الشفاعة المطلقة بيد الله عز وجل وحده، إذا وُجّهت لغير الله عز وجل أصبحت شركًا، وهذا قد وقع فيه كفار قريش؛ إذ اعتقدوا أن الأموات يشفعون ابتداء دون إذن من الله عز وجل، فهذا شرك في الربوبية أدى بهم إلى الشرك في الألوهية، ويعتقدون في الشافع أنه إذا قَبِلَ أن يشفع فإنه يتحقق مطلوبه وتُقبل شفاعته ولا بد.

ثانياً: سبب ناقص صحيح

هو سبب يُبذل لتُقبل الشفاعة، وثبت بالأدلة، وتوفرت فيه الشروط الستة للشفاعة المقبولة، كما في شفاعة المؤمنين لأهل الكبائر من أمة النبي ﷺ، وربما تُقبل، وقد تُرَد، فالأمر متعلق بمشيئة الله تعالى، وهناك سبيل آخر لخروج أهل الكبائر من النار وهو أن الله ﷻ قد يُخرجهم دون شفاعة، وربما تكون هناك موانع فما تُقبل شفاعة المؤمنين، وقد تؤجّل كما في حديث شفاعة المؤمنين لأهل الكبائر من النار، فمرجع الأمر إلى الله تعالى وإن توفرت شروط السبب الصحيح.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

هو أن يعتقد أن هذه الشفاعة ما هي إلا سبب من الأسباب، وهي بيد الله تبارك وتعالى، ولا تُحقق شيئاً إلا بإذنه سبحانه، لكن اختل شرط من شروطها، فهذا النوع من الشفاعة إما أن تكون شفاعة شركية أو محرمة أو مكروهة.

١- **الشفاعة الشركية**: كمن يستشفع بالميت أو الغائب فيعتقد فيه أن الله تبارك وتعالى تنازل له عن شيء من خصائصه، أو يعتقد فيه أنه حرّك إرادة الله تعالى فجعله مريدًا لها بعد أن لم يكن، بينما الله تعالى هو

الذي بيده إرادات العباد بل ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، أو يعتقد أن الميت قد جعل الله رحيمًا به بعد أن لم يكن، بينما الله تعالى ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، أو يقيس الله تعالى على ملوك الدنيا في الشفاعة فيقول: كما أن لملوك الدنيا وسطاء وحجابًا فكذا الله تعالى، فيكون بذلك قد انتقص الله تعالى؛ إذ ملوك الدنيا لا يعلمون حوائج رعيتهم، بينما الله تعالى وسع ﴿كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾، والملك في الدنيا قد يكون عاجزاً عن قضاء حاجة السائل ويحتاج إلى مُعين، بينما الله تعالى ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أو لا يعرف طريق قضائها، بينما الله تعالى ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، أو يقضيها لحاجته إلى الشفعاء وفقره إليهم، بينما الله جل في علاه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾، أو لخوفه منهم، بينما الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾، أو لما لهم من اليد عليه، بينما الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾، أو يقضيها الملك مُكرهًا، بينما الله تعالى لا مُكره له، فيكون قد جعل للخالق سبحانه شيئاً من خصائص المخلوق.

٢- **الشفاعة المحرمة**: أن يكون الشافع أو المشفوع غير مرضي عنه، أو لم تثبت الشفاعة بالدليل، أو انتقض شرط من شروط الشفاعة فتكون محرمة.

٣- **الشفاعة المكروهة**: أن يذهب إلى فلان مفتقرًا إليه ليشفع له في أمر من الأمور، ويكون الآخر متفضلًا عليه.

مسألة: إذا كان النبي ﷺ لا يشفع إلا بإذن من الله ﷻ فما فائدة شفاعته ﷺ؟

بياناً لمكانة النبي ﷺ وإظهاراً لكرامته عند الله تعالى أمام العالمين بأن الله ﷻ لا يسمح لأحد في إنقاذ أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم من هول ذلك المطلع إلا بشفاعة رسول الله ﷺ؛ لذا بعد شفاعته ﷺ لأهل الموقف يقومون إلى النبي ويحمدونه على ذلك، كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ .

❑ **الصورة التاسعة: السحر**

لذا بوب المؤلف: [**باب ما جاء في السحر وقول الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ **وقوله:** ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ ، **قال عمر: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»، وقال جابر: «الطواغيت كهان، كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد»، وعن أبي هريرة** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»، وعن جندب مرفوعاً: «حد الساحر ضربه بالسيف» رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف، وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة» قال: فقتلنا ثلاث سواحر، وصح عن حفصة** رضي الله عنها**: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت، وكذلك صح عن جندب، قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي** ﷺ].

تعريف السحر

لغة: كل شيء خفي سببه فيه، وفيه لطافة ودقة، ومنه حديث: «إن من البيان لسحرًا»: أي إن للبيان والفصاحة تأثيراً خفياً على القلب.

اصطلاحًا: هو علم باستعدادات تقتدر بها النفوس البشرية على التأثير على الأطراف الأخرى من غير مباشرة -أي ليست محسوسة- ولكن بتأثير خفي عن بُعد.

أدخل بعضهم العين في السحر، بل وحتى الحسد أدخلوه في السحر لدخوله في التعريف اللغوي والاصطلاحي، وكذلك التأثير الحراري أو تأثير الطاقة كأن يكون أحدهم في المشرق والآخر في المغرب فيقول أحدهما للآخر: لقد أرسلت إليك طاقة في الساعة كذا، أما شعرت بها؟. فيقول: نعم شعرت بها. فهذا تأثير خفي ويعتبر من السحر؛ لأنه ربما يقتله ولا يُستدل عليه من قبل القضاة، وكذا يقال في العين والحسد، فقد يصيبه بالعين ولا يستدل عليه، ويصيبه بالحسد ولا يستدل عليه، أما التأثير بالتحسس كأن يمسك موضعًا من جسده فيؤثر على باقي الجسد فلا يدخل في السحر.

أنواع السحر

النوع الأول: سحر حقيقي: يؤثر بآلة أو من غير آلة، بتوجيه النفس بطريقة معينة، بشيء معين، إلى شخص معين ليؤثر عليه، وقد يؤثر عليه عن طريق أشياء محسوسة كالكتابات وغيرها.

النوع الثاني: سحر تخييلي: كما حصل لموسى عليه السلام من قبل السحرة، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ ، فالحبال بقيت كما هي لم تتحول إلى ثعابين،

ولكن بالتأثير على العين يُخيل للرائي أنها ثعابين، وكذا ما حصل للنبي ﷺ من قِبَلِ اليهودي لبيد بن الأعصم، فكان النبي ﷺ يُخيل إليه أنه أتى أهله ولم يكن أتاهم، مدة ستة أشهر.

والسحر كله حرام.

أما قول جابر رضي الله عنه: «الطواغيت كهان، كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد»، فالرواية حسنة وسيأتي الكلام على الكهان في باب منفصل -بإذن الله تعالى-.

وأما ما ورد عن جندب مرفوعاً: «حد الساحر ضربة بالسيف»، فالصحيح كما رجحه الترمذي أنه موقوف أي من قول جندب رضي الله عنه وليس من قول النبي ﷺ.

وأما قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة»، فاحتج بعضهم بهذا على أن عمر رضي الله عنه يرى أن حد الساحر هو القتل، ولكن الآخرين يرون أن هذا من التعزير وليس حداً، والحاكم هو الذي يحدد ما هو المناسب لذلك، وهذا هو الراجح.

ثم ذكر المؤلف **[باب بيان شيء من أنواع السحر.**

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العيافة والطرق

والطيرة من الجبت». قال عوف: العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط بالأرض، والجبت قال الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه .

وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ : «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد» رواه أبو داود وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة ﵁: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه».

وعن ابن مسعود ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر ﵄، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من البيان لسحراً**»].

أما حديث: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت» فحديث ضعيف.

وأما «**العيافة**» فهي زجر الطير.

«**الطرق**»: هو الخط يُخط في الأرض سواء من قِبَل الكاهن أو من قِبَل الذي يسأل الكاهن ثم يُمْسَح، أو يخط الكاهن خطوطًا فيمسح الرجل

بعضها أو العكس، ثم يتكهن له الكاهن فيقول: أنت سيحصل لك كذا وكذا، ويأتي آخر فيخط خطًا ويقول: سيحصل لك كذا وكذا.

«**رنة الشيطان**»: المزامير والمعازف وكلها تدخل ضمن الجبت.

أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك »وهكذا السحرة يفعلون يعقدون خيوطًا وينفثون فيها، لكنها رواية ضعيفة وإن كان معناها صحيحاً، كما قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾.

«**من اقتبس شعبة من النجوم**»: للنجوم استخدام مأذون به وآخر غير مأذون به، أما غير المأذون به بأن تستخدم النجوم للوصول إلى شيئين: أولهما عملي، وثانيهما علمي.

أولاً: الشيء العملي

كالاعتقاد بأن النجوم والكواكب قوى سماوية تؤثر على الإنسان.

ثانياً: الشيء العلمي

كأن يستدل بالنجوم على أمور معينة على الحوادث والغيبيات كالأبراج: برج الحمل، وبرج الثور، وبرج الدلو، وكل هذه الأمور تتعلق بعلم النجوم، وهي أمور غيبية حرمها النبي صلى الله عليه وسلم.

فالذي من برج الحمل سيحصل له كذا وكذا، ومن الغد سيحصل له كذا وكذا وغير ذلك من الغيبيات، وأن حركة هذه الكواكب والنجوم ستؤثر عليك وعلى أخلاقك وتصرفاتك وعلاقاتك مع الناس، فبيّن النبي ﷺ أن هذا شعبة من السحر، كلما ازداد التعلق بهذه النجوم في الأمور العملية والعلمية فقد ازاد من مقارفته للسحر، وسيأتي تفصيله في التنجيم -بإذن الله تعالى-.

تطبيق القاعدة على السحر

أولاً: التأثير الذاتي

من اعتقد أن الساحر أو الجني بيده تأثير ذاتي على المسحور فهو شرك بالله تعالى، وإنما التأثير الذاتي بيد الله تعالى وبإذنه كما قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾.

أو يعتقد في النجوم والكواكب تأثيراً ذاتياً خفياً على النفوس أو على الأبدان تأثير السحر دون إذن من الله تعالى.

ثانياً: سبب ناقص صحيح

أن يعتقد أن التأثير بيد الله سبحانه، وأن هذا مجرد سبب، يحتاج إلى مُعين، وله موانع تمنع من تحقق تأثيره، وتوجد أسباب أخرى تحقق نفس التأثير، وكله بإذن الله تعالى، وقد ثبت تأثيره بالشرع أو بالضرورة ولم يحرمه الشارع، ومفسدته لا تغلب مصلحته، فهذا جائز كما ذكره المؤلف من قول النبي ﷺ: «**إن من البيان لسحراً**»، فالبيان له تأثير على النفوس، وبيّن ﷺ أن تأثيره كالسحر، فإذا كان تأثيره في النفوس حسناً فحكمه الاستحباب، وإذا كان تأثيره مباحاً فحكمه الإباحة، فحينئذ يكون سبباً ناقصاً صحيحاً وليس شركاً.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

أن يعتقد أن التأثير الذاتي بيد الله سبحانه، وكما سبق في السبب الناقص الصحيح إلا أنه لم يثبت تأثيره بالشرع ولا بالضرورة وإذا ثبت تأثيره كانت مفسدته أكبر من مصلحته، وهو أنواع:

١- **الشركي**: إذا صاحبه اعتقاد أن الساحر أو الجني أو النجوم والكواكب يعلمون الغيب.

٢- **المحرم**: أن يستعمل السحر ولا يعتقد فيه تأثيراً ذاتياً أو علماً بالغيب، ولكنه يتعاطاه ويتعامل مع السحرة ولا يجزم بعلمهم للغيب وإنما

أغلبه ظن، فيغلب على ظنه أنه صحيح؛ لذا اختلف العلماء هل يُقتل حداً أم تعزيراً؟، ومن صوره التنجيم المحرم كما ورد في الحديث وكذا التعريف المحرم والطرق المحرم، وسيأتي بيانها -بإذن الله تعالى-.

ومن المحرم التأثير في النفوس عن طريق الحسد أو العين أو الطاقة أو النميمة، فهذا ليس سحرًا شركيًا، ومثاله كما في رواية ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس**»، فبيّن النبي ﷺ أن النميمة مؤثرة ولكن لم يبين أنها من الشرك.

٣- **المكروه**: منه البيان المكروه بأن يتكلم كلاماً بليغاً مؤثراً في النفوس ولكن في الأمور التي يكرهها الشارع.

❑ **الصورة العاشرة: العرّاف والكاهن**

لذا بوب المؤلف [**باب ما جاء في الكهان ونحوهم.**

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن أبي هريرة: من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس منا من تَطير أو تُطير له، أو تَكهن أو تُكهن له، أو سَحر أو سُحر له. ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .رواه البراز بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى..» الخ.

قال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، قيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: «العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق».

وقال ابن عباس -في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم -: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق»].

فالكاهن: الذي يخبر بالأمور المستقبلة، وهذا يكون عن طريق الاتصال بالجن وبغيره ويدخل فيه التنجيم.

والمنجم: الذي ينظر في النجوم فيتكهن أو يتكلم بما بدا له في النجوم، ويذكر الحوادث التي ستحدث بتأثير النجوم بزعمه.

والرّمال: الذي يضرب في الأرض، أو أنت تضرب في الرمل وتحرك يدك وتخطط، فينظر الرمَّال فيه فيقول لك: سيحصل لك كذا وكذا. وسيأتي بيانه في صور الطرق -بإذن الله تعالى-.

والعراف: من يُعرّفك بالأمور سواء كانت الماضية أم المستقبلة أم الحاضرة بأي طريقة من الطرق السابقة فيجمع العراف كل هذه الأنواع.

أقسام العرافين:

أولاً: عراف يعرِّف بالماضي والمستقبل.

ثانياً: عراف يعرِّف بالمستقبل فقط.

ثالثاً: عراف يعرّف بالماضي فقط.

تطبيق القاعدة على التعريف:

أولاً: علم الغيب المطلق

هو الإخبار عن الأمور المستقبلة وغيرها التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾، فالله يعلم صفة الموجود بالأرحام، وكيف سيتصرف لو وُلِدَ؟ وكيف ستكون أخلاقه؟ وكيف سيموت؟ وغيرها من الأمور الدفينة التي لا يعلمها إلا الله ﷻ ولا يعلمها البشر بتقنياتهم الحديثة.

هذا هو الغيب المطلق الذي يغيب حتى عن الملَك الذي أُمر بكتابة أَجَل الجنين وسعادته أو شقائه، فالملك لم يعلمها إلا بإخبار الله ﷻ له، فهو يعلم بإخبار الله ﷻ له أن هذا المولود سيكون شقيًا أو سعيدًا، ولكن لا يعلم تفصيل ذلك إلا الله ﷻ، فسعادته أو شقاؤه غيب بالنسبة لك وليس غيبًا بالنسبة إلى المَلَك الذي كتب، وأما ادعاء العلم به على التفصيل الدقيق فهذا غيب مطلق لا يعلمه الملَك ولا أنت، ومن ادعاه في مخلوق فقد أشرك مع الله تعالى مما هو من خصائص الله تعالى، وكذا الإخبار عن الأمور الماضية التي لا يعلمها إلى الله تعالى، فلا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهم.

ثانياً: علم ناقص صحيح

هو أن يقول بأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى ولكنه استفاد هذا العلم إما بسبب شرعي أو ضروري.

من ذلك الغيب النسبي، فمن الأمور والحوادث الماضية ما هو غيب بالنسبة لك، ولكنها ليست غيبًا بالنسبة لغيرك، فما عليك إلا أن تسأل الذي شاهد تلك الحوادث وحضرها فيخبرك بما رآه من الماضي أو بما يشاهده الآن في مكان لا تستطيع أنت الوصول إليه، فربما يتصل إنسان بصاحبه فيقول له: من بجانبك؟. فيخبره، فيسأله: ماذا يفعل؟ فيقول: يفعل كذا وكذا. فهو يخبرك بما هو غيب بالنسبة لك، ولكنه مشاهَد ومرئي وليس غيبًا بالنسبة له.

وأنت قد تعرف بعض الحوادث التي مر عليها خمسون أو ستون سنة ولم تشهدها وإنما أخبرك بها أبوك أو جدك، وربما عن طريق كتاب مؤلَّف تعرف ما الذي حصل في كل لحظة من لحظات الوقت المعين لذلك الشخص؛ لأنه كان شاهداً لهذه الوقائع وقت حدوثها، فهل يَحرُم هذا لأنه يعتبر من الإخبار بالغيب؟.

الجواب: لا مانع من ذلك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، بل حتى ولو عرفه عن طريق الاتصال بالجن الذي قد يصدق

وقد يكذب أو كان جنياً مؤمنًا لا يكذب، فذكر شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- ما حدث لأبي موسى الأشعري ﵁ عندما كان في البصرة وأراد أن يعرف مكان عمر بن الخطاب ﵁ في المدينة، فكلمت امرأةٌ صاحبَها من الجن عن مكان عمر بن الخطاب ﵁، فأخبرت أبا موسى الأشعري عن مكان عمر ﵁[1]، ومثله كذلك السؤال عما يحصل الآن في الحال عن طريق من هو مشاهد للحوادث

ومن ذلك التكلم بالغيبيات المستقبلة التي هي من باب غلبة الظن والفراسة: فالمتخصص في الاقتصاد يتكلم بتوقعاته المستقبلة في سوق الأسهم عن طريق الأسباب الصحيحة، هل يجوز تصديقه؟ فهذا يدخل في قسم السبب الناقص الصحيح؛ إذ يغلب على ظنه عن طريق معرفة السوق أنه سيرتفع أو سينخفض، أو عن طريق التفرس في الوجه؛ إذ يرى علامات الشر في وجهه فيقول: هذا الوجه سيقتل أو ستحدث مشاكل من قِبَل هذا الشخص، وهذا من باب غلبة الظن بسبب صحيح.

وكذا ما دل عليه الكتاب والسنة من الأمور الماضية والمستقبلة، فقد دل عليها الشرع.

---

(١) آكام المرجان في أحكام الجان «بدر الدين الشبلي» (ص ١٩٣).

ثالثا: علم ناقص غير صحيح

وهو ما لم يثبت بالشرع ولا بالعلم الضروري، أو ما كان تعلمه بسبب شركي أو محرم أو مكروه، منها الإخبار عما سيحدث في هذا العام من بداية رأس السنة، فهذا كهانة.

ومن ذلك التكلم بالغيبيات عن طريق الاتصال بالجن الذي يسترق السمع فيسمع الكلمة فيكذب عليها مئة كذبة فيخبر الكاهن، ثم يأتي إنسان يلجأ إلى الكاهن يسأله عن شيء ما فيكذب عليه الكاهن تسعاً وتسعين كذبة يخطئ فيها وقد يصدق في واحدة، وإذا قيّمنا هذا الأمر وحسبنا هذه العملية رياضيًا فهل يعتبر هذا شكًا أم وهمًا أم ظناً غالباً أم يقيناً؟ إنه وهم وخطأ، لأن النسبة ١٠٠:١ كما في الحديث: «يكذب معها مئة كذبة»، فإذا صدَّقه الإنسان هل سيصدّقه من باب غلبة الظن أم من باب اليقين؟! إذا صدقه من باب اليقين في أنه يعلم الغيب فهذا كافر؛ لأنه ساوى هذا الكاهن مع الله ﷻ في علم الغيب، وهذه عرافة شركية.

أما إذا صدقه من باب غلبة الظن فيقول: هو كاذب، لكن ربما يصدق. فهذا الذي أخبر عنه النبي ﷺ أنه لا تقبل له صلاة أربعين صباحاً؛ لأنه بنى حياته على الأوهام فيجعلها ظنوناً غالبة، وسيهدم حياته وحياة الآخرين، وقد قال النبي ﷺ: «إياكم والظن فإنه أكذب الحديث»، ثم

بهذا التصديق يكون قد روّج لهؤلاء الكذابين وأعانهم على الكذب، وقد قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾، ثم هو ذريعة لادعاء معرفة هؤلاء بعلم الغيب وإعانتهم على النصب على الناس، ثم هو طريق إلى التعلق بهؤلاء الكهان الكذابين؛ فهذا خرج من دائرة الإيمان ودخل في دائرة الإسلام على التقسيم المذكور سابقًا، فإن صدقه يقينًا دخل في الكفر، وإن صدّق الكاهن من باب الظن وأنه قد يصدق وقد يكذب فقد خرج من دائرة الإيمان ووقع في دائرة الإسلام.

أما حديث: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » فقد صححه بعضهم، والصحيح أنه ضعيف إنما هو من أقوال الصحابة -رضي الله عنهم-.

أما الطيرة في حديث: «من تَطير أو تُطير له أو تَكهن أو تُكهن له» فسيأتي الكلام عليها -بإذن الله تعالى-.

وحديث عمران: «ليس منا من تطير... أو سَحَر أو سُحِر له» ففيه كلام؛ إذ رواه البزار[١] من طريق أبي حمزة العطار، عن الحسن، عن عمران، وفيه علتان:

الأولى: الإرسال؛ إذ لم يسمع الحسن من عمران كما قال ابن المديني.

(١) (٣٠٤٤- الكشف).

الثانية: أبو حمزة العطار وهو إسحاق بن الربيع فيه ضعف، ضعفه الفلاس وابن عدي، وقال ابن عدي: يُكتب حديثه. وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه، وكان حسن الحديث. وقال الإمام أحمد: لا أدري ما هو.

وأما حديث ابن عباس فرواه البزار(١)، والطبراني في الأوسط(٢) من طريق زمعة، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس به دون زيادة: «من أتى كاهنًا».

وسلمة بن وهرام لا بأس بحديثه من غير رواية زمعة عنه؛ فإنها منكرة، وهذه من رواية زمعة عنه، قال أحمد: روى عنه زمعة أحاديث مناكير أخشى أن يكون حديثه ضعيفًا. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس بروايات

الأحاديث التي يرويها عنه غير زمعة. وقال ابن حبان: يعتبر حديثه من غير رواية زمعة عنه. أ.هـ

فالرواية عن ابن عباس منكرة؛ فلا يتقوى الحديث بهذا الطريق.

(١) (٣٠٤٣- الكشف).
(٢) المعجم الأوسط (٤٢٦٢) (٤١٨٥- مجمع البحرين).

❑ الصورة الحادية عشرة: التنبؤ عن طريق الطرق والخط

سبق ذكر حديث: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»، وبيان أنه ضعيف.

مسألة: هل يمكن معرفة شخصية الخطاط من خلال خطه؟

الخط والتنبؤ به ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول

أن يقوم العراف بخط مجموعة من الخطوط على الأرض أو الرَّمل أو على الورق بحضور المتنبَّأ له، ثم يقوم العراف أو الحاضر بمسح بعض الخطوط ويترك الخطوط الأخرى، ثم يتنبأ العراف بأشياء تخص الحاضر، فهذا الذي يدخل في الطَّرْق المنهي عنه ويسمى بالرَّمَّال.

القسم الثاني

وهو التوصل إلى شخصية الخطاط من خلال حركة يده وقوة ضغطها على القلم والخط وَحِدِّتها، فهذا نوع من الفراسة، وهو جائز، وهو معروف عند العرب والمسلمين وعند العلماء، كما هو معروف في بحث الإمام الشافعي عن علم الفراسة وتحصيله لها.

تطبيق القاعدة على الطرق والخط:

أولاً: التأثير المطلق

وهو أن يكون في تخطيطه تأثير ذاتي تام مطلق، يؤثر في المخطوط له دون مشيئة الله تعالى، فمن علقه بغير الله تعالى فهو مشرك شركاً أكبر، وكذا لو اعتقد أن المتنبِئ يعلم الغيب فهو شرك أكبر؛ إذ جعله مساويًا لله تعالى في علم الغيب.

ثانياً: سبب ناقص صحيح

وهو أن يعتقد في دلالات تلك الخطوط على بعض الأمور أنها مجرد أسباب، والأمر بيد الله وحده، وقد دل الشرع عليه، كأن يُعلّم الله تعالى نبياً من أنبيائه ما هي دلالات هذه الخطوط؟ أو يلهمه الله معرفة ذلك، أو رزقه الله تعالى القواعد التي من خلال خط الشخص يعرف شخصية ذلك الشخص، كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي إذ قال للنبي ﷺ: ومنا رجال يخطون. قال النبي ﷺ: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خَطَّه فذاك»[1].

قال النووي: الصحيح أن معناه أن من وافق خطه فهو مباح له...،

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧/ ١١٩٩).

المعنى: أن ذلك النبي لا منع في حقه، وكذا لو علمتم موافقته[1].

وقال القاضي عياض: المختار أن من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول... ويحتمل أن هذا نسخ في شرعنا[2].

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ: ويحتمل أن المعنى أن سبب إصابة صاحب الخط هو موافقته لخط ذلك النبي، فمن وافق خطه أصاب[3].

ويدخل فيه الفراسة، وهو التفرس في حركة يد الخطاط وقوة ضغطه للقلم وحدِّة زوايا الخطوط وتعقيدها وغير ذلك، ليتوصل من خلالها إلى بعض الصفات الشخصية للخطاط من خلال حركة يده وقوتها وشدتها، كما ورد عن الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني أنهما كانا جالسين بفناء الكعبة، فدخل رجل من باب المسجد، فقال أحدهما: أراه نجاراً، وقال الآخر: بل حداداً.

فتبادر من حضر إلى الرجل فسألوه، فقال لهم: كنت نجاراً وأصبحت الآن حدادًا.

فتوصلوا إلى ذلك من خلال حركة يده وجسمه.

(١) شرح مسلم (٥/ ٢٣).
(٢) شرح النووي لمسلم (٥/ ٢٣).
(٣) تيسير العزيز الحميد (٤١٤).

فالتفرس في الخطاط يدخل في قواعد علم الفراسة؛ لذا ورد عن ابن عباس أنه قال في الخط يخط في الأرض: «كان نبي من الأنبياء يخط، فيعرف بالفراسة بتوسط تلك الخطوط»[1].

وهذا معروف، أن حالة الإنسان تؤثر على خطه؛ لذا قد يتوصل بالخط إلى حالة الخطاط النفسية لحظة خطه تلك الخطوط، فقد قال الناشئ:

كتبت إليكم أشتكي حرقة الهوى   بخطٍّ ضعيفٍ والخطوط فنون

فقال خليلي: ما لخطِّك هكذا   دقيقاً ضئيلًا ما يكاد يبين

فقلت: حكاني في نحولٍ ودقة   كذاك خطوط العاشقين تكون[2]

بل بعض الخطاطين: إذا جئ إليه بالخط يستطيع أن يميز خط الرجل من خط المرأة.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

هو أن يتنبأ من الخطوط مستقبل المخطوط له وهذا نوع من الكهانة، كقراءة الفنجان والودع.

قال الشيخ ابن باز: «الطرق» الخط يخط في الأرض ويقولون: هذا يدل على كذا، وأنه يحصل كذا. أهـ

---

(١) فتح الله الحميد المجيد (٣٢٠ - ٣٢١)، وانظر: مغنى المريد (٥/١٨٣٦ - ١٨٤٠) (٥/١٨٦٣).

(٢) قول على قول (٦/٢٤٨).

فمنه الشركي ومنه المحرم.

فإن جزم به فهو ادعاء علم الغيب في المستقبل، وهذا مضاهاة لتفرد الله تعالى بعلم الغيب؛ **فهو شرك** بالله تعالى.

وإن لم يجزم به وإنما حكم بالظن فهو من **الكهانة المحرمة** المبنية على التخرص، والإصابة فيه نادرة.

وقال الشيخ سليمان بعد كلامه السابق: إذا كان كذلك، وكانت الإصابة نادرة بالنسبة إلى الخط، ولا طريق لنا إلى اليقين بالموافقة، صار ذلك بالنسبة إلى من يتعاطاه من أنواع الكهانة[١].

وعلى هذا يحمل قول النووي في حديث معاوية بن الحكم السلمي: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»، قال: ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بموافقة النبي؛ فلا يباح، والمقصود أنه حرام، وقال الخطابي: يحتمل النهي عن هذا الخط إذا كان علَماً لنبوة ذاك النبي، وقد انقطعت، فنهينا عن تعاطي ذلك[٢] .

(١) تيسير العزيز الحميد (٤١٤).
(٢) شرح مسلم للنووي (٥/ ٣٣).

❏ الصورة الثانية عشرة: ادعاء العلم

ينقسم ادعاء العلم إلى الأقسام الثلاثة:

أولاً: العلم المطلق

الله تعالى متصف بالعلم على أكمل وجه وجوباً، فالعلم صفة لازمة لله تعالى، ومن وصف غير الله تعالى بالعلم الكامل فقد أشرك مع الله تعالى في خصائصه.

ثانياً: العلم الناقص الصحيح

من المخلوقين من يتصف بالعلم بسبب ناقص صحيح، إما بسبب ضروري أو بسبب شرعي، من ذلك العلم الفطري والعلم المكتسب بالطرق الجائزة، ومنه علم الملائكة بما قضاه الله تعالى فمنهم من يسمع قضاء الله بسمعه المخلوق الذي يعتري المخلوق ما يعتريه، ومنهم من لا يسمعه وإنما بإخبار غيره من الملائكة له، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ﴾، فلا بأس من نسبة العلم لمن يستحقه.

ثالثاً: العلم الناقص غير الصحيح

من المخلوقين من يتصف بالعلم بسبب ناقص غير صحيح كالجن مسترقي السمع، أو يُنسب إليه العلم وهو لا يستحق هذه النسبة، فهو علم

ناقص غير صحيح كالكهان والسحرة، فمنه الشركي والمحرم والمكروه.

١- **الشركي**: كمن يصف الكهان والسحرة أنهم يعلمون الغيب يقيناً.

٢- **المحرم**: كمن يغلب على ظنه أن الكهان والعرافين يصدقون في ذلك ولا يجزم به؛ لذا قال النبي ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً»، ومنه استراق الجن لما يدور في السماء وهي وسيلة محرمة لاكتساب العلم، ومنه وصف الجاهل بالعالم، وادعاء العلم من قبل من لا يعلم كادعاء العلم من قبل الكهان والعرافين.

٣- **المكروه**: اكتساب العلم بطريقة مكروهة.

لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك. حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها عن لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها،

وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا. فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة ـ أو قال: رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل »].

في هذا الباب بيان سبب لجوء الكفار إلى الكهان والعرافين وهو ادعاؤهم العلم.

﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ : أي ارتفع الفزع عن قلوبهم.

﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾: فالله يتكلم بالوحي، ويخاطب جبريل به، وجبريل عليه السلام يخاطب أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة يخاطبون أهل السماء السادسة، وهكذا حتى يصلوا إلى السماء الأولى، فإذا وصل الخبر إلى ملائكة السماء الأولى صعدت الجن لاستراق السمع،

فيسمعون الكلمة فيكذبون عليها مئة كذبة ثم يبلغونها إلى الكهان فيظن الناس أن الكهان يعلمون الغيب فيستعينون بهم، فهذا هو السبب في شرك الناس وتوجههم إلى السحرة والكهان.

❏ الصورة الثالثة عشرة: النُّشْرَة وهو حل السحر

لذا بوب المؤلف [**«باب ما جاء في النشرة، عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه أحمد بسند جيد وأبو داود. وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله، وفي «البخاري» عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. أ.هـ وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر. قال ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:**

إحداهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، ويبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز»].

أما النشرة: فهي حل السحر، والسحر غالبًا ما يحصل عن طريق العُقَد، كما قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ ، فإذا حل العقد ونشرها فُكَّ السحر وارتفع -بإذن الله تعالى-.

تطبيق القاعدة

أولاً: التأثير المطلق

إن التأثير المطلق في حل السحر بيد الله وحده؛ فمن اعتقد في مخلوق ساحر أو كاهن أو جني أو مَلك أن التأثير المطلق في حل السحر بيده وأنه يحله دون إذن من الله تعالى فقد أشركه مع الله تعالى، وهو شرك يخرج عن ملة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾؟!.

ثانياً: التأثير الناقص الصحيح

وهو أن يعتقد في أحد المخلوقين من رجل صالح أو طبيب أو حكيم أنه يمكنه القيام بعمل صالح يعينه في حل السحر -بإذن الله تعالى- وأنه مجرد سبب، ويحتاج إلى أسباب معينة، وتوجد موانع قد تمنع من تحقيق ذلك، وأنه توجد أسباب أخرى بديلة، وقد ثبت تأثيره إما بالشرع أو بالضرورة، ومصلحته تغلب على مفسدته فهذا جائز.

من ذلك حل السحر عن طريق القرآن والأذكار فهذا أمر مشروع، كما لو قرأ المعوذتين، وكما حصل للنبي ﷺ لما فك السحر -بإذن الله تعالى-، أو حلّه برقية رجل صالح أو بأدوية أو دعوات صالحة أو

عمل مباح يعلمه أهل الخبرة دون أن تصاحبه محظورات شرعية.

ثالثاً: التأثير الناقص غير الصحيح

وهو كالتأثير الناقص الصحيح في شروطه وضوابطه إلا أنه لم يثبت بالشرع ولا بالضرورة، أو ثبت بالتجربة لكن الشارع حرمه، أو لغلبة مفاسده على مصالحه، من ذلك الذهاب إلى السحرة والكهان لحل السحر، فقد بَيَّن النبي ﷺ أنه من عمل الشيطان، وقال الحسن البصري: «لا يحل السحر إلا ساحر»: أي يذهب إلى الساحر ليحل السحر، فهذه هي النُّشْرَة التي نهى عنها النبي ﷺ، فمنها الشركي والمحرم.

١ - **الشركي**: منه أن يتقرب إلى الجن بنحر جزور أو ذبح شاة أو دجاجة أو بيضة وتلطيخ دمائها بالمسحور فهذا شرك مخرج من الملة.

٢ - **المحرم**: من ذلك أن يذهب إلى السحرة دون أن يفعل الشركيات ولكن يدفع للساحر أو الكاهن ثمناً لعلاجه؛ فيعين الساحر أو الكاهن على الاستمرار في فجوره، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾

وبعض العلماء يرى جواز الذهاب إلى من يداويه ولو كان ساحراً إذا كان مضطراً كما هو منسوب إلى سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى- كما ذكره المؤلف عنه. وفي رواية عن قتادة أن سعيد بن المسيب سئل: «في الرجل يؤخذ عن امرأته فيلتمس من يداويه. فقال: إنما نهى الله عما يضر،

ولم ينه عما ينفع»[١]، وفي رواية عنه: أنه كان لا يرى بأساً إذا كان بالرجل سحر أن يمشي إلى من يُطلقه عنه: فقال: هو صلاح. قال قتادة (الراوي عن سعيد): وكان الحسن يكره ذلك يقول: لا يعلم ذلك إلا ساحر. فقال سعيد بن المسيب: إنما نهى الله عما يضر، ولم ينه عما ينفع»[٢]. فهو يرى جواز فك السحر عن طريق الساحر؛ لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾، والمسحور مضطر، فإذا جاز قول كلمة الكفر عند الاضطرار، أما يجوز للمسحور أن يذهب إلى ساحر من باب الاضطرار فيقول له: «ارفع عني السحر مقابل المال ولا شأن لي بك»؟ بينما جمهور العلماء يرون تحريمه لأن الساحر لا يرفع هذا إلا بشرك.

(١) رواه الأثرم. تغلق التعليق (٥/ ٤٩) وفتح الباري (١٠/ ٢٣٣) وصححه ابن حجر.
(٢) تغليق التعليق (٥/ ٤٩) وفتح الباري (١٠/ ٢٣٣).

❑ **الصورة الرابعة عشرة: الطيرة**

لذا بوب المؤلف [**باب ما جاء في التطير وقول الله تعالى**: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ **وقوله**: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر» أخرجاه. زاد مسلم: «ولا نوء، ولا غول».

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة». ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل.

ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم، لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك»، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل. رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم، لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك».

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما: «إنما الطيرة ما أمضاك أو

ردك»].

المقصود بالطيرة: التشاؤم، وأصلها زجر الطير.

وكان العرب في الجاهلية إذا زجروا الطير فذهب إلى اليمين تفاءلوا وأقدموا على العمل وسموه السانح أي فيه الخير، وإذا ذهب الطير إلى جهة اليسار قالوا: في هذا العمل شر. فيتشاءمون ويمتنعون عن العمل، فسُمي هذا التشاؤم بالطيرة.

أما قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أي أن شؤمهم الحقيقي هو عقوبتهم التي ادخرها الله عز وجل لهم، وسيرون شؤم أعمالهم وشؤم معصيتهم في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾: أي شؤمكم ملازم لكم بسبب معاصيكم وكفركم بالله عز وجل.

«**العدوى**»: انتقال المرض من إنسان لآخر، والمعنى أن يُعدي إنسان آخر بسبب مرضه المُعدي كالطاعون أو الجذام.

«**الهامة**»: نوع من أنواع الطيور يسمونها البوم، كانوا يتشاءمون عند وجودها.

«**صفر**»: هو الشهر الثاني من الأشهر الهجرية، كانت العرب تتشاءم إذا دخل عليها ذلك الشهر؛ لأن الأشهر الحرم المتوالية التي يحرم فيها القتال

ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، فإذا انتهت يأتي بعدها شهر صفر فيستبيحون فيه القتل، فيكثر القتل فيه وينتشر، فيكرهون شهر صفر ويقولون هو شهر شؤم؛ ولذا كانوا يبادلون بين شهر صفر ومحرم، فيجعلون أحدهما مكان الآخر، فيستبيحون شهر محرم ويحرمون شهر صفر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾ .

«**النوء**»: النزول، والمراد منازل القمر أو النجوم، وسيأتي بيانها وحكمها -بإذن الله تعالى- في التنجيم في الصورة السادسة عشرة.

«**الغول**»: نوع من الجن أو الشياطين، كانت العرب تزعم أنها تتراءى للناس في الفلاة متلبسة ومتصورة على صور الحيوانات فتضلهم وتهلكهم، فأبطله النبي ﷺ.

حكم الطيرة:

أولاً: التأثير المطلق

الأمر بيد الله وحده من خير وشر، فله سبحانه التأثير المطلق في ذلك دون إذن من أحد ولا راد لأمره، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾؛ فالاعتقاد بأن مخلوقًا ما بيده الشؤم وأنه مستقل بإلحاق الشر أو الضرر بغيره ويؤثر فيه تأثيرًا ذاتيًا دون مشيئة الله تعالى فهذا شرك بالله عز وجل مخرج من ملة الإسلام؛ لأن الأمر بيد الله وحده.

ومن ذلك أن يعتقد في وجود البومة أو رؤيته وجه فلان تأثيراً مستقلاً في إلحاق الضرر به؛ لذا ورد في الحديث: «الطيرة شرك»، وفي الحديث الآخر: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك».

ثانياً: سبب ناقص صحيح

هل هناك شؤم صحيح؟

نعم، وهو أن يعتقد أن هذا الشيء مجرد سبب من أسباب الشر والضرر، وثبت بالأدلة الصحيحة إما بالأدلة الشرعية أو أثبتته الضرورة، وأن الأمر كله بيد الله ﷻ، وربما لا يقع الشر، وأن هذا السبب يحتاج إلى مُعِين، وأنه لا يخلو من وجود مانع يمنع من تأثيره في حلول المصيبة والضرر، ويعتقد أنه يوجد سبب آخر غير هذا السبب له نفس التأثير في وقوع المصيبة.

فمن الشؤم الصحيح ما رواه البخاري في صحيحه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، إنما الشؤم في ثلاث: في الفرس، والمرأة، والدار»، وقد فسره الحديث الذي رواه أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة، من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقوة ابن

آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»، وقد رواه ابن حبان عن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء».

المرأة السوء: هي التي دوماً تؤذي زوجها وتجلب له المشاكل باستمرار، وكذلك يجري هذا الحكم على الزوج السوء.

الجار السوء: هو الذي يؤذي جاره.

المركب السوء: السيارة التي تتعطل يومياً، وقد تتعطل عند كل إشارة ضوئية، وفي شدة الحر، وفي شدة البرد ويجري على ذلك الطائرة والسفينة والدراجة.

كذلك الدار السوء: إذا كانت كثيرة الأذى لساكنيها أو ضيقة، فربما عشرة أفراد في غرفة واحدة؛ دوماً يتشاجرون فيما بينهم، وكذا لو كانت الدار كثيرة المشاكل في التمديدات الصحية أو الكهربائية أو في الخرير وتسريب الماء أو أصل البناء.

جميع هذه الأسباب تسبب الأذى والضيق للإنسان وتزعجه وتمنع راحته.

فقوله ﷺ: «ثلاثة من الشؤم...» يدل على أن شؤم المخلوقات ثبت بدليل شرعي، وكذلك الضرورة أثبتته.

ومما ثبت بالضرورة الإصابة بالعين، فبعض الناس -والعياذ بالله- يصيب الناس بالعين دومًا، وآخر حسود بطبيعته، فالناس يجتنبونهما ويتشاءمون بوجودهما لأنهما من أسباب الضررُ، ومن أسباب الشؤم المعاصي، فالمعصية شؤم والكفر شؤم، وقد دل الشرع والضرورة عليهما، كما قال الرسل للكفار المعاندين: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ ، ويدخل في ذلك الصاحب السوء والرفيق السوء في العمل أو السفر.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

أن يعتقد في شيء ما أنه مجرد سبب من أسباب الشر ولكن لم يدل عليه الشرع ولا الضرورة، فمنه الشركي والمحرم والمكروه.

١- **الشركي**: أن يعتقد أن وجود هذا الشيء ينبئه عن مستقبله السيء قطعاً ويقيناً وليس من باب غلبة الظن، فهذا نوع من الشرك؛ إذ علق علم الغيب به، كأن يقول: وجه فلان إذا ظهر في شيء فالنتيجة معروفة. أو يتشاءم من البومة أو من طائر معين فيعتقد اعتقاداً جازماً أن الأحداث القادمة كلها شر وضرر بعد رؤيته للبومة أو وجه فلان ولو لم يعتقد

فيها تأثيراً ذاتياً.

٢- **الشؤم المحرم**: أما إذا غلب على ظنه أنه إذا رأى وجه فلان أو بومة فإنه سيستقبله شر أو ضرر، ولم يقطع بذلك إنما مجرد ظن غلب عليه فاستجاب لظنه فهو محرم، كما قال معاوية بن الحكم رضي الله عنه للنبي ﷺ: ومنا رجال يتطيرون، قال ﷺ: «ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم»(١).

فهذا هو الذي قال فيه النبي ﷺ: «الطيرة شرك»، وقال عبد الله بن عمرو: «من أرجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»(٢)، فإن أرجعته معتقدًا وقوع الشر يقينًا فهذا الشرك المخرج من الملة، وإن كان ظنًا فهو شرك أصغر غير مخرج من الملة وهو محرم؛ إذ لم يدل عليه الشرع ولم تثبته الضرورة، كما بينه الطحاوي(٣)، وابن عبد البر(٤)، وذلك أنه ذريعة إلى الشرك ويفتح للشيطان باباً عظيماً ليدمر حياة الشخص بالوساوس، ويقضي على علاقاته مع الناس ويفسدها عليه.

ولكن أحيانًا يشعر الإنسان بشيء من الشؤم شعورًا اضطرارياً، فعليه أن لا يرجع عن العمل بل يستمر في طريقه؛ لذا قال ﷺ: «فلا

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧).

(٢) رواه ابن وهب (٦٥٨) والصوري (السير للذهبي ١٦/ ٥١٧)، وروي مرفوعًا بسند ضعيف.

(٣) المشكل (٢/ ٢٩٩).

(٤) التمهيد (٩/ ٢٨٥).

يصدنكم»، وله أن يقول كما قال عبد الله بن عمرو: « اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا رب غيرك»[1].

مسألة: لماذا حُرمت الطيرة ولم يُحرم التفاؤل؟

الفرق بين الفأل والطيرة:

أولاً: الفأل حسن ظن بالله ﷻ، بينما الطيرة سوء ظن بالله تعالى، فالتفاؤل بالاسم أو الوجه أو الكلمة الطيبة فيه حسن ظن بالله ﷻ، كما قال النبي ﷺ: «يعجبني الفأل: الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة»[2]، وقال النبي ﷺ: «إذا أبردتم إليّ بريدًا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم»[3]، وكان ﷺ يتفاءل بالاسم الحسن.

ثانياً: التفاؤل يُدخل الفرح والسرور في قلب العبد ويشرح صدره؛ فيجلب له البشارة ويقوي قلبه وهذا مطلوب شرعاً؛ لذا حث النبي ﷺ على الكلمة الطيبة، بينما التشاؤم يجلب له الحزن.

ثالثاً: الفأل يزيد من رجائه من الله تعالى، بينما الشؤم يقطع رجاءه بالله ويُدخله في ظلمة اليأس ثم القنوط من رحمة الله تعالى.

رابعاً: التفاؤل يدعو إلى المضيِّ في العمل والاستمرار فيه، بينما

(١) رواه ابن وهب (٦٦٠) بسند حسن.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٧٥٦) ، ومسلم (٢٢٢٤).

(٣) رواه البزار (الكشف - ١٩٨٥، ١٩٨٦).

إساءة الظن تدعو للانقطاع عن العمل؛ فهذا إقدام وذاك إحجام.

خامساً: التفاؤل يعين على التوكل على الله تعالى ببذل الأسباب، بخلاف التشاؤم الذي يمنع من التوكل على الله تعالى ومن بذل الأسباب.

ولكن لا يجعل الفأل آمراً له وباعثاً له على الفعل وعدم وجوده مانعًا له، فإن هذا فعل أهل الجاهلية؛ إذ كانوا يستقسمون بالأزلام، فإذا خرجت علامة الخير فعل الشيء وأقدم عليه، ثم الأزلام ما هي إلا استشارة الآلهة عن هذا الأمر الذي يريد أن يُقْدِم عليه، فهي عندهم بمثابة صلاة الاستخارة، ويدخل في هذا الضرب بالحصى والكتابة على الرمل وغيرها بالإضافة إلى ما فيهما من ادعاء علم الغيب للكاهن والرمّال وقد سبق بيانهما.

إنما الفأل المشروع هو أن يفعل أمرا أو يعزم عليه فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره أو يرى ما يسره فيستبشر به ويفرح ويمضي في أمره ويستمر؛ لذا لا يصح الفأل باستفتاح المصحف، وذلك أنه إذا أراد أن يُقْدِم على شيء أخذ المصحف وفتحه فما سقط إصبعه أو عينه على آية استدل بها على إقدامه على الفعل أو إحجامه عنه، فليس هذا الفأل الذي يحبه رسول الله ﷺ، وإنما يسن له صلاة الاستخارة بدلًا من ذلك[1].

أما حديث عقبة بن عامر المذكور: «أحسنها الفأل» ففيه ضعف، وإن

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ٦٦ -٦٧).

كانت بعض ألفاظه جاءت في أحاديث صحيحة، فقد رواه أبو داود من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن عروة بن عامر، وليس عقبة بن عامر، وأعله الحافظ ابن حجر بحبيب بن أبي ثابت فقال: ولكن حبيب كثير الإرسال[١]. وقال: والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة[٢]. وأعله كذلك أبو أحمد العسكري والبيهقي والمزي والشيخ الألباني بإرسال عروة لأنه تابعي[٣].

أما حديث الفضل بن عباس: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك» فقد رواه أحمد من طريق محمد بن عبد الله بن علاثة، عن مسلمة الجهني عن الفضل به، وأعله ابن مفلح بابن علاثة والانقطاع[٤]؛ إذ لم يسمع مسلمة الجهني من الفضل، ثم لم يوثقه معتبر[٥].

(١) الإصابة (٢/ ٤٧٦).
(٢) التهذيب (٧/ ١٨٥).
(٣) انظر: التهذيب (٧/ ١٨٥)، والسلسلة الضعيفة (حديث ١٦١٩).
(٤) انظر: الآداب الشرعية (٣/ ٣٧٧).
(٥) انظر: التهذيب (٨/ ٢٨٠).

❑ **الصورة الخامسة عشرة: العدوى**

العدوى: انتقال المرض من إنسان لآخر كالطاعون أو الجذام.

حكم العدوى

أولاً: التأثير المطلق

التأثير الذاتي المطلق في العدوى وانتقال المرض من شخص إلى آخر بيد الله ﷻ وحده دون المخلوقات؛ لذا قال النبي ﷺ: «لا عدوى»؛ فإذا اعتقد في مخلوق بعينه التأثير الذاتي بأنه سبب تام مستقل في الإصابة بالمرض يُعدي بذاته دون مشيئة الله تعالى فهذا شرك مخرج من الملة.

ثانياً: سبب ناقص صحيح

هو السبب الذي يعتقد فيه بأنه مجرد سبب من أسباب انتقال المرض، وله موانع تمنع من تأثيره، ويحتاج إلى أسباب مُعِينة، وتوجد أسباب أخرى تؤثر نفس تأثيره، ولا يحدث ذلك إلا بمشيئة الله تعالى وأثبتته الضرورة أو أثبته الشرع، كقوله ﷺ: «الطاعون رجس، أُرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»[1].

(١) رواه البخاري (٣٤٧٣).

ومنه ما ورد في حديث المجذوم من حديث الشريد قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: «إنا قد بايعناك، فارجع»[1]، وقال النبي ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»[2].

والأحداث والوقائع تثبت بأن العدوى سبب من أسباب انتقال وتفشي المرض بين الناس، ونقل ابن القيم -رحمه الله تعالى- في «مفتاح دار السعادة» عن ابن عبد البر بأن هذا الأمر صحيح أثبتته الضرورة وأثبته الشرع بأنه توجد أمراض معدية، لكن قد يُصاب الإنسان وقد لا يُصاب، وهناك أمراض غير معدية.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

منه ما هو شركي ومحرم ومكروه:

١- **الشركي**: إذا تشاءم الإنسان من كل مرض مع اعتقاده بأن الأسباب بيد الله سبحانه وتعالى وأنها لا تؤثر إلا بمشيئة الله تعالى، لكن يجزم بأن هذا الشخص عند محاذاته لهذا المريض المعين فإنه سيُصاب بالمرض قطعاً وسيُعديه قطعاً، وليس من باب غلبة الظن، ولن

(١) رواه مسلم (٢٢٣١).
(٢) رواه البخاري (٥٧٠٧).

يحول أي مانع يمنع من إصابته بالمرض، وحينئذٍ يكون في حقيقة الأمر قد اعتقد فيه التأثير الذاتي واعتقد أنه يمكن تحصيل علم الغيب القطعي من غير الشارع، فهذا شرك مخرج من الملة.

٢- المحرم: أما إذا غلب على ظنه بأنه سيُعدى وسيصاب بالمرض من قبل أسباب لم تثبتها الضرورة ولا الشرع كأن يتشاءم من كل مصاب بمرض ويغلب على ظنه بأنه سيصاب به إذا تعامل معه فيوسوس من كل مرض، فهذا سبب محرم وليس شركًا، أما كونه ليس شركاً فلأنه لم يعتقد فيه اعتقاداً جازمًا في المستقبل وإنما غلب على ظنه فلم يشرك مع الله تعالى أحداً في شيء من خصائص الله تعالى، أما كونه محرماً فلأنه علّقه بسبب لم يثبته الشرع ولم تثبته الضرورة، فهو ذريعة إلى الشرك ويفتح باباً للشيطان يدخل فيه عليه ليدمر حياته بالوساوس.

٣- المكروه: أما إذا لم يعتقد فيه الإصابة بالمرض لا قطعًا ولا غلبةَ ظنٍ، ولكن كلما سلم على إنسان غسل يديه بالمنظفات احتياطًا خوفًا من المرض فهذا مكروه؛ لأن مفسدته تغلب على مصلحته وذريعة للوساوس.

❑ **الصورة السادسة عشرة: التنجيم والاستسقاء بالأنواء**

لذا بوب المؤلف بابين:

الأول: [**باب ما جاء في التنجيم.**

قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به. أ.هـ. وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه].

الثاني: [**باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء وقول الله تعالى:** ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تتب

قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد ﵁ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه «قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾ إلى قوله ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ »].

التنجيم: هو النظر في النجوم، والاستفادة منها، والاستدلال بها على الحوادث.

قوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾: يقول ابن القيم ﵀: وتجعلون حظكم من القرآن أنكم تكذبونه. اهـ

ويرى بعضهم أنها متعلقة بالنجوم، والمعنى: تجعلون شكركم لله

على ما رزقكم من المطر أنكم تنسبونه إلى النجوم بدلًا من الله ﷻ.

«**سربال من قطران**»: السربال الثياب، وهي القمصان تكون من نحاس مذاب.

«**درع من جرب**»: هو الدراعة وهي قميص المرأة.

حكم التنجيم

أولاً: التأثير المطلق

إذا اعتقد في النجوم أو الكواكب أنها سبب مستقل بنفسه، فاعتقد فيها أنها المدبرة وأنها تؤثر بنفسها تأثيرًا ذاتيًا مطلقًا دون إذن من الله ﷻ فهذا كفر مخرج من الملة -والعياذ بالله-، بالإضافة إلى ما يتبع هذا الاعتقاد من الاستعانة بها والاستغاثة والاستنصار، وفي هذا يَرِد قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ؛ إذ تنسبون الغيث إلى النجوم، وكذا قول النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى في الغيث الذي نزل في الحديبية: «من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»، وهذا دين أغلب الصابئة عباد الكواكب والنجوم الذين كانوا في بابل ودين قوم إبراهيم ﷺ ودين الإغريق وغيرهم.

ثانياً: سبب ناقص صحيح

هو أن يعتقد في النجوم والأنواء أنها أسباب كسائر الأسباب المخلوقة، وتأثيرها بيد الله ﷻ إن شاء أمضاه وإن شاء منعه، وهي أسباب تحتاج إلى أسباب أخرى مُعِينة، وتوجد موانع تمنع من تأثيرها، وتوجد أسباب أخرى

تقوم مقامها، وأثبته الشرع أو الضرورة.

فالشمس من النجوم، وحينما تميل تسبب الدفء في الشتاء، وحينما تنتصف في الصيف ترتفع الحرارة، فهي سبب من الأسباب تؤثر في ارتفاع درجة حرارة الأرض، وكذا ما يتوقع من حصول الخسوف والكسوف عن طريق القواعد الرياضية والحسابات الفلكية، ويحدد باليوم والساعة والدقيقة، فهي أسباب صحيحة مؤثرة بمشيئة الله تعالى، والخسوف والكسوف يحدثان بسبب كثرة المعاصي ليخوف الله بهما عباده، ويتزامن مع القواعد الرياضية والقوانين الكونية.

وكذا النجوم يُهتدى بها في الطرق، ومن خلالها تُعرف الاتجاهات الأربعة، وبها يُعرف اتجاه القبلة، ويُستفاد منها في تحديد مواعيد الصلوات ومعرفة الأوقات، ويُستفاد من الكواكب والتي منها القمر في تحديد دخول شهر رمضان والعيد، ودخول شهر ذي الحجة وغيرها من الشهور، فهذه أسباب ثبت تأثيرها بالضرورة وثبتت صحتها بالشرع

فلماذا لا يستفاد منها؟؛ لذا قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها».

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

منه ما هو شركي ومحرم ومكروه:

١- الشركي: هو أن يعتقد في النجوم والكواكب بأنها ما هي إلا أسباب والأمر بيد الله وحده، ولكن من خلال النظر في النجوم يزعمنه أنه أنه يستطيع معرفة الغيب المطلق، وأنه تُعْلم منها نفوس الناس وأخلاقها وأحوالها وما سيصيبها، كل ذلك من خلال معرفة البرج، ويدعي أنه من خلالها يتوصل إلى معرفة حدوث الأمراض والحروب والزلازل والموت والحياة وارتفاع الأسعار، فإذا كان يعتقد أن العلم المتحصل منها يقيني أصبح شركًا بالله ﷻ؛ لأنه من خصائص الله تعالى وهو علم الغيب.

٢- المحرم: وإذا غلب على ظنه أنه بمعرفة النجوم ومعرفة الأبراج يمكن للكاهن تخمين صفات أتباع كل برج وأخلاقهم، فصدَّق الكاهن في ذلك من باب غلبة الظن، فهذا سبب محرم كما قال النبي ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين صباحاً»[١].

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٢٩).

وكذا لو نسب إليها نزول الغيث لا تقديرًا ولا تأثيرًا ذاتيًا وإنما على أنها أحد أسبابه، غافلاً عن شكر الله تعالى، فهذا كفر النعمة وهو محرم وليس شركاً، وهذا المعنى الآخر للحديث المذكور في الباب عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح، ثم أقبل علينا فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم؟ ». قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: «قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله. فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا. فهو مؤمن بالكوكب كافر بي»[١]، فهذا الذي عزا نزول المطر إلى الكوكب ونسي شكر الله تعالى قد وقع في محرم، ووقع في كفر عملي غير مخرج من الملة.

ولذا لما ذكر قتادة الفوائد من النجوم وحدد مهمتها بقوله: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها»، قال رحمه الله: «فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به».

أما حديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر»، فرواية فيها ضعف والمعنى صحيح.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤١٤٧)، ومسلم (٧١).

❑ الصورة السابعة عشرة: المحبة

لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ الآية. وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ . إلى قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية.

عن أنس رضي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»، وفي رواية: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى..» إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئا. رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ قال: المودة].

أما قول ابن عباس رضي الله عنه: «من أحب في الله؛ وأبغض في الله؛ ووالى في الله؛ وعادى في الله...» ففيه ليث بن أبي سليم، وليث فيه ضعف.

أقسام المحبة

أولاً: المحبة التامة المطلقة

فلا يُحَب أحد محبة تامة لذاته يتحقق فيها كمال الذل إلا الله تبارك وتعالى، فإذا أنعم الله عليك نعمة أحببته وشكرته وحمدته، وإن أصابك بمصيبة أحببته وقلت: هذا تأديب لي وتربية ومغفرة وتبصير لي للمستقبل، فلا يقدِّر عليّ إلا ما فيه خير وصلاح. وفي المقابل من أحب مخلوقاً محبة تامة لذاته مع كمال الذل فقد ساوى محبته مع محبة الله تعالى فاتخذه شريكاً مع الله تعالى في الألوهية؛ لذا ذكر المؤلف قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ : أي يحب الآلهة كما يحب الله عز وجل؛ لذا يقول الكفار يوم القيامة: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ : أي في المحبة لآلهتهم؛ فيحبون آلهتهم كما يحبون الله تعالى، أو يحبون آلهتهم كما تحبون أنتم الله عز وجل، أو يحبون آلهتهم أكثر مما يحبون الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ

ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ .

ما هي الأسباب التي تجعلنا نحب الله تعالى؟

أسباب المحبة ثلاثة:

١- الجمال. ٢- الإحسان والأيادي. ٣- الصفات الحسنة.

فأسباب محبة الله عز وجل هي الجمال الإلهي، وكرمه تعالى وأياديه، وكمال صفاته عز وجل.

اعرف أسباب محبة الله تعالى واسلكها، وهذا أفضل ما يسلكه العبد؛ إذ عليها قيام القلب وسعادته، بل هذا أصل العبودية وهو تحقيق كمال الذل مع كمال المحبة لله عز وجل؛ لذا كان السلف يشددون في إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى والصفات العلى؛ لأنهم يتعرفون بها على الله تعالى؛ فيحبونه ويزدادون محبة له ويجدون حلاوة العبادة.

ثانياً: المحبة المقيدة الناقصة الصحيحة

هي محبة غير مطلقة، إنما مقيدة بما لا تتعارض ولا تخالف محبة الله تعالى، وهي ناقصة لأنها لا تساوي محبة الله تعالى وإنما هي دونها،

وصحيحة لأنه دل عليها الشرع أو الضرورة، ومما دل عليه الشرع محبة النبي ﷺ ومحبة الأنبياء والصديقين والصالحين، ومحبة الأخوة في الله تعالى وهي تابعة لمحبة الله تعالى، وبهذه المحبة ثم بالمحبة التي سبقتها والتي هي أصل لهذه المحبة وهي محبة الله تعالى تتحقق حلاوة الإيمان؛ لذا ذكر المؤلف حديث النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان».

كيف أجد حلاوة الإيمان؟

أجاب النبي ﷺ عليه:

أولاً: بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

ثانياً: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ثالثاً: أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار.

أما محبة الله تعالى فقد سبق البيان لماذا نحب الله تعالى، ولكن لماذا نحب النبي ﷺ؟

أسباب محبتنا للنبي ﷺ:

أولاً: لأن الله عز وجل أمرنا بمحبته.

ثانياً: لأن الله عز وجل يحبه، فلو لم يأمرنا بمحبته لأحببناه.

ثالثاً: لأن النبي ﷺ سيد البشر والناس يتعلقون بالسادة والوجهاء.

رابعاً: لعظم أخلاق النبي ﷺ.

خامساً: أيادي النبي ﷺ علينا وعلى هذه الأمة أيادٍ عظيمة بفضل الله عز وجل، فبارك الله للأمة بسببها.

سادساً: تحمل النبي ﷺ الآلام والمصائب من أجلنا ومن أجل إيصال الدعوة إلينا.

من عرف هذه الأسباب الستة أحب رسول الله ﷺ، أما الوسائل التي تعين على محبته إضافة إلى معرفة الأسباب هي قراءة سيرته والتعرف عليه ﷺ، ومتابعته والعمل بما يحبه الله تعالى ويحبه النبي ﷺ، ونشر دينه وأحاديثه والذب عنه، وقراءة قصص السلف في محبة النبي ﷺ، ودعاء الله تعالى أن يكرمه بمحبته ومحبة نبيه ﷺ أكثر من أي شيء، ومحبة آله وأصحابه ومن اتبعه بإحسان، وعدم معصيته وعدم الابتداع في الدين؛ لذا ذكر المؤلف حديث النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[١].

(١) رواه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤).

الأمر الثاني الجالب لحلاوة الإيمان: هو البحث عن رفيق الدرب ومحبته، وهذه صورة أخرى من صور المحبة الشرعية، فالسالك يحتاج في طريقه إلى المعين والمرافق، فلو كنت وحدك لضللت وزللت ونسيت، فتحتاج إلى إخوانك الذين تحبهم في الله ويحبونك في الله ليُذكروك.

لذا ذكر المؤلف قول ابن عباس رضي الله عنهما: من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا.

كيف تميز بين من تحبه في الله ومن تحبه لغير الله؟

١- إذا كان وجودك معه يزيدك طاعة لله عز وجل؛ فتحفظ معه القرآن وتتدارس الحديث أو الفقه أو العلم الشرعي.

٢- علاقتك به تعينك على التواجد في أماكن الطاعة ومواضعها كالتواصي على حضور مجالس العلم.

٣- تشعر بأن إيمانك قد ازداد بعد لقائه وبمصاحبته.

٤- تسعى معه في دعوة الناس وتذكيرهم والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر.

٥- لو أنكر عليك المنكر وأمرك بالمعروف لا تشعر بالضيق، ولو أنكرت عليه أو أمرته بالمعروف لا يشعر هو بالضيق.

بهذه الأمور تستطيع تمييز محبتك له في الله عز وجل أم لأجل المال أو الجاه أو النسب أو الجمال أو لمصلحة دنيوية.

الأمر الثالث الجالب لحلاوة الإيمان: أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار. فإذا أحببت الله ورسوله ووجدت المعين على ذلك فلا تلتفت إلى الوراء، لا تلتفت إلى أيام الجاهلية إلى أيام المعصية السابقة فتقول: كنت في المكان الفلاني مع فلان أو فلانة على معصية الله تعالى، أو كنت أفعل كذا وكذا متلذذًا بفعلك السابق. بل تكره ذلك وتقول: أعوذ بالله من تلك الأيام. فمن كان على هذه الأمور الثلاثة شعر بحلاوة الإيمان كما قال النبي ﷺ.

ومن صور المحبة الشرعية محبة كل ما يحبه الله تعالى وكل ما يعين على محبة الله ويعين على مرضاته وعلى فعل المستحبات والتخلق بالأخلاق الحميدة.

ومن المحبة المقيدة الصحيحة المحبة الضرورية أو الطبيعية المباحة، كحبه أخاه أو صاحبه أو من أحسن إليه، أو حبه للمخلوقات كالهرة

والجمل وغيرها مما يحبه الإنسان كالسيارة، أو ما ينتفع به دنيويًا، أما محبة الوالدين فهي شرعية ودنيوية ضرورية.

محبة الكافر

مسألة: هل تجوز محبة الكافر لا لكفره وإنما محبة ضرورية أو طبيعية؟

قال بعضهم بعدم الجواز، وقال بعضهم الآخر بالجواز.

والصواب في المسألة: أن محبة الكافر جائزة، أما المودة فلا تجوز للكافر.

فربما تحب الكافر الحب الطبيعي، كرجل تزوج من كتابية يهودية كانت أو نصرانية، ألا يحب زوجته؟ بل في الغالب لا يتزوجها إلا لأنه يحبها، والنبي ﷺ أحب أمه، وبكى لما نهي عن الاستغفار لها كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يُؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت»، والطبع يقضي بمحبة من أسبغ عليك كرمه سواء كان مؤمنا أم كافرًا، فالنفس تحب من يحسن إليها كمن يحب والده الكافر.

أما المودة التي هي خالص المحبة فلا تجوز للكافر؛ فقد نهى الله ﷻ عنها في كتابه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ ، أما عموم المحبة للكافر بلا مودة فلا دليل على منعها بل دل الدليل على جوازها.

ثالثاً: المحبة المقيدة غير الصحيحة

وهو أن يحب مخلوقاً محبة غير تامة وإنما محبة مقيدة، ولكن هذه المحبة يكرهها الله تعالى، فمنها ما هو كفر، ومنها ما هو محرم غير كفر، ومنها ما هو مكروه.

١- المحبة الكفرية: محبة الكفر والشرك بالله تعالى والنفاق الاعتقادي والردة، فيكره ما أنزل الله على نبيه ﷺ ويحب التثليث أو عقيدة الكفر، كما قال الله تعالى عن الكفار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ .

٢-**المحبة المحرمة**: منها محبة المعاصي، ومودة غير المسلم، ومحبة كل ما يعين على فعل المحرمات والوقوع فيها.

٣-**المحبة المكروهة**: منها حب المكروهات التي يكرهها الله تعالى أو ما يعين على الوقوع في المكروهات.

❑ الصورة الثامنة عشرة: الخوف

لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى:** ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ . **وقوله:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ **الآية. وقوله:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ **الآية.**

عن أبي سعيد ﷺ مرفوعا: «إن من ضعف اليقين: أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره». وعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه].

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: أي يخوفكم أولياءه.

نزلت هذه الآية في غزوة أحد، وذلك أنه لما رجع جيش الكفار من الغزوة أرسل قادتهم رجالاً إلى النبي ﷺ وأصحابه يخبرونهم بأننا سنأتيكم ونحصدكم حصدًا، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية تثبيتًا

للمؤمنين، مبيناً لهم أن هذا كله تدبير الشيطان يريد تخويفكم من أوليائه.

أنواع الخوف من الله تعالى:

أولاً: الخوف من العقوبة الإلهية الحسية، كالخوف من العقوبة الإلهية في الدنيا، أو في القبر أو في الآخرة.

ثانياً: هيبة لله وتعظيمًا له كما يحصل للأنبياء يوم القيامة، فقد قال النبي ﷺ عن المؤمنين: «فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟. فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟. فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ. فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟. فيقول

لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى ﷺ، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟. فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ. فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله -ولم يذكر له ذنبًا-، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد...»[1]، الحديث، فجميعهم لم يستطيعوا مخاطبة الله عز وجل ولا التقدم بالشفاعة بين يديه هيبة لله وتعظيمًا له سبحانه.

ثالثاً: الخوف من مكر الله عز وجل، وهو أنه يخاف من أن تجتمع عليه السيئات فتنقلب أحواله من الطاعة إلى المعصية، ومن الإيمان إلى الكفر، أو من حال إلى حال، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ

(١) انظر: البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، واللفظ له.

مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ .

لذا بوب المؤلف باباً آخر وهو [**باب قول الله تعالى:** ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ **وقوله:** ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر، فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله». رواه عبد الرزاق].

أما حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال: «الشرك بالله واليأس من روح الله...» ففيه شبيب بن بشر وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: لين الحديث. وقال ابن حبان: يخطئ كثيراً. وقال ابن كثير: في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً[(١)].

المكر: هو إيصال الشيء بطريق خفي إلى الغير، وقد يكون هذا الغير يستحق هذا الشيء فيكون مكرًا حسنًا فيه عدل، وقد لا يستحق فيكون محرمًا.

---

(١) التفسير في تفسير آية (٣١).

مثاله: عندما يأتي إليك مجرم هارب قد أفسد في الأرض بسفك الدماء وانتهاك الأعراض، وأراد أن يدخل بيتك للاختباء من جنود السلطان خوفًا من إقامة الحد عليه، فلك أن تقول له: ادخل، ثم تتصل بالمسئولين للإمساك به. وهذا مكر حسن لمصلحة الأمة العظمى وتُحمد عليه وتُثاب، أما أن تفعل ذلك في مظلوم فلا، فهذا مكر سيء.

والله تبارك وتعالى لا يمكر إلا المكر الحسن، كما قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ ؛ فيُحمد الله تعالى على هذا المكر، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾.

فإذا استمر إنسان على المعصية والخيرات تجري عليه ويرى إمهال الله عز وجل له وهو مقيم على المعاصي والفحش فإن الله تبارك وتعالى يوصل إليه العقوبة بطريقة خفية حتى يراها فجأة في حال غير متوقعة.

وكذا الإنسان إذا أكرمه الله عز وجل بالطاعة ثم عصاه واستمر على معصيته فقد تسلبه معاصيه حلاوة الإيمان وحلاوة الطاعة، فعلى المرء أن يحذر ولا يأمن مكر الله عز وجل، وليكن على الدوام توابًا إلى الله عز وجل، وليتخذ أنبياء الله قدوة إذ كانوا لا يأمنون مكر الله تعالى، فهذا الخليل إبراهيم صلى الله عليه وسلم يقول هو وإسماعيل عليه السلام وهما يبنيان بيت العبودية

أعظم وأفضل بيت على وجه الأرض: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ ، وقال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ ، وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ .

ورسول الله محمد ﷺ وهو سيد البشر يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء»[1]، ويقول: «اللهم، مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»، وقال تعالى عن المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ، وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ ، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ .

كان الثوري -رحمه الله تعالى- يبكي عند موته ويقول: أخشى أن أُسلب التوحيد. وما ذلك إلا خوفًا من مكر الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

الفرق بين اليأس والقنوط

اليأس: عمل قلبي، والقنوط عمل الجوارح.

فانقطاع الجوارح عن العمل قنوط، أما انقطاع رجاء القلب من الله تعالى فهذا يأس؛ ولذا يعتبر اليأس كفرا كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، أما ترك العمل فلا يسمى كفرًا بل هو ضلال كما قال إبراهيم: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ .

اليأس يكون من روح الله والقنوط يكون من رحمة الله، والروح هي الرحمة العظيمة. وقال بعضهم: الرحمة عامة مطلقة، أما الروح فهي الفرج والتنفيس.

ومن صور الخوف من مكر الله تعالى عدم استبعاد عبادة الأوثان وإشراكها بالله تعالى بعد أن كان على منهج التوحيد؛ لذا بوب المؤلف: **[باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان وقول الله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ **وقوله تعالى:** ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ **وقوله تعالى:** ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ .

عن أبي سعيد ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» أخرجاه.

ولمسلم عن ثوبان ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضًا».

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»].

أخبر النبي ﷺ أن بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان، وأنه سيحصل لهم

كما حصل لليهود والنصارى في عبادتهم للأوثان، كما قال تعالى عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾، وأن الأمة ستتبع سنن[1] الأمم السابقة قبلهم حذو القذة بالقذة.

«**القُذَّة**»: هي ريش السهم، والمعنى: تتبعونهم في كل صغيرة وكبيرة كتتابع ريش السهم، وهذا حاصل في الأمة اليوم؛ دخل اليهود والنصارى في جحر الضب فدخلنا وراءهم في نفس الجحر كالمعاصي والبدع والشركيات، بل حتى في الأمور العامة كما في مباريات كرة القدم وغيرها نقف خلف اليهود والنصارى، بل يعلق بعضهم شارة الصلبان التي تشير إلى التثليث، ويضعها على ملابسه لأنها رمز النادي الذي يحبه ويشجعه.

«**الكنزان**»: الذهب والفضة، ويدخل فيه النفط والأصول الاقتصادية التي يقوم عليها العالم اليوم، وهذه كلها اليوم بيد الدول الإسلامية بفضل الله تعالى.

«**السنة العامة**»: هي المجاعة العامة، وقد ضربت المجاعات أماكن هنا وهناك ولم تصب أمتنا بمجاعة إلا في بعض النواحي والأجزاء، ولم تُصب جميع الأمة.

---

(١) أي طريق.

«**يستبيح بيضتهم**»: أي لا يمكِّن الله ﷻ لأعداء الأمة أن يُهلكوا الأمة عن بكرة أبيها، ولكن جعل الله القتال في هذه الأمة بين بعضهم البعض، كما هو حاصل اليوم: «ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يُفني بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا، وإذا وضع السيف في أمتي، فلن يُرفع عنهم إلى يوم القيامة».

«**يعبدون الأوثان**»: لقد رأينا في هذا العصر كثيرًا من المساجد في العديد من الدول الإسلامية أقيمت على القبور، وهذه القبور تُعبد، ويُطاف حولها، ويُذبح لها، وتُسْأَل من دون الله ﷻ، وهذا الواقع نسأل الله أن يرفعه عن هذه الأمة، ولعله -إن شاء الله- يتحقق بجهود المخلصين الموحدين.

وبتطبيق القاعدة فإن الخوف ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الخوف المطلق التام

ولا يكون إلا من الله ﷻ وحده، فالذي بيده التأثير الذاتي هو الله تعالى، فمن خاف شيئاً معتقداً أنه بتأثيره الذاتي يصيبه بما هو مخوف دون إذن من الله تعالى فهذا شرك مخرج من الملة، وإنما الأمر بيد الله وحده.

ثانياً: الخوف الناقص الصحيح

أن يعتقد في مخلوق أنه أحد الأسباب الجالبة للخوف، ولكن ليس

بيده التأثير الذاتي في جلب الضرر، وثبت بالشرع أو بالضرورة أنه مخيف ولكنه لا يضاهي خوفه من الله تعالى، وإنما هو مجرد سبب والله تعالى بيده دفعه، كالخوف من بعض المخلوقات المخوفة؛ إذ يعتقد أن هذه المخلوقات مجرد أسباب ينتج عنها ضرر، ولا يقع الضرر إلا بمشيئة الله ﷻ، وتوجد موانع تمنع من هذا الضرر، وقد لا يتحقق الضرر من هذه المخلوقات، وهذه المخلوقات تحتاج إلى مُعِين لإيقاع الضرر.

وحتى يكون السبب ناقصًا صحيحًا لا بد وأن يُثبته الشرع كالخوف من العقوبات الشرعية على أيدي المخلوقات، أو يثبت بالضرورة كالخوف من الأسد أو العدو المدجج بالسلاح، فإذا ما قورن الخوف من هذه المخلوقات بالخوف من الله ﷻ ذهب الخوف منهم -بإذن الله تعالى-، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ : أي قارنوا خوفكم من هؤلاء بالخوف من الله ﷻ يذهب خوفكم منهم، وقال موسى ﵇: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾، وكما قال النبي ﷺ لأبي بكر لما لجأ إلى الغار وقد وصل إليهما الكفار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾،

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣).

وعسى للمقاربة، أي الذين لم يخشوا إلا الله تعالى اقتربوا أن يكونوا من المهتدين.

ثالثاً: الخوف الناقص غير الصحيح

وهو الخوف الذي لم تُثبته الضرورة ولم يثبت بالشرع، وهذا الخوف إما:

١- **شركي**: وهو الخوف من المخلوق كخوفه من الله عز وجل؛ فيكون خوفه من المخلوق سبباً للشرك بالله تعالى وانتكاسه.

٢- **محرم**: من ذلك الخوف من شيء نهانا الله عز وجل عن الخوف منه، وعلى الرغم من ذلك ما زال يخاف منه حتى أنساه خوفَه من الله تعالى؛ لذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ ، أو يكون خوفه من الشيء سببًا في فعل المعصية من غير ضرورة، أو سبباً لتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ ، وقال سبحانه: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ .

٣- **مكروه**: وهو الخوف الذي جعله يفعل المكروهات دون ضرورة، كمن يخاف من أن يفتقر لو أنجب أولاداً فيعزل عندما يجامع أهله.

❑ الصورة التاسعة عشرة: التوكل

لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ . **وقوله:** ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ **الآية وقوله** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ **وقوله** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم** ﷺ **حين ألقي في النار، وقالها محمد** ﷺ **حين قالوا له:** ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ **رواه البخاري والنسائي]**.

التوكل نوع من أنواع الاستعانة بالله عز وجل، ولتحقيق التوكل لا بد من سلوك ثماني مراتب:

المرتبة الأولى: التعرف على أسماء الله عز وجل وصفاته. فتعلم أن الله عز وجل يعلم كل شيء، وأنه تعالى قادر على كل شيء، وقوته تغلب كل المخلوقات، وأنه يدبر الأمور أحسن تدبير، ومن استخار الله تعالى اختار له أفضل الأمور وأحكمها، وأنه سبحانه ييسر كل عسير ولا يقف أمامه عائق، وأنه حكيم رحيم، فتلجأ إلى الله تعالى.

المرتبة الثانية: توحيد الله عز وجل. فمن وحد الله عز وجل تكفل الله تعالى به ولو كان كافرًا، لا سيما إذا ما أصابه الضر، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي

ﭐلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ .

المرتبة الثالثة: بذل الأسباب المقدورة التي يستطيعها . كما أعد النبي ﷺ العدة للقتال في غزواته كلها، وكما قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ ، وأنىّ لمريم -عليها السلام- هز النخلة لاسيما بعد الوضع! ولكن السبب المبذول على قدر الطاقة والقدرة.

المرتبة الرابعة: تفويض الأسباب غير المقدور عليها والتي لا يستطيعها إلا الله عز وجل، كما قال النبي ﷺ لأبي بكر وهما في الغار لما أحاط الكفار بهما: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ .

المرتبة الخامسة: تعلق القلب بالله عز وجل وعدم الانشغال بمدى تأثير الأسباب التي بذلتها، فإذا انشغلتِ الجوارح ببذل الأسباب فليتعلق القلب بالله عز وجل، فأنت إذا أديت الاختبار الدراسي بعد الاستعداد وبذل السبب له علِّق قلبك بالله عز وجل، فسبح وكبر وهلل والجأ إلى الله تبارك وتعالى وادعه ليوفقك.

المرتبة السادسة: حسن الظن بالله عز وجل بأنه سيحقق لك مرادك.

المرتبة السابعة: الاستسلام للنتائج قبل وقوعها، والاستعداد لتقبلها والرضى بحكم الله تعالى وتقديره قبل نزوله بعد بذل المراتب المذكورة.

المرتبة الثامنة: الصبر على أقدار الله تعالى والرضا بحكم الله تبارك وتعالى إذا نزل، واليقين بأن الله تبارك وتعالى لم يقدّر عليك ذلك إلا لكمال رحمته ورأفته بالعبد، وأن هذا الحكم الإلهي فيه مصلحة كبرى لك وإن كان ظاهره ما لا تحبه النفس.

إذا تبينت هذه المراتب الثمانية للتوكل فاعلم أن من صلى صلاة الاستخارة فقد حقق مراتب التوكل الثمانية.

لذا ذكر المؤلف بعد باب التوكل باباً في الصبر فقال:

[باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت».

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

وعن أنس ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة».

وقال النبي ﷺ : «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي].

الصبر: الإمساك والحبس، فهو حبس النفس على محاب الله تعالى وعلى ترك ما يكرهه وعن الجزع والتسخط.

ولتتضح مسألة الصبر لا بد أن نعرف أن العبد محاسب على بذل الأسباب وغير محاسب على النتائج، فبذل السبب يتعلّق بالعبد، والنتيجة تتعلق بقدر الله ﷻ، فإذا بذلت وسعك في الدراسة وأخذت بكل الأسباب ثم جاءت النتيجة على نحو ما لا تحب فإنك لا تلام على النتيجة، لكن لو لم تبذل وسعك في الدراسة لحوسبت على ذلك، فإذا أردت أن تتوكل على الله تعالى حق التوكل فعليك بالصبر على بذل الأسباب وعلى ما قدره الله ﷻ من النتائج.

يوضح ذلك قصة احتجاج آدم ﷺ وموسى ﷺ كما روى لنا رسول الله ﷺ فقال: «احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، قال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة؟. قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قد قدر عليَّ قبل أن أخلق؟. فحج آدم موسى»[١].

(١) رواه البخاري (٧٥١٥).

فآدم عليه السلام أكل من الشجرة وهي معصية، كما قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ ، فكانت النتيجة أن أُخرج من الجنة هو وزوجه، فالسبب هو الأكل من الشجرة، والنتيجة هي الخروج من الجنة، فلما خاطب موسى عليه السلام أباه آدم عليه السلام عاتبه على النتيجة ولم يعاتبه على السبب، فبيَّن له آدم عليه السلام أن النتيجة مكتوبة في القدر؛ فقال النبي ﷺ: «فحج آدم موسى»، أما لو عاتب موسى عليه السلام أباه آدم عليه السلام على الأكل من الشجرة لقال له آدم عليه السلام: نعم، أنا أخطأت.

لقد حذر النبي ﷺ من عدم الصبر على المصائب والنتائج المكتوبة في القدر كالنياحة فقال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»، فغالب النساء يجزعن ولا يصبرن على المصائب ويتكلمن بالعظائم؛ لذا قال النبي ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[1]؛ لأنها لم تصبر على النتيجة.

«دعا بدعوى الجاهلية»: عندما تقع المصيبة يتكلم بكلام جاهلي من سب القدر وسب الدهر ودعا بالويل والثبور... إلخ.

ثم ذكر الحديث الثالث ليبين فيه أن المصائب والنتائج التي لا ترضيك هي من رحمة الله عز وجل، بحيث تعجل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة؛ إذ قال ﷺ فيما رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا

(١) رواه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»، وروى الترمذي وابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

تطبيق القاعدة على التوكل:

أولاً: الوكالة المطلقة لله وحده:

فالذي توكل إليه جميع الأمور صغيرها وكبيرها دقها وجلها هو الله عز وجل وحده لا يشاركه أحد، ولا يحتاج إلى مُعِين، وإذا أراد للعبد أمراً ما فلا يمنعه مانع، فهو الذي بيده الوكالة، وهو الذي نَكِلُ إليه أمورنا كلها، وهو المتوكل بشؤون خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فهو القائم على خلقه، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾، ومن أسمائه الوكيل، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾: أي الله كافيك، والله وكيلك، وعندما قيل للنبي ﷺ والصحابة بعد غزوة أحد: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

ثانياً: السبب الناقص الصحيح:

الشخص الذي تقوم بتوكيله في أمر من الأمور تعتقد أنه ما هو إلا سبب من الأسباب، وقد وكلته ليقوم عنك بهذه المهمة وأنه لا يستطيع تأديتها إلا بإذن الله تعالى، وقد تعترض الوكيل موانع تمنعه من تأدية ما وُكّل به، وقد يقوم آخر مقامه، وفي الفقه باب يسمى باب الوكالة، وفيه توكيل المخلوقين بشروط، وكما قيل: ميكائيل موكل بالسحاب وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور. والوكالة الصحيحة لا بد وأن تثبت إما بالشرع أو بالضرورة، فمما ثبت بالضرورة تلك الوكالة المذكورة في باب الوكالة بشروطها، ومن الوكالة الشرعية التوكيل بأداء بعض العبادات كصوم النذر للميت، وحج الوصية وغير ذلك مما ثبت بالشرع.

ثالثاً - السبب الناقص غير الصحيح:

١- **منه ما هو شركي،** كأن يتوكل على شيء فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، أو يتوكل على ميت أو غائب لا يتحسسه.

٢- **ومنه المحرم،** من ذلك أن يوكل من لا يجوز له توكيله، فمن صوره أن يوكل امرأة في تولي الحكم أو من لم تتوفر فيه شروط الولاية، أو وكل شخصاً في أمر لا قدرة له عليه وإن كان مقدوراً لشخص آخر، أو وكل آخر في القيام بعمل محرم.

٣- **ومنه المكروه،** من ذلك أن يوكل من كره الشرع توكيله، أو يوكله للقيام بعمل مكروه.

ومن التوكل المكروه الاسترقاء وما جرى مجراه، لذا لما بوب المؤلف [**باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ذكر حديث حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»، ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».**

فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت منهم». ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «سبقك بها عكاشة» رواه البخاري].

أما ما ورد في حديث بريدة بن الحصيب أنه قال: «لا رقية إلا من عين أو حُمَة» فهو من قول بريدة، وليس مرفوعاً.

«**الحمة**»: أي السم، سواءً من لسعة العقرب أم لدغة الحية أم شيء من ذوات السموم.

فكان هذا في بداية الأمر أنه لا رقية إلا من عين أو سم، فكان بريدة رضي الله عنه يظن أنه باقٍ كما هو فلا رقية إلا من هذين، ولكن بيّن النبي ﷺ أنه لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا وما لم تتضمن محرمًا.

قوله ﷺ: «هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»، بيّن النبي ﷺ أن هؤلاء السبعين ألفاً قد حققوا التوحيد فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» .

«**لا يسترقون**»: أي لا يسألون أحدًا أن يرقيهم، فلا يطلبون الرقية من غيرهم، فلا يقول: يا فلان، اقرأ علي، يا فلان، ادع لي. ولكن إذا دعا هو لك فقل له: جزاك الله خيرًا. ولا مانع من أن تقول: يا فلان، ادع الله

لفلان. ولكن لا تطلب لنفسك، فلا توكله بالقراءة عليك.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الأمر لا يقتصر على سؤال الرقية فقط بل يشمل السؤال في أي أمر من الأمور، كما قال النبي ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»، فلا تتذلل للناس، وإذا اضطررت للسؤال فسألتهم فأعطهم مقابل سؤالك إياهم حتى لا يكون لهم فضل عليك، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «من يبايعني على أن لا يسأل الناس شيئًا وله الجنة؟» فأحجم الصحابة، وبايعه أبو بكر وحكيم بن حزام، فكان إذا سقط سوط أحدهم نزل من على بعيره ليتناوله ولا يسأل أحدًا.

فتجنب أن تسأل أحدًا إلا بمقابل أو هدية، ولا تسأله شيئاً إلا وتقصد فيه منفعتك ومنفعته كأن تقول لفلان الذي لا يصلي في المسجد: «أوصلني إلى المسجد»، تقصد بذلك نفعه ليصلي في المسجد، وتقصد لنفسك التخلص من حرارة الجو أو الغبار أو المطر، فحينئذ أنت أحسنت إليه كما أحسن إليك.

فالمكروه هو السؤال دون مقابل لمن ليس لك حق عليه، أما من لك حق عليه كزوجتك أو الخادم أو الولد أو من أنفقت عليه وكذا من تَصْرِف لهم الدولة راتبًا لخدماته كالأطباء والمدرسين، فهؤلاء مصروف لهم من قبل الدولة لخدمة الشعب فلا بأس بسؤالهم، أما إذا كان متفضلًا عليك

فلا تسأله، وإذا تفضل عليك هو من نفسه دون سؤال منك فلا بأس، وإذا سألته وتفضل عليك فأعطه هدية مكافأة لتتساوى معه.

مسألة: لماذا السؤال مكروه؟

الجواب:

أولاً: لأن فيه افتقاراً لغير الله تعالى.

ثانياً: فيه ذل للنفس.

ثالثاً: فيه إيذاء للناس. ففي كثرة السؤال إيذاء للشخص المسؤول، حتى لو سألته التراب لا يعطيك لكثرة ما تسأله.

«**لا يكتوون**»: الكي هو استخدام النار على الجسد والجلد، وكانت العرب تستخدم الكي لسبب وبدون سبب، وكانوا يعتقدون بأن من اكتوى لا يُصاب بشيء من الأمراض أو الأسقام، فكأنها تتبرك به بلا دليل، أما لو كان الكي مناسبًا للمرض فلا بأس، فقد كوى النبي ﷺ بعض الصحابة، لكن المكروه أن يعتقد بأنه متى ما كُوي فلن يُصاب بأي مرض، وأنه إن لم يكتو أُصيب بالأمراض، فالكي بإطلاق كما فعلته العرب مخالف للتوكل على الله ﷻ، فالله هو الذي بيده الأمور؛ لذا قال النبي ﷺ في نهاية الحديث: «وعلى ربهم يتوكلون»، أما التطير فقد مر ذكره في باب التطير بحمد الله ﷻ.

❑ الصورة العشرون: الإنعام، ونسبة النعمة إلى المخلوق

لذا بوب المؤلف: [**باب ما جاء في قول الله تعالى**: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ **الآية. قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي. وقوله**: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ **قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف. وعن أبي هريرة** رضي الله عنه **أنه سمع رسول الله** ﷺ **يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر. فأعطي ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأعطي بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس. فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والداً؛ فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم. ثم**

إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال؛ بعيراً أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيراً فأعطاك الله ﷻ المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: كنت أعمى فردّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» أخرجاه].

وكذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى**: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾. **قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.**

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان لم يكن كذا. وقال ابن قتيبة:

يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا. وقال أبو العباس - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «إن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..» الحديث، وقد تقدم ـ وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير].

ذكر المؤلف بعض الأمثلة في كفران النعم كقول البعض: لولا فلان لحصل كذا. وكقول الرجل: هذا مالي، ورثته عن أبي. إذ لم يقل: الله هو الذي رزقنيه. وإنما نسبه إلى الآباء.

نسبة النعمة إلى الله عز وجل:

﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ : هو رجل أنعم الله عليه فقال: إنما أوتيتها على علم من الله تعالى أني أستحق هذه النعمة، أو جاءتني من قِبَلي أنا وبجهدي. وهذا هو معنى قول الآخر في الآية الأخرى: ﴿هَٰذَا لِي﴾ .

تطبيق القاعدة في الإنعام:

أولاً: التأثير المطلق

فالإنعام بيد الله تعالى وحده، والله تعالى وحده هو المنعم مطلقًا لا يشاركه أحد في إنعامه ولا ينتظر إذن أحد، ولا يردّ إنعامه أحد من الخلق.

فلو نسب التأثير المطلق لغير الله تعالى كفر أو أشرك؛ فلا يصيب الإنعام أحدًا إلا بمشيئة الله تعالى، فمن علقها بغير مشيئة الله تعالى فقد كفر، ومِن ذلك مَن ورد فيه قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ الآية، قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي.

وكذا قول الآخر: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ : قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. ناسباً النعمة إلى نفسه وأنه بيده قَدَره وهو المتصرف فيه دون مشيئة الله تعالى، وهذا كفر.

ثانياً: سبب ناقص صحيح

أن يعلم أن المنعم هو الله تعالى، وهذا المخلوق مجرد سبب من الأسباب، وأجرى الله النعمة على يديه، وتوجد أسباب أخرى بديلة يُجري الله تعالى النعمة على يديها، وله موانع قد تمنع تحقق النعمة بالرغم من وجود السبب، فعزو النعمة إلى المخلوق من باب الأسباب مع عدم نسيان الله تعالى، وقد ثبت السبب إما بالشرع أو بالضرورة، وهذا جائز كما قال النبي ﷺ عن أبي طالب: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[١]، وستأتي مجموعة من الأمثلة والأدلة في

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣).

استعمال «لولا» بإذن الله تعالى.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

وهو ما لم يثبت بدليل شرعي ولا ضروري. وهو أنواع:

١ - شركي: منها أن يعزو لفلان نعمة لا يقدر عليها إلا الله تعالى، كأن يعزو غفران الذنوب لغير الله تعالى، أو يقول: حق على الله تعالى أن يُنعم عليّ. فهذا كفر لأنه أوجب على الله تعالى، والله هو الذي يوجب على نفسه.

٢ - محرم: كما لو معجبًا بنفسه فقال: «أنا أهلٌ لهذه النعمة» أو ينسى فضل الله تعالى عليه، كما ذكر المؤلف قصة الثلاثة.

❏ **الصورة الحادية والعشرون: استعمال «لولا»**

لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى:** ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

قال ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم. وعن عمر بن الخطاب ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم. وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً. وعن حذيفة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». رواه أبو داود بسند صحيح .

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان].

تطبيق القاعدة على «لولا» وما يشبهها:

أولاً: التأثير التام المطلق

فالذي خلق النعم وقدرها وأجراها وصرّفها وأكرم الخلق بها هو الله تعالى وحده، فبيده التأثير التام المطلق عليها، فمن عزى شيئاً من ذلك بتأثيره التام المطلق إلى غير الله تعالى فقد أشرك بالله تعالى، وذلك بأن يعتقد: لولا أني شئت لما وقع كذا، فبمشيئتي يقع وبعدم مشيئتي لا يقع، أو بمشيئة فلان يتحقق الشيء وبعدم مشيئته لا يتحقق.

ثانياً: سبب ناقص صحيح

أن يعتقد بأن هذا المخلوق ما هو إلا سبب من الأسباب أجرى الله تعالى النعمة على يده بمشيئة الله وفضله، فثبت ضرورة أو شرعاً، كقول النبي ﷺ عن عمه أبي طالب: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[1]، فهو ﷺ الذي شفع له ليكون في ضحضاح من نار بدلاً من الدرك الأسفل، وقال النبي ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام، ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»[2]، والمقصود بالخيانة هنا هو الإعانة على المعصية، وقال النبي ﷺ:

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٣٠)، ومسلم (١٤٦٨).

«لولا ما مس الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا شُفي»[1]، فالنبي ﷺ قال في هذه الأحاديث الصحيحة: «لولا» ولم ينسبه إلى الله تعالى لفظاً ولكن قد عزاه إلى السبب الصحيح مع اعتقاده الجازم أنه بمشيئة الله تعالى، فهذا أثبته الشرع كما في قصة أبي طالب، وأثبتته الضرورة والواقع كما في حديث اللحم مع بني إسرائيل والحجر الأسود، فهذا سبب ناقص صحيح.

ثالثاً: سبب ناقص غير صحيح

أن يعتقد بأن الله تعالى هو المتصرف وأن المخلوق ما هو إلا سبب ولكن لم يثبت بالشرع ولا بالضرورة، فإذا عزى النعمة إلى غير منعمها وتغافل عن منعمها وهو الله سبحانه فهذا محرم.

---

(١) رواه البيهقي (٥/ ٧٥).

❑ **الصورة الثانية والعشرون: «قول ما شاء الله وشئت»**

لذا بوب المؤلف [**باب قول: ما شاء الله وشئت، عن قُتيلة، أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة»، وأن يقولوا: «ما شاء الله ثم شئت». رواه النسائي وصححه. وله أيضاً عن ابن عباس** رضي الله عنهما: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: **ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده». ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته. قال: «هل أخبرت بها أحداً؟» قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»**].

قول ما شاء الله وشئت:

أي لا يجعل فلاناً كأنه يعدل الله تعالى، والله أعلى وأجل، وقد ذكر المؤلف بعض الأحاديث في ذلك، ولكن بعض العلماء تكلم في هذه الأحاديث، أما حديثا الطفيل وقُتيلة فهو حديث واحد رواه ابن يسار وعبد الملك بن عمير، وفيه اضطراب وانقطاع، أما ابن يسار فتارة يرويه عن قُتيلة، وتارة يرويه عن حذيفة.

وأما عبد الملك بن عمير فتارة يرويه عن جابر بن سمرة، وتارة عن ربعي عن حذيفة، وتارة عن الطفيل.

أولاً: رواية ابن يسار

١- رواه منصور، عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة مرفوعًا[١] .

وهذا السند منقطع؛ إذ سئل ابن معين عن هذا الحديث: ألقي عبدالله بن يسار حذيفة؟ قال: لا أعلمه[٢].

٢- رواه معبد بن خالد، عن عبدالله بن يسار، عن قُتيلة مرفوعاً.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨)، وابن السني (٦٦٦)، وأبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٥).
(٢) جامع التحصيل (٢٦٥).

رواه الطحاوي[١]، وأحمد[٢] من طريق يحيى بن سعيد، والطحاوي[٣] من طريق موسى بن داود، والحاكم[٤] من طريق محمد بن عبيد، كلهم عن المسعودي، ثني معبد بن خالد، عن عبد الله بن يسار، عن قُتيلة مرفوعاً.

قال المزي: ورواه وكيع، ويحيى بن سعيد، وعلي بن مُسهِر، ومحمد بن عبيد، وعاصم بن علي بن عاصم، عن المسعودي[٥].

وكذا رواه مِسْعَر، عن معبد بن خالد، عن ابن يسار به[٦].

وقصر المغيرة فرواه عن معبد بن خالد، عن قُتيلة، فأسقط ابن يسار[٧].

ولكن عبد الله بن يسار يرسل عن الصحابة[٨]، ولم يصرح بسماعه من

(١) المشكل (١/ ٢٢٠).
(٢) (٦/ ٣٧١-٣٧٢).
(٣) (١/ ٢٢٠).
(٤) (٤/ ٢٩٧).
(٥) التحفة (١٢/ ٤٧٦).
(٦) رواه النسائي في الكبرى (٤٦٩٦)، وعمل اليوم والليلة (٩٨٦).
(٧) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٧).
(٨) انظر: جامع التحصيل (٢٦٥).

قُتيلة، وهو الحديث الوحيد الذي روته عن النبي ﷺ.

فاضطرب فيه ابن يسار: فتارة يرويه عن حذيفة، وتارة عن قتيلة، ولم يثبت أنه سمع منهما؛ فلم يثبت الاتصال فهو منقطع، وهذه علة أخرى، فربما سمعه ابن يسار من عبد الملك بن عمير ولكنه أرسله واضطرب فيه فيكون مخرجه واحداً، لاسيما وأن عبد الملك بن عمير اضطرب فيه؛ فتارة يرويه عن حذيفة، وتارة عن جابر بن سَمُرة، وتارة عن الطفيل.

ثانياً: رواه عبد الملك بن عمير على عدة وجوه:

١- رواه سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن حذيفة[(١)].

٢- رواه معمر، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة به[(٢)].

٣- رواه شعبة[(٣)]، وأبو عوانة[(٤)]، وحماد بن سلمة[(٥)]، عن عبد الملك بن عمير، عن الطفيل بن سخبرة، وعبد الملك مضطرب كثيراً وقد اضطرب فيه وهو مدلس؛ فلم يثبت اتصاله.

(١) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٤)، وأحمد (٥/ ٣٩٣)، وابن ماجه (٢١١٨).
(٢) رواه الطحاوي في المشكل (١/ ٢١٩)
(٣) الدارمي (٢/ ٢٩٥).
(٤) ابن ماجه (٢١١٨).
(٥) أحمد (٥/ ٧٢).

ثالثاً: رواه الأجلح

١- رواه عيسى بن يونس، عن الأجلح، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس به[١].

٢ - رواه شيبان النحوي[٢]، عن الأجلح به.

والأجلح وثقه ابن معين وقال: ليس به بأس، صالح.

وقال ابن عدي: له أحاديث صالحة، لم أر له حديثًا منكرًا مجاوزًا للحد لا إسنادًا ولا متنًا، مستقيم الحديث، صدوق. وكذا قال عمرو بن علي الفلاس.

بينما قال أبو حاتم: ليس بالقوي، يُكتب حديثه ولا يُحتج به. وقال النسائي: ضعيف ليس بذاك. وقال الجوزجاني: مفتر.

وقال أبو داود: ضعيف. وقال ابن سعد: كان ضعيفًا جدًا. وقال ابن حبان: لا يدري ما يقول، جعل أبا سفيان أبا الزبير.

قال المزي: وقال القطان: في نفسي منه شيء، ما كان يفصل بين

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٣٤٧، ٢٨٣)، وابن أبي شيبة (٣٠٠٦٧، ٢٧١٠٦) بلفظ: (جعلتني لله عدلاً)، ورواه النسائي في اليوم والليلة (٩٨٨)، وابن ماجه (٢١١٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وابن السني (٦٧٢)، والبيهقي (٣/ ٢١٧)، خط (٨/ ١٠٥)، والحلية(٤/ ٩٩).

(٢) الطحاوي في المشكل (١/ ٢١٨).

الحسين بن علي، وعلي بن الحسين. يعني أنه ما كان بالحافظ.

وقال العُقيلي: روى عن الشعبي أحاديث مضطربة لا يُتابع عليها. وقال أحمد: أجلح ومجالد متقاربان في الحديث، وقد روى الأجلح غير حديث منكر.

ملاحظة

بينما رواه أبو عاصم، عن شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس في تفسيره: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ ، قول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت[1]. وشبيب بن بشر أقل خطأ من الأجلح فذكره موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما، وقد وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: لين الحديث، حديثه حديث الشيوخ. وقال ابن حبان: يخطئ كثيرًا.

ولكن على الإنسان تعظيم الله تعالى حتى لو لم تصح هذه الرواية، أما إن صحت هذه الروايات ففيها إشكال؛ لأن المعنى وإن كان صحيحاً إلا أن هناك آيات فيها «الواو» وليس فيها «ثم»، كقول الله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ .

(١) رواه ابن أبي حاتم (تفسير ابن كثير ١/ ٨٧).

أما من السنة فقد قال النبي ﷺ: «لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه»[١]، ولم يقل «ثم الذئب على غنمه»، وقال ﷺ: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[٢]، ولم يقل «ثم المؤمنون»، وقال ﷺ: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[٣]، وقال ﷺ: «ذمة الله وذمة رسوله»[٤]، ولم يقل في الحديثين «ثم رسوله»!.

قال بعضهم: لا مانع من الجمع بالواو كما في الآيات والأحاديث الصحيحة، فلا مانع إذا تلفظت بالواو واعتقدت عظمة الله تعالى وأن المعطوف بالواو سبب تابع لأمر الله ﷻ وتابع للتأثير المطلق الذي بيد الله تعالى كما في الآيات المذكورة والأحاديث دون حرف (ثم)، ولكن يستحب أن يقول كما في حديث الأقرع والأبرص: «إلا بالله ثم بك»، ولعل هذا هو الأرجح لثبوته في الكتاب والسنة.

لذا يجري التقسيم فيها:

أولاً: التأثير المطلق

فالتأثير المطلق بيد الله تعالى وحده، فمن اعتقد أن مشيئة المخلوق مساوية

(١) رواه البخاري (٦٩٤٣).
(٢) رواه مسلم (٢٣٨٧)
(٣) رواه البخاري (١٦).
(٤) رواه مسلم (١٧٣١).

لمشيئة الله تعالى فقد جعل المخلوق نداً لله تعالى وأشرك بالله سبحانه.

ثانياً: سبب ناقص صحيح:

من اعتقد أن المخلوق ما هو إلا سبب ويحتاج إلى أسباب أخرى معينة، وله موانع تمنع من تحقيق أثره، وله بدائل، ولا يقع شيء منه إلا بمشيئة الله تعالى، ثم ثبت أن المخلوق سبب في ذلك إما ضرورة أو شرعًا جاز ذلك، كما ثبت في الآيات المذكورة والأحاديث الصحيحة، كقول الله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾.

أما من السنة فقد قال النبي ﷺ: «لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه»[١]، ولم يقل: «ثم الذئب على غنمه». وقال ﷺ: « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[٢]، ولم يقل: «ثم المؤمنون». وقال ﷺ: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[٣]، وقال ﷺ: «ذمة الله

(١) رواه البخاري (٦٩٤٣).
(٢) رواه مسلم (٢٣٨٧)
(٣) رواه البخاري (١٦).

وذمة ورسوله»[1]، ولم يقل في الحديثين: «ثم رسوله». لاسيما وقد أثبت الله تعالى للعبد مشيئة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، ولكن بشرط أن تكون هذه المشيئة مباحة أو مشروعة.

ثالثا: سبب ناقص غير صحيح

هو أن يعتقد في مخلوق أنه ما هو إلا سبب ولكن لم يثبت ضرورة ولا شرعاً، أو نسي فضل الله تعالى.

فمنه الشركي والمحرم والمكروه:

١ - **الشركي**: كأن يذكر الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى فيعزوه إلى الله وإلى المخلوق، فيعزو غفران الذنوب إلى الله تعالى وإلى مشيئة الولي أو النبي، أو إنزال المطر إلى الله تعالى وإلى مشيئة المخلوق.

٢- **المحرم**: كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، يقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، لولا الله وفلان. ناسياً فضل الله تعالى، فهو شرك أصغر.

(١) رواه مسلم (١٧٣١).

القاعدة الثامنة والثلاثون

من علم الحكم التكليفي لعملٍ ما ثم عمله فإنه يلحقه جميع تبعات هذا العمل وثمراته وعقوباته وحسناته وسيئاته

الأدلة على صحة هذه القاعدة:

أولًا: من القرآن

١- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾.

قال سعيد بن جبير: ما سنوا من سنة فعمل بها قوم من بعدهم؛ فإن كان خيراً فله مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمله شيئاً، وإن كانت شراً فعليه مثل أوزارهم ولا ينقص من أوزار من عمله شيئاً[١].

قال الغزالي: أي نكتب ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه.

٢- قال الله تعالى في أحد ابني آدم الذي قتل أخاه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾،

(١) رواه ابن أبي حاتم، تفسير ابن كثير (٦/ ٥٥٢).

فقال النبي ﷺ مبيناً الآية: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل»[1].

فهو لم يقصد إلا قتل أخيه ولم يقصد قتل من أتى بعده ولكنه يأخذ مثل إثم كل قاتل؛ لأنه هو الذي سن القتل فأمسى قدوة لكل قاتل؛ فجميع الآثام المتعلقة بالقتل تلحقه وإن لم يعلم إلا نوعاً واحداً من الإثم.

ثانياً: من السنة:

٣- الحديث المذكور في بيان الآية السابقة وهو قوله ﷺ: «لا تُقتل نفس ظلماً».

٤- عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[2].

فمن سن سنة حسنة فراجت بين الناس وعملوا بها أُجري له أجر أناس لم يقصد هدايتهم، ومن سن سنة سيئة فراجت بين الناس وعملوا بها وقع عليه إثم أناس لم يقصد إضلالهم.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).
(٢) رواه مسلم (١٠١٧).

٥- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال ﷺ: من غرس غرساً لم يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله إلا كان له صدقة[(١)].

قال المُناوي: يُثاب عليه ثواب الصدقة وإن لم يكن باختياره ولم يعلم به[(٢)].

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرجٍ أو روضة، فما أصابت في طِيَلها من المرج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طِيَلها فاسْتَنّتْ شَرَفاً أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرَّت بنهر فشربت منه ولم يُرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات، ورجل ربطها تغنياً وستراً وتعففاً ثم لم ينس حق الله في رقابها وظهورها فهي له ستر، ورجل ربطها فخراً ورياءً ونواءً لأهل الإسلام فهي له وزر»[(٣)].

الطِّيَل: الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى[(٤)].

(١) رواه أحمد (٦/ ٤٤٤)، ونحوه البخاري (٦٠١٢).
(٢) فيض القدير (٦/ ١٨٤).
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧).
(٤) ابن الأثير (٥٦١).

وجه الاستدلال: أن من ربطها في سبيل الله فإنه يؤجر على كل حركة لفرسه ويؤجر على أرواثها وشربها وهو لم يخطر في ذهنه تلك الحسنات.

٧- روى البخاري ومسلم: أن رجلاً قال للنبي ﷺ إن ابني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته، فافتديت منه بمئة شاة وخادم، ثم سألت رجالاً من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وعلى امرأته الرجم. فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكره، المئة شاة والخادم رد، وعلى ابنك جلد مئة وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها». فغدا عليها فاعترفت فرجمها[١].

فلما علم بتحريم الزنا ولم يكن يعلم ما هي عقوبته استحق كل ما يترتب عليه من آثار الزنا التي لم يعلمها قبل الزنا.

٨- روى أبو داود بسند حسن عن جابر رضي الله عنه قصة ماعز رضي الله عنه الذي اعترف بالزنا، فلما رجموه صرخ وقال: يا قوم، ردوني إلى رسول الله ﷺ، فإن قومي قتلوني وغروني من نفسي وأخبروني أن رسول الله ﷺ غير قاتلي.

(١) البخاري (٦٨٢٧، ٦٨٢٨).

قال جابر: فلم ننزع عنه حتى قتلناه[١].

قال ابن القيم: إن الجهل بالعقوبة لا يُسقط الحد إذا كان عالماً بالتحريم؛ فإن ماعزاً لم يعلم أن عقوبته القتل ولم يُسقط هذا الجهل الحد عنه[٢].

٩- قال النبي ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالًا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»[٣].

١٠- إن ترتب المسبب والنتيجة على السبب هو من الشارع لا من قِبَل المكلف، ولا دخل للمكلف في إيقاع النتائج والمسببات، وإنما عليه بذل السبب، فرتب الشارع المسببات والنتائج على أسبابها[٤].

قال شيخ الإسلام: ترتيب الأحكام على الأسباب للشارع لا للعاقد، فإذا أتى السبب لزمه حكمه شاء أم أبى؛ لأن ذلك لا يقف على اختياره[٥].

فجميع النتائج من عقوبات وحسنات هي من الشارع علقها بالأسباب

---

(١) أبو داود (٤٤٢٠).

(٢) الزاد (٣/ ٢٠٦).

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٨).

(٤) الشاطبي في الموافقات (١/ ٢١٤- ٢١٧).

(٥) الفتاوى الكبرى (٦/ ٦٤).

التي بذلها المخلوق وعلم تحريمها أو استحبابها.

١١- في قصة الاستهزاء التي حدثت في غزوة تبوك، لما جلس بعض ضعاف الإيمان مع المنافقين، فتكلم المنافقون[١] فقالوا: والله ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أصحاب محمد أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ .

من الذي عنده إيمان فقال الله تعالى فيه: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ؟ هم مجموعة من ضعاف الإيمان وليسوا منافقين، ولكنهم جالسوا المنافقين، بينما قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ ، ولم يقل: «بعد إيمانهم». لأنهم عُدِم عندهم أصل الإيمان في القلب، بخلاف المجموعة الأولى، وهذه المسألة فيها عدة فوائد:

الأولى: فرّق الله بين الاثنين، فقال في حق ضعاف الإيمان: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ، وقال في حق المنافقين: ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ . وتوضيح ذلك كما يلي:

قال الله تعالى في حق الفئة ضعيفة الإيمان التي خرجت مع النبي ﷺ في

(١) والمنافقون لا يقال عنهم بأنهم مؤمنون، بل مسلمون أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر.

غزوة تبوك واستهزأت بأصحاب النبي ﷺ وقالوا: «ما رأينا مثل قرائنا أصحاب محمد ﷺ أعظم بطوناً ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء». وكانت تعلم أن الاستهزاء محرم ولكنها لم تعلم أن هذه الألفاظ الساخرة بمن نُسب إلى القرآن «مثل قُرّائنا» ونُسب إلى النبي في صحبته «أصحاب محمد ﷺ »، لم يعلموا أن هذا النوع من الاستهزاء كفرٌ، مع علمهم بتحريمه، فقال الله فيهم: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ، فلحقهم جميع تبعات العمل الذي علموا تحريمه ولم يعلموا أنه كفر، وقد اعترف هؤلاء بقولهم المحرم واعتذروا؛ إذ قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فاعترفوا واعتذروا ولهذا قيل: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ، فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر، فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه، فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف، ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم ولكن لم يظنوه كفراً، وكان كفراً فكفروا به، فإنهم لم يعتقدوا جوازه»[(١)].

بينما الفئة الأخرى المنافقة والتي تلفظت بنفس هذه الألفاظ وصاحبت الفئة الأولى قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٣).

﴿كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ۚ﴾ ، قال شيخ الإسلام: «هؤلاء الصنف الذين كفروا بعد إسلامهم غير الذين كفروا بعد إيمانهم، فإن هؤلاء (أي الفئة المنافقة) حلفوا بالله ما قالوا، وقد قالوا كلمة الكفر التي كفروا بها بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا»[1].

الفائدة الثانية: من علم أن التلفظ بشيء معين كفر وتكلم به وبإرادته غير مكره فقد كفر.

الفائدة الثالثة: وأما من لم يعلم أنه كفر، لكن يعلم أنه محرم وتكلم به فإنه يلحقه كل توابع هذا المحرم، فإن كان كفرًا فهو كافر، كما في هذه الآية: ﴿كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ﴾، وكما قال ﷺ: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»، وقال: «ما من مقتول يُقتل إلا كان على ابن آدم كفل منها»، فهذان لم يقصدا ولم يريدا أن يقتدي الناس بهما، وبالرغم من ذلك فإنهما يتحملان كل النتائج.

ولو أن رجلاً يعلم أن الزنا محرم ولا يعلم أن فيه حداً ثم زنى فقالوا له: فيه حد. فقال: لا أعلم أن فيه حداً. قالوا: تعلم أنه محرم؟. قال: نعم. فإنه يلحقه كل تبعات ما علم أنه محرم ولو لم يعلم تبعاته، فيقام عليه حد الزنا كما في حديث العسيف الذي سبق ذكره.

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٣).

الفائدة الرابعة: أما إذا لم يكن يعلم أنه كفر ولا أنه محرم، بل يظن أنه مباح لأنه حديث عهد بجاهلية أو لم تبلغه النصوص أو تربى في مجتمع بعيد كل البعد عن عقيدة التوحيد فهو جاهل معذور بجهله، واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية بحديث نباش القبور الذي رواه البخاري فقال عند موته: لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا شديداً. فغفر الله تعالى له بالرغم من تلفظه بالشك في قدرة الله تعالى على جمعه بعد موته[1].

لذا بوب المؤلف باب [**من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول وقول الله تعالي:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ **الآية.**

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض: «**أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء -يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرّاء ـ فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ .فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه وهو يقول:**

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٥) (٢٨/ ٥٠٠-٥٠١)، (٣/ ٢٢٩).

إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾؟ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه»].

«**النسعة**»: وهي زمام ناقة النبي ﷺ المكون من سَيْر مضفور[1].

(١) النهاية لابن الأثير (٨٩٨).

القاعدة التاسعة والثلاثون

ميزان الله تعالى أعدل من ميزان البشر، وميزانه سبحانه يأخذ كل شيء بعين الاعتبار ولا يهمل شيئاً، فالبشر يحكمون بما ظهر لهم ولا يعلمون ما خفي، أما الله تعالى فيحكم بما ظهر وما بطن بميزان دقيق عادل، كما في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»: أي أن الله عز وجل قد يعاقبه بعض الشيء ثم يغفر له، كما في حديث شفاعة المؤمنين للموحدين الذين دخلوا النار، أو يغفر له مغفرة تامة دون عقوبة، كما في حديث البطاقة الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول: لا، يا رب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا، يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فيُخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟. فقال: فإنك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم

الله شيء»[1].

حديث البطاقة يتحدث عن بعض الناس وليس كل الناس ليتوافق مع حديث الشفاعة الذي فيه أن البعض يدخلون النار ثم يخرجون من النار بالشفاعة، ولكن من قال: «لا إله إلا الله» على أكمل وجه فله الجنة ولا يُعذب ولو أتى الصغائر ولكن لم يصر عليها واجتنب الكبائر، كما قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ ، أما من أتى الكبائر وله حسنات أثقل من سيئاته نجا لأنه قالها على وجه أقرب إلى الكمال، أما إذا كانت سيئاته أكثر من حسناته حينئذ لم يقلها على أكمل وجه ولا أقرب إلى الكمال فأمره إلى الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

ولكن كيف نوجه حديث البطاقة؟

يمكن أن يوجه حديث البطاقة بتوجيهات خاصة، منها:

التوجيه الأول

أن الرجل كان على الكفر ثم أسلم وارتكب سيئات في إسلامه، فقوة يقينه بالتوحيد هي التي حولته من الكفر إلى الإسلام، ثم قالها مرة أخرى عند احتضاره بقوة يقين، أما سيئاته التي ارتكبها في إسلامه ومات عليها

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩).

ربما لم يستحضرها ونسيها فلم يستغفر منها، فالله قد يتجاوز عنه.

التوجيه الثاني

كحال الرجل الموحِّد الذي كان يداين الناس ويتجاوز عنهم ليس تقربًا إلى الله تعالى ولا يقصد وجه الله وليس رياء ولكن خلقاً وسجية منه، وهو لم يعمل خيرًا قط غير هذا الفعل وهو التجاوز عن الموسر وإنظار المعسر سجية، ولكنه لم يقصد وجه الله تعالى فلا يستحق بها حسنة، «وكل عمل لا يُراد به وجه الله فهو باطل حابط»[1]، فهذا الرجل لا بد وأن تكون عنده سيئات كثيرة وسجلات منها، وبالرغم من ذلك تجاوز الله عنه؛ إذ قال النبي ﷺ: «إن رجلاً أتى الله ﷻ به فقال: ماذا عملت في الدنيا؟ فقال له الرجل: ما عملت من مثقال ذرة من خير أرجوك بها. فقالها ثلاثاً، وقال في الثالثة: أي رب، كنت أعطيتني فضلاً من مال في الدينا فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي أتجاوز عنه، وكنت أيسر على الموسر، وأنظر المعسر. فقال ﷻ: نحن أولى بذلك منك. تجاوزوا عن عبدي. فغفر له»[2]. فكان ذا أخلاق وكرم وجود سجية لا رياءً ولكن ليس له من الحسنات التي تقرب بها لى الله تعالى وقصد وجهه الكريم غير التوحيد فأكرمه الله

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/ ٣٥٠).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١١٨).

تعالى لكرمه وجوده وإحسانه إلى الناس، فالرجل المذكور في حديث البطاقة ربما تكون له أعمال طيبة كان يعملها سجية وخلقاً لا رياءً ولم يقصد بها وجه الله تعالى، فأكرمه الله تعالى، إذ لا يضاهي مخلوق كمال الله تعالى في كرمه ولا في جوده.

التوجيه الثالث

كحال الرجل الذي كان ينبش القبور ويأخذ أكفان الناس ويبيعها فتجاوز الله عنه، روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه ذكر رجلًا فيمن كان سلف، أو قبلكم [وفي رواية مسلم «لم يعمل حسنة قط»]، آتاه الله مالًا وولدًا، فلما حضر قال لبنيه: أي أب كنت لكم؟. قالوا: خير أب. قال: فإنه لم يبتئر[1] عند الله خيراً، وفي رواية: «فإني لم أعمل خيراً قط» وإن يقدر الله عليه يعذبه، فانظروا فإذا مت فأحرقوني، حتى إذا صرت فحمًا فاسحقوني ثم إذا كان ريح عاصف فاذروني فيها. فأخذ مواثيقهم على ذلك -وربي- ففعلوا، فقال الله: كن. فإذا رجل قائم، ثم قال: أي عبدي، ما حملك على ما فعلت؟. قال: مخافتك أو فَرَق منك. فما تلافاه أن رحمه الله»[2]، فشدة يقينه وشدة خوفه عند موته جعلت الله تبارك وتعالى يتجاوز عنه، وهذه

---

(١) أي لم يدخر.

(٢) رواه البخاري (٧٥٠٨، ٣٤٧٨)، ومسلم(٢٧٥٦).

الأمثلة حالات خاصة.

من ذلك يتبين أن ميزان الله تعالى ليس كميزان العباد، فالعبد يحكم بما تبين له من الطرف الآخر بالضوابط الشرعية، ولا يجزم أن هذا حكم الله وهذا جزاؤه عند الله تعالى، وإنما حكم الله تعالى هو أعلم به، وكما قال النبي ﷺ: «يأتيني أحدكم ألحن حجة من أخيه فأحكم له فأقتطع له قطعة من نار» فهو ﷺ يحكم بما ظهر له وإن كان حقيقة أمر الرجل ليس كما ظهر له ﷺ، وهذه قاعدة عظيمة في الحكم على الناس.

لذا ينبغي أن يفرق بين حكم الله وحكم العلماء وعدم الجزم بحكم الله وذمة الله.

لذا بوب المؤلف: [**باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه وقول الله تعالى:** ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ **الآية. عن بريدة** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **كان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً فقال: «اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن**

فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا». رواه مسلم].

فذكر المؤلف من فوائد هذا الباب: [**الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين. الفرق بين حكم الله وحكم العلماء. وأن الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا**].

فإذا عاهدت باسم الله فعليك أن تحفظ عهد الله تعالى مع الناس تعظيمًا لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ ، ولا تجزم بأنه حكم الله تعالى.

«**اغزوا ولا تغلوا**»: الغلول: هو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها.

«**ولا تغدروا ولا تمثلوا**»: أي بالناس وهو تقطيعهم أجزاء وأشلاء.

«**إذا حاصرت أهل حصن فلا تنزل على ذمة الله وذمة نبيه**»: فربما تخطيء، وربما تعاهدون قومًا آخرين غير هؤلاء القوم على نفس المسألة فتعاهدونهم بشروط مختلفة عن أولئك؛ فيقول الكفار حينئذٍ: هل هذا حكم الله؟ فأيهما حكم الله تعالى؟ الأول أم الثاني؟ أيهما ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ؟ فقال: «إنما على ذمتك وذمة أصحابك»، فإن أخطأت أخطأ عهدك، ولا يُسَبُّ عهد الله ورسوله، فأنزلهم على عهدك بما ظهر لك من الحق، فقل: على حكمي أنا.

لذا لا يقتضي حكم العلماء بكفر بعض الناس وخلودهم في النار أن يكون حكم الله كذلك، سواءً ممن شهد الشهادتين أم ممن لم يشهدهما.

القاعدة الأربعون

العقوبة على من بلغته الحجة فأعرض عنها، وكذبها

ولنتبين هذه القاعدة لابد من تقرير عدة ضوابط:

أولاً: الله تعالى لا يعذب أحداً اكتفاءً بالأدلة الكونية ودليل الفِطَر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، قال الشنقيطي: الآيات القرآنية مصرحة بكثرة بأن الله تعالى لا يعذب أحدًا حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل، وهو دليل على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة وما ركز من الفطرة... فصرح الله الذي يقوم به الحجة على الناس وينقطع به عذرهم هو إنذار الرسل، لا نصب الأدلة والخلق على الفطرة.

ثانياً: كل مكلف لقى نبياً أتى برسالة الله تعالى فقد قامت عليه حجة الله تعالى؛ من علم أن الذي أمامه رسول الله أو نبي الله تعالى فقد قامت عليه حجة الله تعالى، فوجبت متابعته وحرم عليه منازعته.

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ

يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ﴾، وكذا قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يُدخل النار إلا بعد إرسال الرسول إليه. أ.هـ.

قال ابن تيمية: ثم إن الله بكمال رحمته وإحسانه لا يعذب أحداً إلا بعد إرسال رسول إليهم وإن كانوا فاعلين لما يستحقون به الذم والعقاب كما كان مشركو العرب وغيرهم ممن بُعث إليهم رسول فاعلين للسيئات والقبائح التي هي سبب الذم والعقاب، والرب مع هذا لم يكن معذباً لهم حتى يبعث إليهم رسولاً... ولكن لا يعاقب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة، كما دل عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وفي قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾... وهذا أصح الأقوال وعليه يدل الكتاب والسنة[1].

(١) درء التعارض (٨/ ٤٩٢-٤٩٣).

قال ابن تيمية: أصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاؤوا به، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة؛ فإن الله أخبر في كتابه أنه لا يعذب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾، ﴿... سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ ، فدل ذلك على أنه لا يلقى فيها فوج إلا من كذب النذير، وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل[1].

وقال: دلت الآيات على أن من أتاه الرسول فخالفه فقد وجب عليه العذاب وإن لم يأته إمام ولا قياس، وأنه لا يعذَّب أحدٌ حتى يأتيه الرسول وإن أتاه إمام أو قياس[2].

ومما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ۝١٣٠ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ۝١٣١﴾ .

ثالثاً: صاحب الشرك إذا لم يلق نبياً فإنه لا يُعاقب إلا بعد بلوغ الرسالة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ

(١) المجموع (١١/ ١٨٦-١٨٧).

(٢) (١٩/ ٦٨).

رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن الله لا يعاقب صاحب الشرك إلا بعد بلوغ الرسالة، كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [(١)].

وقال : فمن لم يبلغه أمر الرسول في شيء معين لم يثبت حكم وجوبه عليه[(٢)].

في قول الله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾، قال ابن جرير : يحتمل قوله تعالى : ﴿بِظُلْمٍ﴾ وجهين :

أحدهما : من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي بشرك من أشرك وكفر من كفر وهم غافلون، لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلاً تنبههم على حجج الله عليهم وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا : ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ .

والثاني : لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك، والله غير ظلام للعبيد.

(١) المجموع (٢٠/ ٣٢).
(٢) (٢٢/ ١٠٢).

وأولى القولين بالصواب القول الأول[1]. قال ابن كثير: «ولا شك أنه أقوى».

قال ابن تيمية: روى عبدالرحمن بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي هريرة قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصمّ والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام، ثم أرسل إليهم رسولاً: أن ادخلوا النار. فيقولون: كيف ولم يأتنا رسل؟. قال: وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، ثم يرسل إليهم رسولًا، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه. ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ .

وفي رواية للطبري في تفسيره: «والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرِفُوا»، فبين أبو هريرة أن الله لا يعذب أحداً حتى يبعث إليه رسولاً، وأنه في الآخرة يمتحن من لم تبلغه الرسالة في الدنيا.

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وعن الأسود بن سريع أن نبي الله ﷺ قال: أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رَبِّ، لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: ربِّ، لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم

(١) تفسير ابن جرير (٨/ ٢٨).

فيقول: رَبِّ، لقد جاء الإسلام... الحديث». اهـ

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إخباره ﷺ عن أبويه وجده عبدالمطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة: «أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة، فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب. فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب: فلا منافاة»[1].

قال الله تعالى عنهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾، فلا بد من بلوغ النذارة.

رابعاً: الوعيد على الكفر لا يثبت في حق الشخص حتى تقوم عليه حجة الله التي بعث بها رسله، قال الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ﴾، فعلقه الله تعالى بأمرين: إتيان الرسل، والأدلة البينة والحجة الظاهرة على صحة ما جاؤوا به، وكذا قوله تعالى نقلاً عنهم: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ ، فهذه علة بعث الرسل ومقصد إرسالهم لبيان الحجة وإقامتها وبلوغها القلب.

قال ابن جرير: لم يكن الله يعاجل الكفار بالعقوبة حتى يبعث إليهم

(١) البداية (٢/ ٢٨١).

رسلاً تنبههم على حجج الله عليهم، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ . اهـ

قال ابن تيمية: حكم الوعيد على الكفر لا يثبت في حق الشخص المعين حتى تقوم عليه حجة الله التي بعث بها رسله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ، وأن الأمكنة والأزمنة التي تفتر فيها النبوة لا يكون حكم من خفيت عليه آثار النبوة حتى أنكر ما جاءت به خطأ كما يكون حكمه في الأمكنة والأزمنة التي ظهرت فيها آثار النبوة(١).

قال ابن القيم: إن الله تعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه(٢).

قال ابن كثير في قول الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ : يذكر تعالى عدله في خلقه وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ، ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ . اهـ

قال ابن القيم: الله تعالى يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وبعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة

---

(١) بغية المرتاد (٣١١).
(٢) الإعلام (٤/ ٢٦٩).

الخلق، وأما كون زيد بعينه وعمرو قامت عليه الحجة أم لا؟ فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير الإسلام فهو كافر، وأن الله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعقيب موكول إلى علم الله عز وجل وحكمه[1].

وقد قال النبي ﷺ: «ليس أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل»[2].

وفي أثر أبي هريرة رضي الله عنه وحديث الأسود بن سريع رضي الله عنه أن الأصم والأبكم قد شاهدوا رسل الله الذين أتوا بحجة الله تعالى ولكن حجة الله تعالى لم تقم عليهم، فلم يستبن لهم الحق للعذر الذي فيهم.

خامساً: عرض الأدلة من قبل أتباع الرسل لا يعني إقامة الحجة على التعيين، روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار»[3]، فانقطاع المسلم عن إظهار حجته وعن الرد على حجة الخصم لا يقتضي اقتناعه بحجة الخصم، ولا يقتضي بأن

(١) طريق الهجرتين (٧٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٦٠).

(٣) البخاري (٢٦٨٠).

الخصم قد أقام الحجة عليه، وكان الإمام أحمد يناقش الجهمية ويرد عليهم ويبطل حججهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لكن ما كان يكفر أعيانهم، فإن الذي يدعو إلى القول أعظم من الذي يقول به، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه، ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية أن القرآن مخلوق وأن الله لا يُرى في الآخرة وغير ذلك يدعون الناس إلى ذلك، ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم، ويكفرون من لم يجبهم، حتى أنهم كانوا إذا أمسكوا الأسير لم يطلقوه حتى يقر بقول الجهمية: أن القرآن مخلوق وغير ذلك، ولا يولون متولياً ولا يعطون رزقاً من بيت المال إلا لمن يقول ذلك، ومع هذا فالإمام أحمد -رحمه الله تعالى- ترحم عليهم واستغفر لهم؛ لعلمه بأنهم لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطأوا وقلدوا من قال لهم ذلك[1].

سادساً: لقيام الحجة لا بد من:

١- بلوغ العلم للآخر:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من خالف ما ثبت بالكتاب والسنة فإنه يكون إما كافراً وإما فاسقاً وإما عاصيًا، إلا أن يكون مؤمناً مجتهداً فيثاب

(١) المجموع (٢٣/ ٣٤٨).

على اجتهاده، ويُغفر له خطؤه، وكذلك إن كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة فإن الله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [(١)].

٢- الحجة لابد أن تكون ثابتة بالكتاب والسنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما إذا قامت عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها فإنه يعاقب بحسب ذلك[(٢)].

سابعاً: تناقض من وقع في الكفر لا يعني أنه قد أقيمت عليه الحجة.

لما تكلم عمن نفى مباينة الله عن خلقه وأنه كُفْر؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وإذا كان نفي هذه الأشياء مستلزماً للكفر بهذا الاعتبار وقد نفاها طوائف كثيرة من أهل الإيمان، فلازم المذهب ليس بمذهب إلا أن يستلزمه صاحب المذهب، فخلق كثير من الناس ينفون ألفاظاً أو يثبتونها بل ينفون معانٍ أو يثبتونها ويكون ذلك مستلزماً لأمور هي كفر، وهم لا يعلمون بالملازمة بل يتناقضون، وما أكثر تناقض الناس لا سيما في هذا الباب، وليس التناقض كفراً[(٣)].

---

(١) المجموع (١/ ١١٣).

(٢) المجموع (١/ ١١٣).

(٣) المجموع (٥/ ٣٠٦).

ثامناً: من أراد الهدى ولم يتمكن من معرفته فحكمه حكم أرباب الفترات

قسم ابن القيم الكفار المقلدين إلى أقسام:

١- قسم عرف الحق وقامت عليه الحجة ولكنه عاند، وترك إرادة موجبها وهو اتباعها فهذا معاند[١].

٢- قسم تمكن من معرفة الحق ولكنه أعرض عنه، ولم يرد سماعه ولا يحدث نفسه بمعرفة الحق ولا البحث عنه خشية أن يستسلم له وينقاد؛ فهذا معرض[٢].

٣- الجاهل وهو من لم تقم عليه الحجة ولم يتمكن من معرفتها لعدم وجود من يرشده وهو مريد للهدى مؤثر له محب له، ولم تبلغه الدعوة الصحيحة فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة، فليس بمكلف وهو بمنزلة الأطفال والمجانين[٣].

٤- المقلد الذي لا يُحدّث نفسه بغير ما هو عليه، وراضٍ بما هو عليه، ولا يؤثر غيره عليه، ولا تطالبه نفسه سواه. فهذا ليس كالقسم الثالث[٤]. ثم

(١) انظر طريق الهجرتين (٧٢٩، ٧٢٧).

(٢) انظر طريق الهجرتين (٧٢٧).

(٣) انظر: طريق الهجرتين (٧٢٥، ٧٢٧، ٧٢٩).

(٤) انظر: (٧٢٧).

قال: فتأمل هذا الموضع، والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة الخلق، وأما كون زيد بعينه وعمرو بعينه قامت عليه الحجة أم لا فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير الإسلام فهو كافر، وأن الله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعقيب موكول إلى علم الله ﷻ وحكمه[1].

لكن هنا يرد سؤال: لماذا لم يُحدّث نفسه بغير ما هو عليه ولا يؤثر غيره؟ هل لظنه أنه على حق؟ ولو علم الحق عند غيره لسارع ولكنه لم يسع إليه لاعتقاده يقينًا أنه على حق؟! فهذا كالقسم الثالث، أما إذا لم يكن كذلك فلا يتبع القسم الثالث، والله أعلم.

تاسعاً: المجتهد في معرفة الحق ولم يصل إليه قد أطاع الله تعالى، فقد قال النبي ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له قطعة من النار»[2].

قال ابن تيمية: إذا ظهرت له حجة أحدهما فلم يذكر الآخر حجته فقد

(١) طريق الهجرتين (٧٢٧).

(٢) رواه البخاري (٦٩٦٧، ٧١٦٩).

عمل بما ظهر له، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وهو مطيع لله في حقه من جهة قدرته وعلمه، لا من جهة كونه ذلك المعين أمر الله به[١].

وقال: الواجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم أنه أرجح من غيره، وهو العمل بأرجح الدليلين المتعارضين، وحينئذٍ فما عمل إلا بالعلم... والذي جاءت به الشريعة وعليه عقلاء الناس أنهم لا يعملون إلا بعلم بأن هذا أرجح من هذا؛ فيعتقدون الرجحان اعتقاداً عملياً، ولكن لا يلزم إذا كان أرجح أن لا يكون المرجوح هو الثابت في نفس الأمر، وهذا كما ذكر النبي ﷺ حيث قال: «ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بنحو مما أسمع»، فإذا أتى أحد الخصمين بحجة مثل بينة تشهد له ولم يأت الآخر بشاهد معها كان الحاكم عالماً بأن حجة هذا أرجح؛ فما حكم إلا بعلم، ولكن الآخر قد يكون له حجة لا يعلمها، أو لا يحسن أن يبينها... أو لا يذكرها، أو لا يجسر أن يتكلم بذلك[٢].

وقال: إذا ظن الرجحان فلا بد وأن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر... فيكون متبعاً لما علم أنه أرجح، وهذا اتباع للعلم لا للظن، وهو اتباع الأحسن كما قال تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾،

---

(١) المجموع (٢٠/ ٣٠).
(٢) المجموع (١٣/ ١١٥).

وقال: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾، فإذا كان أحد الدليلين هو الأرجح فاتباعه هو الأحسن[1].

عاشراً: من بلغته الدعوة مشوهة، قال ابن القيم فيما يتعلق بجهال الكفرة وأتباعهم الذين هم غير محاربين لأهل الإسلام الذين لم ينصبوا أنفسهم في السعي في إطفاء نور الله وهدم دينه وإخماد كلمته: «أما من لم تبلغه الدعوة فليس بمكلف في تلك الحال، وهو بمنزلة الأطفال والمجانين»[2].

قوله: «لم تبلغه الدعوة»: يعني من لم تبلغه الدعوة الصحيحة، فماذا لو بلغته الدعوة ولكن مشوهة؟ وقال: «إن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة، وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها، وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد.

وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل»[3]. اهـ

---

(١) انظر المجموع (١٣/ ١١٤)، (٣٥/ ٣٧٦-٣٧٧)، (٦/ ٤٢٧).
(٢) طريق الهجرتين (٧٢٥).
(٣) (٧٢٩).

وهنا مسائل:

أولها: ينبغي التفريق بين من بلغته دعوة الرسولﷺ الصحيحة ولا يريد أن يسمعها وينفر منها، وآخر بلغته الدعوة مشوهة تشويهاً منعه من النظر فيها والاستماع إليها.

ثانيها: إن عدم قيام الحجة على الكافر كُفْرَ جَهلٍ وعدم تمكنه من معرفتها يشمل من لم تبلغه الرسالة ومن بلغته مشوهة تشويهاً يمنعه من النظر فيها والاستماع إليها؛ لذا قال ابن جرير في قول الله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾، من الحجج على توحيد الله فتوحدوه وتؤمنوا به وتتبرؤوا مما دونه من الآلهة، قالوا: بلى قد أتانا رسلنا بذلك[1].

قال ابن كثير: أو قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل؟ قالوا: بلى. أ.هـ.

وقال الآلوسي: أي لم تُنَبَّهوا على هذا؟ ولم تك تأتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي؟.. .﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [2].

---

(١) ابن جرير (٢٤/ ٤٨).
(٢) (٢٤/ ٧٦).

فبين الله سبحانه أنهم لم يدخلوا النار إلا بعدما جاءتهم البينات، فمن وصلته الرسالة مشوهة تشويهاً يمنعه من النظر فيها والاستماع لها لا يقال فيه: أنه جاءته الرسل بالبينات أو أنه معرض عن الحق.

وقد بين الله سبحانه أن أهل الجاهلية هم في غفلة قبل بعثة النبي ﷺ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ ، وبين سبحانه أنه لا يعذب بالغفلة: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ۝١٣١﴾، وأن العذاب مع الغفلة ظلم ينزه الله عنه سبحانه؛ قال ابن جرير: يحتمل قوله تعالى ﴿بِظُلْمٍ﴾ وجهين:

أحدهما: ذلك من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي «بشرك» من أشرك وكفر من كفر وهم غافلون لم يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلاً تنبههم على حجج الله عليهم، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم، ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة فيقولوا: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ .

والثاني: لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك، والله غير ظلام للعبيد.

وأولى القولين فالصواب القول الأول[١]. قال ابن كثير: ولا شك أنه

---

(١) ابن جرير (٨/٢٨).

أقوى..ا. هـ.

الحادي عشر: الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدماً في إقامة الحجة عليه وفي تكفيره، قال ابن تيمية: متى ثبت عموم اللفظ وعموم العلة وجب ترتيب مقتضى ذلك عليه ما لم يدل دليل بخلافه[1].

ففي حق من شهد الشهادتين لا نُخرجه من الإسلام ولا نشهد له بالوعيد بالرغم من فعله للشرك أو الكفر؛ لعدم علمنا بباطن أمره حتى تتحقق فيه ضوابط تكفير المعين.

أما من لم يشهد الشهادتين فلا نحكم له بالإسلام ونحكم بعدم إسلامه سواءً ثبت مانع أم فات شرط، أما الله تعالى فله شأن آخر معه وميزانه سبحانه أعدل من ميزان البشر، فإذا كان ميزان العدل فيمن شهد الشهادتين أن لا نحكم بكفره لعدم قيام الحجة وإن سمع بها لفوات شرط أو وجود مانع؛ فميزان العدل فيمن لم يشهد الشهادتين وسمع دعوة مشوهة تشويهاً يمنعه من البحث فيها والاستماع إليها وانتفى شرط أو وجد مانع هو في عدم قيام الحجة عليه، فالعلة متحققة سواءً شهد الشهادتين أم لم يشهدها، وإن كنا لا نحكم بإسلام من لم يشهد الشهادتين ونحكم عليه بالكفر، أما ميزان الله تعالى فهو أعدل وأحكم وأرحم.

(١) المجموع (٦/ ٤٢٧).

الثاني عشر: من عبد الله عبادة من جنس المأمور به ولم يعلم النهي عنها، بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن كل من عبد عبادة نُهي عنها ولم يعلم بالنهي ولكن هي من جنس المأمور به أُثيب على ذلك[١].

قال شيخ الإسلام: كل من عبد عبادة نُهي عنها ولم يعلم بالنهي -لكن من جنس المأمور به: مثل من صلى في أوقات النهي، وبلغه الأمر العام بالصلاة ولم يبلغه النهي، أو تمسك بدليل خاص مرجوح مثل صلاة جماعة من السلف ركعتين بعد العصر لأن النبي ﷺ صلاها، ومثل صلاة رويت فيها أحاديث ضعيفة أو موضوعة كألفية نصف شعبان وأول رجب، وصلاة التسبيح كما جوزها ابن المبارك وغير ذلك، فإنها إذا دخلت في عموم استحباب الصلاة ولم يبلغه ما يوجب النهي أُثيب على ذلك، وإن كان فيها نهي من وجه لم يعلم بكونها بدعة تتخذ شعاراً ويجتمع عليها كل عام فهو مثل أن يحدث صلاة سادسة، ولهذا لو أراد أن يصلي مثل هذه الصلاة بلا حديث لم يكن له ذلك، لكن لما روى الحديث اعتقد أنه صحيح فغلط في ذلك فهذا يغفر له خطؤه ويُثاب على جنس المشروع، وكذلك من صام يوم العيد ولم يعلم بالنهي، بخلاف ما لم يشرع جنسه مثل الشرك، فإن هذا لا ثواب فيه[٢].

---

(١) انظر: المجموع (٢٠/ ٣١-٣٢).

(٢) (٢٠/ ٣١).

الثالث عشر: من شهد الشهادتين فلا يشهد له بالنار بعينه إلا بشروط.

قال ابن تيمية: نصوص الوعيد حق، لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد؛ فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع[1].

وقال: هكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل:

١- لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق.

٢- وقد تكون عنده ولم تثبت عنده.

٣- أو لم يتمكن من فهمها.

٤- وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها[2].

وقال: وكنت أبين لهم أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين... ثم الشخص المعين يلتغي حكم الوعيد فيه: بتوبة أو حسنات ماحية أو مصائب مكفرة، أو شفاعة مقبولة، والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل:

---

(١) مجموع الفتاوي (٢٣/ ٣٤٥)، وانظر: (١٠/ ٣٧٢).

(٢) المجموع (٢٣/٣٤٦).

١- حديث عهد بإسلام.

٢- أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة.

٣- وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص.

٤- أو سمعها ولم تثبت عنده.

٥- أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً.

وكنت أذكر دائماً الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: «إذا أنا مت فاحرقوني... فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً... فقال الله له: ما حملك على ما فعلت؟. قال: خشيتك. فغفر له»، فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذري، بل اعتقد أن لن يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكنه كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك، والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من مثل هذا[(١)].

وقال عن الإمام أحمد: إنما كان يكفِّر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته... لكن ما كان يكفر أعيانهم، فإن الذي يدعو إلى القول أعظم

(١) انظر المجموع (٣/ ٢٣٠-٢٣١)، (١٠/ ٣٢٩-٣٣٠)، (٤/ ٤٨٤، ٤٧٤).

من الذي يقول به، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه، ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمر يقولون بقول الجهمية... ويدعون الناس إلى ذلك ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم ويكفرون من لم يجبهم... ومع هذا فالإمام أحمد -رحمه الله تعالى- ترحم عليهم واستغفر لهم؛ لعلمه بأنهم لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطأوا وقلدوا من قال لهم ذلك[1].

فميزان الله تعالى في المثوبة والعقوبة أعدل وأحكم وأرحم.

(١) المجموع (٢٣/٣٤٨-٣٤٩).

القاعدة الحادية والأربعون

أكمل الثواب معلق بأكمل أنواع العمل، وأسوأ العقوبات معلقة بأسوأ أنواع العمل

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾، كيف نفهم هذه الآية؟ وكيف نفهم النصوص الواردة فيمن حقق التوحيد دخل الجنة وإن عصى الله تعالى؟

لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَم يَظْلِمُ نَفْسَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»[1].

لقد أصل النبي ﷺ في هذا الحديث قاعدة عظيمة لو فُهمت لانحلت إشكالات كثيرة في فهم الآيات والأحاديث التي ظاهرها التعارض، هذه القاعدة هي أن أكمل الثواب معلق بأكمل أنواع العمل، وأسوأ العقوبات معلقة بأسوأ أنواع العمل.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٩٧٣)، ومسلم (١٢٤).

المثال الأول

لقد بيّن النبي ﷺ أن من قال: لا إله إلا الله. دخل الجنة، وفي حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله. يبتغي بذلك وجه الله»، ولكن يرد سؤال: هل بمجرد قولها يدخل الجنة ولا يعذب في النار أبدًا؟ فإن من المسلمين من يشهد الشهادتين ويشرب الخمر، ومنهم من يزني، ومنهم من يسرق، فهل يدخلون في هذا الحديث أنه يحرم عليهم دخول النار؟

هنا تطبق القاعدة: «كمال الثواب بكمال العمل »، فإذا قال: «لا إله إلا الله» على أكمل الأحوال بكمال التدبر مع كمال الانقياد والاستسلام فإنه سيدخل الجنة ولا يدخل النار أبداً، ولكن إذا نقص عن ذلك وقَلّ استسلامه لها والصدق والتدبر والانقياد لها وقَلّ العمل بمقتضاها نقص الثواب.

المثال الثاني

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَقَالَ تَمَامَ الْمِئَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[1]، فهل ثواب الذي يقولهن دون تدبر واستشعار مثل ثواب الذي يقولهن بتأنٍ ويستشعر معنى كل كلمة؟ هل يغفر للجميع ذنوبهم وإن كانت مثل زبد البحر؟ الصحيح أن من سبح بكمال التدبر والانقياد فله أكمل الثواب، ومَن قلّ تدبره قلّ ثوابه.

المثال الثالث

قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[2]، فكل مسلم يقول: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، ثم يعمل الطاعات، ولكن فيه شيء من الكبر، أَلَا يدخل الجنة أبداً؟! القاعدة: إذا علَّقت العقوبة بعمل سيء فإن أشد العقوبة لأسوأ أنواع هذا العمل، فإذا قلّ العمل السيئ قلّت العقوبة.

بتطبيق القاعدة يُحل هذا الإشكال، فإن أسوأ أنواع الكبر هو كبر الكفر، كما قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، فهذا أسوأ أنواع الكبر فيجزى بأسوأ أنواع العقوبة فلا يدخل الجنة أبدًا، أما الكبر الذي هو المعصية دون الكفر وليس كفرًا فقد قلّ سوء عمله عن الأول فتقلّ العقوبة فيدخل الجنة، ولكن يتأخر في دخولها لمعصيته.

(١) رواه مالك موقوفًا (٢/ ٢٠٤ الزرقاني) ورواه مسلم (٥٩٧) مرفوعًا والموقوف أصح.
(٢) رواه مسلم (٩١).

المثال الرابع

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾، لو أن مسلماً يفعل طاعات كثيرة ولكنه يقارف المعاصي ويقع فيها، فهل يكون خالداً في النار وفقًا لهذه الآية؟

تطبق القاعدة: «أسوأ أنواع العقوبة لأسوأ أنواع العمل»، وأسوأ أنواع المعصية معصية الكفر، كما قال تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾، فمعصية فرعون كانت الكفر؛ فله أسوأ العقوبات وهي الدخول في النار خالدًا فيها، ولكن إذا قلّت المعصية قلّت العقوبة.

المثال الخامس

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: الاهتداء في الدنيا، والأمن في الآخرة.

فالناس ثلاثة أقسام في الظلم:

القسم الأول: من قارف أشد أنواع الظلم وهو الشرك بالله عز وجل فعقوبته أنه لا أمن له ولا هداية له في الدنيا ولا في الآخرة.

القسم الثاني: الذي لم يقارف ظلم الشرك والكفر ولا ظلم المعاصي الأخرى، وإذا عصى سارع إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى فهو عبد تواب أواب، فهذا جزاؤه أن له الاهتداء التام في الدنيا والأمن التام في الآخرة.

القسم الثالث: المسلم العاصي وهو الذي خلا من ظلم الشرك والكفر ولكنه لم يخل من ظلم المعاصي الأخرى فهو في أمن جزئي واهتداء جزئي على قدر تلبسه بالظلم.

وبهذا يتبين معنى قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

المثال السادس:

قال النبي ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**».

هل كل من شهد بذلك كان له هذا الثواب؟ ويدخل الجنة بلا عقوبة؟

الشهادة مراتب

المرتبة الأولى: العلم، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ، فلا تكون شهادة إلا بعلم.

المرتبة الثانية: إخبار النفس، ففي حق المخلوق يشمل قول القلب وقول اللسان.

المرتبة الثالثة: إخبار الغير، فيقال: «يشهد على الشيء»: أي يخبر بصحة وقوع ذلك الشيء، كالشهادة المعروفة عند القضاء وعند الناس.

المرتبة الرابعة: الإلزام، أي قضى وألزم وحكم.

فالله تعالى شهد المراتب الأربعة؛ إذ عَلِم الله ما هو مذكور في الحديث بل هو الذي أوحاه إلى النبي ﷺ، وأخبر الله عز وجل نفسه به، وأخبر الخلق به، وقضى به وحكم وألزم الخلق به.

فمن حقق هذه المراتب على أتمها وأكملها فتعلم الكلمات المذكورة في الحديث ثم أخبر نفسه بها فتلفظ بالشهادتين، وألزم نفسه بها إلزاماً تاماً ودعا غيره إليها تحقق له هذا الحديث على التفصيل المذكور، وإذا قلّت شهادته بذلك قلّ ثوابه.

القاعدة الثانية والأربعون

الإيمان بالقدر

من الأمور التي يجب الإيمان بها هو الإيمان بالقدر؛ لذا بوب المؤلف:

[باب ما جاء في منكري القدر: وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». رواه مسلم. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة». يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني». وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة». وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار». وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله

منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ .حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه].

إذا عرفنا قواعد القدر سهل علينا فهمه -بإذن الله تعالى-.

الفرق بين القدر والقضاء

القدر: هو ما سبق في علم الله تعالى المتعلق بهذا العالم المشاهد المكتوب في اللوح المحفوظ(١)؛ إذ توجد أمور غير مكتوبة في اللوح المحفوظ، منها المتعلقة بالله تعالى وأخرى متعلقة بغير هذا العالم المشاهد، فعلم الله تعالى غير محصور فيما هو مكتوب في اللوح المحفوظ.

أما القضاء: فهو نزول الحكم الإلهي، وقد جاء في الحديث: «لا يرد القضاء إلا الدعاء»(٢)، وفي بعض الروايات: «لا يرد القدر إلا الدعاء».

---

(١) انظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ١٧٣-١٨٠)، ومنهاج السنة (١/ ١٩٠)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ١٧٧، ٦٠-٦١)، ولوامع الأنوار السنية للسفاريني (٢/ ١٢٠).

(٢) رواه الترمذي (٢١٣٩)، واللفظ الآخر رواه أحمد (٥/ ٢٧٧). انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (١٥٤).

مراتب القدر

أولاً: علم الله تعالى

فالله تعالى يعلم ما كان في الماضي، وما سيكون في المستقبل، وما يكون ويحصل الآن، وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما قال الله تعالى في بعض المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ ، فالمنافقون ما خرجوا مع النبي ﷺ في القتال، لكن بيّن الله تعالى أنهم لو خرجوا ما زادوكم إلا خبالًا، فهو لم يكن، ولكن لو كان فخرجوا لعلم الله تعالى ماذا سيحصل؟ فالله ﷻ ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ ، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ ، ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ .

ثانياً: كتابة القدر

إن الله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ ما علم أنه سيحدث فيما يتعلق بهذا الكون المشاهد، كما قال تعالى:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ .

الكتابة لا تقتضي الإجبار

كتابة القدر هي كتابة علم لا كتابة إجبار، فالكتابة لا تقتضي الإجبار، فلو علمت من ابنك أنه دائما يأكل الحلاوة كلما دخلت السوق المركزي، فكان كلما ذهب معك إلى السوق المركزي أكل الحلاوة وهو مصاب بمرض السكري، فكلما نصحته بعدم تناولها لا ينتصح، وهو في كل مرة يأكلها، وإذا عاقبته بعدم اصطحابه إلى السوق المركزي بكى وقد تكرر ذلك منه ما يزيد عن خمسين مرة، وفي يوم من الأيام بكى وطلب منك أن تصطحبه، ووعدك بأنه لن يأكل الحلاوة، فأخذته معك ثم رأى الحلاوة في السوق المركزي فما صبر حتى أكل منها، ثم طلب الذهاب مرة أخرى معك إلى السوق فرفضت، فقال لك صاحبك: يا فلان، دع الولد يذهب معنا. فقلت له: إنه مصاب بالسكري، وسيأكل الحلاوة. ولكن ابنك وعدك أمام صاحبك أنه لن يأكل منها، وكذا عاهدك صاحبك نيابة عن ابنك، فقلت لصاحبك: سوف أكتب لك ورقة أنه عندما يدخل السوق المركزي سيأكل الحلاوة. وبعد أن كتب الأب هذا الكتاب قال لصاحبه: خذ هذه الورقة واجعلها في جيبك. فالأب كتبها من خبرته وتجربته السابقة، ثم دخلوا السوق فذهب الابن وأكل الحلوى، الآن، هل يقال بأن الأب قد أجبر الولد على الأكل لأنه كتب هذه الورقة؟ لا، فكتابة القدر لا

تعني الإجبار، وإنما كتبه الله تعالى بعلمه الأزلي الذي لا يخطئ.

القدر المكتوب قدران:

١- قدر في اللوح المحفوظ كتبه الله تعالى، وهذا لا يتغير ولا يتبدل.

٢ - وقدر في صحيفة المَلَك. إذ يقول الله تعالى للملك عند نفخ الروح في الجنين: اكتب أجله ورزقه وشقاءه وسعادته. وهذا القدر عند المَلَك يتغير ويتبدل كما حصل لآدم عليه السلام، إذ روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب، من هؤلاء؟. قال: هؤلاء ذريتك. فرأى رجلًا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب، من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود. فقال: رب، كم جعلت عمره؟. قال: ستين سنة. قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة. فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت فقال (آدم): أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟. قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته»[1]، دل هذا الحديث على إمكانية تغيير عمر الإنسان في صحيفة الملك.

(١) رواه الترمذي (٣٠٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وكما حصل لموسى عليه السلام، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: «أُرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. فرد الله عليه عينه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب، ثم ماذا؟. قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلو كنت ثَمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر»[1]، فدلت الرواية على إمكانية تغيير عمر نبي الله موسى عليه السلام في صحيفة الملك.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[2]، ففيه دليل على زيادة العمر مما يقتضي تغييره في صحيفة الملك، فإن أطاع والديه زاد عمره، وإن عصاهما نقص عمره؛ لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزيد في العمر إلا البر»[3]، وقال صلى الله عليه وسلم: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم

---

(١) رواه البخاري (١٣٣٩).

(٢) رواه أحمد (٦/ ١٥٩) وأطراف المسند (٩/ ٢١٤، - ح ١٢٠٦٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٥١٩).

(٣) رواه الترمذي (٢١٣٩)، والحاكم (١/ ٤٩٣)، وحسنه الترمذي، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤).

محبة في الأهل، مَثراة في المال، منسأة في الأثر»[1]، ومعنى قوله: «منسأة في الأثر»: يعني زيادة في العمر، وكقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾، فالمحو يقع في القدر الذي عند الملك وكذا الزيادة والإثبات، وأما ما في اللوح المحفوظ: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فلا يتغير ولا يتبدل.

فلان أغضب والدته، وخرج مسافرًا بالسيارة، وبينما هو في الطريق أوحى الله تعالى - عن طريق الملَك- إلى سائق شاحنة في الطريق المقابل أنه توجد محطة وقود جهة طريق العاصي، فأوعز المَلَك في صدر سائق الشاحنة أن يتزود من محطة الوقود هذه التي ستأتي بعد قليل، بينما العاصي في طريقه يسير بسرعة كبيرة ولم يبق بينه وبين الشاحنة في الطريق إلا ثوان لتعترض طريق العاصي أثناء دخولها محطة الوقود فيصطدم بها، وخلال هذه الثواني قبل الحادث حدّث العاصي نفسه: لقد أغضبت والدتي. فرفع هاتفه واتصل بأمه قائلا: سامحيني يا أمي، أنا مخطئ في حقك. فقالت له: يا ولدي، عسى الله أن يوفقك، وييسر أمورك. فألهم الله تعالى إلى صاحب الشاحنة أن ينتقل إلى محطة أخرى بعد هذه المحطة وذلك قبل ميعاد الاصطدام بخمس ثوان، فأكمل كل منهما طريقه، فنجا العاصي بعد توبته، فمحا المَلَك ما كان

---

(١) رواه الترمذي (١٩٧٩).

مكتوباً في حق العاصي من حادث الاصطدام وكتب نجاته، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ .

المرتبة الثالثة: إرادة الله تعالى وإرادة العبد

لله تعالى إرادة مطلقة، وللعبد إرادة محدودة ومقيدة بإرادة الله تعالى .

وإرادة الله تعالى نوعان:

الأولى: الإرادة الشرعية: وهي ما يحبه الله تعالى ويرضاه من العبد كالصلاة والصوم، وهي التي قد يستجيب لها العبد وقد لا يستجيب، وعليها يُحاسب العبد.

الثانية: الإرادة الكونية القدرية وهي المكتوبة في اللوح المحفوظ وهي التي لا تتغير ولا تتبدل، سميت قدرية لأنها مكتوبة في القدر، وسميت كونية لأنها تحققت بقول الله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ .

العبد المؤمن والعبد الكافر

لتقريب المعنى إلى الذهن يمكن تصويرها كما يلي:

إذا أراد المؤمن أن يصلي فكأن إرادته تستأذن إرادة الله تعالى: هل تأذنين لي في أن أريد أن أصلي؟. فتقول إرادة الله تعالى: نعم، بل وأعينك على ذلك. ولو أراد أن يعصي فكأن إرادته تستأذن إرادة الله

تعالى: هل تأذنين لي في أن أريد أن أعصي؟ فإرادة الله قد تمنعه لتحفظه، وقد لا تمنعه ولكن تقول له: احذر، فستلحقك العقوبة.

بينما الكافر إذا أراد أن يطيع الله ﷻ، فإرادته تستأذن إرادة الله ﷻ: هل تأذنين لي في أن أريد طاعة الله تعالى؟ فتقول: نعم، بل أزيدك طاعة. وإذا أراد معصية الله تعالى فإن إرادته تستأذن إرادة الله تعالى: هل تأذنين لي في إرادة المعصية؟ فقد تقول إرادة الله ﷻ: نعم، ولكن اعلم بأنه ستلحقك العقوبة. وقد تمنعه إرادة الله تعالى.

هذا التصوير لتقريب المعنى إلى الذهن، وإلا فحتى أصل الإرادة التي تستأذن مقيدة بمشيئة الله تعالى.

إذن إرادة العبد مقيدة بإرادة الله تعالى ولا تخرج عن سلطة إرادة الله تعالى، وهذا قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، وكلها يعلمها الله تعالى وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ.

المرتبة الرابعة: خلق أفعال العباد

الله تعالى خلق العباد والخلق وخلق أفعالهم وخلق فيهم قوى وطبائع وأسباباً يُحدث الله بها الحوادث، فبالماء تحيى الأرض، وبحب الإنسان للخير وما خلق الله فيه من الوسائل والقوى يفعل العبد الخير، وبحبه للشر وما خلق الله فيه من الوسائل والقوى يفعل

العبد الشر؛ فالعبد هو الذي يفعل ويكسب ويبذل الأسباب لتحقيق الخير أو الشر ويُحاسب عليها، وجميع ذلك خلقه الله تعالى سواءً الخلق والقوى والطبائع والحوادث والأسباب ونتائجها ومآلاتها، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ولتقريب المعنى: الله تعالى خلق الطاعة وطاعة الوالدين، وخلق المعصية والزنا وشرب الخمر، فيأتي العبد ويختار فعل شرب الخمر، أو يختار فعل الزنا، أو يختار طاعة الوالدين، فالله تعالى خلق العباد وخلق أفعالهم، وإنما العبد هو الذي يفعل ويكسب.

المرتبة الخامسة: الأسباب والنتائج

إن العبد مؤاخذ على بذل السبب وغير مؤاخذ على النتيجة، والنتائج تعزى إلى قدر الله تعالى، فيحاسب العبد هل بذل السبب الحسن؟ لماذا لم يبذله؟ فإذا بذل السبب الحسن أثيب، وإذا كان بذله السبب الحسن سبباً لبذل آخرين أسباباً حسنة أثيب، كما في الحديث: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»، ويحاسب على بذله السبب السيء، وإذا كان بذله السبب السيء سبباً لبذل آخرين أسباباً سيئة عوقب، كما في الحديث: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها».

وأنت لا تعلم ما هي نتيجتك، هل ستموت على الإيمان أم على غير

الإيمان؟ أنت تعمل ولا تقول: إن الله تعالى كتب عليّ كذا فلماذا أعمل؟. وما يدريك أن الله تعالى كتب عليك الإيمان أو عدم الإيمان؟ فأنت لا تعلم ما هو مكتوب لك؛ فعليك بذل الأسباب وعلى الله النتائج؛ لذا قال النبي ﷺ: «اعملوا، فكل ميسر لما خلق له»، وللبيان أن على العبد بذل الأسباب الشرعية التي بيده وأن النتائج خارجة عن قدرته لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ : **وفي الصحيح: عن ابن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله** ﷻ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ **الآية. وأنزل الله في أبي طالب:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾]. فهذه خمس مراتب.

أما حديث عبادة: «أول ما خلق الله تعالى القلم» فهي رواية ضعيفة لا تصح عن النبي ﷺ، إذ رواه عن عبادة أربعة: أولهم محمد بن عبادة[1]

(١) رواه الآجري (١٨١، ٣٤٧).

وهو لا يعرف، وفي سنده معاوية بن يحيى هالك، وثانيهم أبو حفصة[١]، وقد اضطرب الراوي عنه وهو إبراهيم بن أبي عبلة، فتارة يرويه عن أبي حفصة، وتارة عن أبي عبدالعزيز الأردني[٢]، وأبو حفصة هو حبيش بن شريح لم يرو عنه إلا اثنان ولم يوثقه إلا ابن حبان. أما أبو عبدالعزيز الأردني فقد قال الألباني: لم أعرفه، وفي تهذيب الكمال ذكر في ترجمة إبراهيم أنه يروي عن أبي يزيد الأردني؛ ولم يذكر أبا عبدالعزيز الأردني فربما تصحف لأحدهما، وهذا الطريق الثالث، أما الطريق الرابع فقد رواه الوليد بن عبادة، عن أبيه، وقد رويت عنه بطريق ضعيفة لا يجبر بعضها بعضاً؛ ففي الطريق الأول الوليد بن مسلم[٣]، وفي الطريق الثاني بقية بن الوليد[٤]، وهما مدلسان مسوّيان، وفي سنديهما عنعنة، فربما أسقط بقية من سنده عبدالواحد بن سليم الضعيف[٥]، وفي الطريق الثالث ابن لهيعة وهو مدلس وقد اختلط ويلقن[٦]، والطريق الرابع رواه معاوية بن صالح[٧] عن أبي زيد

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٠).

(٢) رواه ابن أبي عاصم (١٠٢).

(٣) رواه الآجري (٣٧١).

(٤) رواه ابن أبي عاصم (١٠٤)، والآجري (٤٣٩).

(٥) رواه ابن أبي عاصم (١٠٥).

(٦) رواه ابن أبي عاصم (١٠٣).

(٧) رواه ابن أبي عاصم (١٠٧)، والآجري (١٨٠، ٣٤٦، ٣٧٢).

الحمصي الذي لم يوثقه معتبر، ومعاوية بن صالح يغرب بحديث أهل الشام جداً.

والصحيح أنه موقوف على ابن عباس بلفظ: «إن الله تعالى كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً، ثم خلق فكان أول ما خلق القلم ثم أمره فقال: اكتب، فكتب...». رواه الآجري[1]، واللالكائي[2]، وابن بطة[3]، من طريق وكيع، عن سفيان الثوري، عن أبي هاشم «وهو إسماعيل بن كثير صاحب مجاهد»، عن مجاهد، عن ابن عباس، وسنده صحيح؛ رجاله ثقات حفاظ أعلام، وأما المرفوع فأصحه بلفظ: «لما خلق الله القلم قال له: اكتب. فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة»، رواه الطبراني[4] من طريق سويد بن نصر عن عبدالله بن المبارك ثنا رباح بن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزَّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً، وسويد بن نصر ثقة متقن راوية ابن المبارك، ولفظه أصح من لفظ من هم دونه كأحمد بن جميل وهو صدوق وقد سمع من ابن المبارك وهو صغير وقال: كنت أسمع منه

---

(١) الشريعة (٣٥١، ٤٤٤، ٦٦٦).

(٢) (١٢٢٣).

(٣) (٩٨).

(٤) المعجم الكبير (١٢/٦٨، ح ١٢٥٠).

وأنا أنظر إلى العصافير[(١)]. وممن دونه حبان بن موسى ويعمر بن بشر، وبالرغم من ذلك فرفعها شاذ، إنما الراجح وقفها على ابن عباس رضي الله عنهما؛ إذ رواه موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما مجاهد، ومقسم[(٢)]، وأبو الضحى[(٣)]، وأبو ظبيان[(٤)]؛ لذا قال أبو نعيم: لم يروه عن سعيد إلا القاسم، ولا عنه إلا عمرة، تفرد به رباح[(٥)]. لا سيما وتلامذة سعيد بن جُبير كثيرون ولم يروه أحد عن سعيد بن جُبير مرفوعاً إلا القاسم، وهو قليل الحديث، وليست له رواية في السنن عن ابن جبير إلا حديثاً واحداً، والرواية سواءً صحت مرفوعة أم موقوفة فإنها لا تدل على أن القلم أول مخلوق على الإطلاق، وإنما هو أول مخلوق متعلق بهذا العالم المشاهد، أما غير المشاهد فهناك أشياء مخلوقة قبله، فالمقصود: لما خلق الله القلم قال له: اكتب. فهذا أصح. كما تقول: أول ما دخل البيت فعل كذا، لا يعني هذا أن أول شيء فعله هو دخوله البيت وهو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى[(٦)].

---

(١) تعجيل المنفعة (١/ ٢٧٧).
(٢) رواه الآجري (١٨٤، ٣٤٨).
(٣) رواه الآجري (١٨٢).
(٤) رواه الآجري (١٨٣، ٤٤٣)، وابن جرير (٢٩/ ١٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٨١).
(٥) الحلية (٨/ ١٨١).
(٦) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٥/ ١٧٢- ١٩٠).

وللإيمان بالقدر عدة لوازم منها:

١- عدم سب الدهر، فبوب المؤلف: [**باب من سب الدهر فقد آذى الله وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ الآية. في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار» وفي رواية: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»**].

٢- ومنها سب الريح، فبوب المؤلف [**باب النهي عن سب الريح، عن أبي بن كعب** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ **قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم، إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به» .صححه الترمذي**].

٣- ومنها التسخط بـ «لو»، فبوب المؤلف: [**باب ما جاء في اللّو وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ . وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ الآية، في الصحيح عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أن رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**].

٤- ومنها حسن الظن بالله تعالى والرضا بقضائه وقدره؛ لذا بوب المؤلف: [**باب قول الله تعالى**: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ **الآية وقوله**: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ **الآية، قال ابن القيم في الآية الأولى: فسّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق. فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار، وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟**

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فـإنـي لا إخـالـك نـاجـيـاً]

الظن: هو الاحتمال الراجح عند علماء الأصول، وأحيانًا يأتي للوهم وهو الاحتمال المرجوح وهو الغالب الذي يأتي في القرآن، قال الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ ، فهذا ظن مرجوح يظنونه بالله تعالى، وكما قال سبحانه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾، وكما قال سبحانه: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾، ويدخل فيه ظن الشك؛ إذ يأتي بمعنى الشك وهو الذي يتساوى فيه الاحتمالان، وقال بعضهم: ظن الجاهلية هو تعليق الأمور بالأسباب الظاهرة فقط والحكم على الأسباب الظاهرة القريبة، فلا يعتبرون بالقدر ولا بحكمة الله تعالى؛ فيتعامل الإنسان مع الأمور على أنها أسباب حسية ظاهرة ونتائج دون تعليق شيء منها بمشيئة الله تعالى.

مسألة: هل من الرضا بالقضاء والقدر رضا العبد بالمصائب؟ وهل يرضى بالمعاصي؟ وهل يرضى بالعقوبات؟

الأمور تنقسم إلى قسمين: أسباب ونتائج، فالأسباب تتعلق بالعبد والنتائج تتعلَّق بالقدر.

فالأسباب منها ما هو مقدور عليها، ومنها ما هو غير مقدور عليها، أما المقدور عليها فإن كانت شرعية فإن العبد يرضى بها ويفعلها، كأداء

الصلاة والصيام والحج والزكاة وطاعة الوالدين والبر، وإن كانت مباحة فهو مخير بين فعلها وتركها، كالتجارة من بيع وشراء والنوم والطعام، أما إن كانت الأسباب مكروهة كقيل وقال أو محرمة كشرب الخمر والزنا والسرقة والقتل فإنه لا يرضى بها ولا يفعلها لتحريم الشارع لها أو لكراهته لها، فإذا سرق لا يرضى بالسرقة، وإذا زنى لا يرضى بالزنا، فلا يرضى بالمعاصي التي فعلها، وإذا أطاع أحب الطاعة ورضي بطاعته.

أما النتائج فترضى بالنتائج الإلهية، وتقول: هذه النتائج الإلهية مناسبة للسبب. فإذا جاءت عقوبة إلهية تقول: هذه مناسبة لهذا السبب. فترضى بالنتيجة الإلهية لأنها مناسبة للأسباب المبذولة، فإذا سرق السارق قُطعت يده، فترضى بقطع اليد لمناسبتها للسرقة، وإذا مرضت تقول: أنا أرضى بما قدره الله تعالى من المرض؛ لأنه بسبب ما اقترفته يداي. وهو كفارة للذنوب، وهو صورة من صور الابتلاء، مع بَذْلك للأسباب التي ترفعه عنك لأنك مطالب ببذل الأسباب كما قال النبي ﷺ: «فتداووا يا أهل القرآن».

مسألة: هل الإنسان مخير أم مُسَيـَّر؟

فالإنسان مخير في الأسباب المقدور عليها، وهو مسير في الأسباب غير المقدور عليها، ومسير في النتائج بعد اختياره الأسباب المقدور عليها.

القاعدة الثالثة والأربعون

دلالة التنبيه

ترد في الشرع دلالة تنبيه، حيث يذكر الشارع مثالاً أو صورة تدل على الصور الأخرى المتفقة معها في العلة، من ذلك قول الله تعالى في محرمات النكاح: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ ، فدل على تحريم البنات من الرضاع، وقال تعالى: ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ، دل على جميع الحواشي من الخالات والعمات من الرضاعة.

وقد عرف العلماء دلالة التنبيه: ما دل عليه لفظ الشارع، ولم ينطق به، وكان حكمه موافقاً للمنطوق[(١)].

من ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله -وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله- فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل

(١) انظر: بيان المختصر لشمس الدين الأصفهاني (٢/ ٤٣٢)، والمستصفى للغزالي (٢/ ١٩٠)، ومنتهى السول لابن الحاجب (١٤٧)، والإحكام للآمدي (٣/ ٩٤)، ودلالات الألفاظ عند شيخ الإسلام ابن تيمية لآل المغيرة (٢/ ٧٨٨)، والدلالات عند الأصوليين د. عبد الله العبيد (٩٧)، ودلالات الألفاظ د. يعقوب الباحسين (٢/ ٤٢٣).

يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك: فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[1].

مسألة: لماذا أمر النبي ﷺ معاذاً بالأمور الثلاثة التوحيد والصلاة والزكاة ولم يأمره بغيرها كالحج والصيام؟

الجواب:

أولاً: ذكر النبي ﷺ ما يتعلق بالله ﷻ وهو التوحيد الخالص، ثم ما هو بين العبد وربه من العبادات وأعظمها الصلاة، ففيها دلالة تنبيه على سائر العبادات التي بين العبد وبين ربه، ثم أمره بما هو بين العبد والناس وهي الزكاة، ففيها دلالة تنبيه على سائر ما بين العبد والناس.

ثانياً: لأن هذه الأمور هي التي تميز الإسلام، فالصيام كان موجودًا في شريعة بني إسرائيل، وكذلك كان موجودًا عند العرب، والحج كان موجودًا عند العرب، لكن هذه الثلاث لم تكن موجودة عند العرب.

ثالثاً: قال بعضهم بأن الحج لم يفرض في تلك السنة لذلك لم يذكره النبي ﷺ.

(١) رواه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) واللفظ له.

القاعدة الرابعة والأربعون

يجب مراعاة الأدب مع اللَّه تعالى وإجلاله في الألفاظ ولو لم يقصد الضد

وقد ذكر المؤلف لذلك عدة صور؛ منها:

❑ **الصورة الأولى:**

عدم سب الدهر؛ لذا بوب المؤلف [**باب من سب الدهر فقد آذى الله وقول الله تعالى:** ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ **الآية، في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار» وفي رواية: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»**].

قال الكفار: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾: أي لا يوجد تدبير ولا حكمة ولا قدر ولا تقدير في هذا الكون، وإنما الزمان هو الذي يتصرف بنا كما قال بعضهم:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ... ومن تشأ تتركه يعمر فيهرم

فأنكر الله ﷻ عليهم هذا الأمر الذي هو قول الدهرية أنه لا يوجد إله بل الزمان هو الذي يتصرف، فبين سبحانه أنه هو المتصرف المدبر لحوادث

الزمان والليل والنهار، فقال سبحانه في الحديث القدسي: «أنا الدهر، أقلب الليل والنهار».

ومن صور سب الدهر: سب الليل والنهار ولعن الزمان ولعن اليوم - أعاذنا الله من ذلك.

أما قول الله تعالى في الحديث القدسي: «**يؤذيني ابن آدم**» فينبغي التفريق بين الأذى والضرر، فقد قال الله عز وجل: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾، وهذا استثناء منقطع؛ فالأذى ليس من الضرر، فالأذى أن تفعل أو تقول شيئًا يكرهه الآخر ولا يقر به[1]، أما الضرر فهو أن تُلحق بذاته أو بنفسه ألماً قوياً شديداً تسيء حاله وتحجب عنه النفع[2]، والله تعالى لا يستطيع أحد أن يُلحق به ضرراً، كما في الحديث القدسي: «إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني»، أما الأذى فهو فعل أو قول شيء يكرهه الله تعالى، وهذا واقع إذ أنهم يعبدون غير الله عز وجل والله تعالى يكره الشرك، ومما يؤكد إيذاء العبد لربه سبحانه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾.

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٦).

(٢) انظر: المقاييس لابن فارس (١/ ٤٦- ٤٧)، والصحاح للجوهري (٦١٩)، والمفردات للراغب (٢٩٣).

«**وأنا الدهر**»: لا يستدل به أن من أسماء الله تعالى الدهر؛ لأن القرينة بينت المقصد من قول الله تعالى: «**أنا الدهر**»، وهي تصريف الدهر وتدبيره؛ إذ قال في الحديث: «أقلب الليل والنهار»: أي أنا أقلب الدهر، أقلب الليل والنهار.

لماذا يحرم سب الدهر؟

أولاً: لأن الدهر ليس له يد في الأحداث، فهو مخلوق من المخلوقات، منقاد لأمر الله عَزَّ وَجَلَّ، فكيف تسب من ليس له يد في الأمر؟ هذا ظلم.

ثانياً: أو سبه له إشارة إلى أنه يعتقد بأن الدهر هو المتصرف، وهذا شرك.

ثالثاً: مَن سب الدهر فكأنما سب الله تعالى، فكأنه يقول: من الذي دبر حوادث هذا الدهر وهذا الزمان؟ ومن الذي قدره؟ فيسبه، والله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي صرفه وقدره، فمن سبه فكأنما سب مصرفه.

❏ **الصورة الثانية**

[باب النهي عن سب الريح: عن أبي بن كعب ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم، إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به». صححه الترمذي].

فذكر المؤلف النهي عن سب الريح تعظيمًا لله تعالى كما في الدهر، وماذا تملك الريح من الأمر حتى تُسب؟ فالله تعالى هو الذي قدرها، فنهى النبي ﷺ عن سبها، وبيَّن لنا ماذا نقول عندما نراها، نسأله خيرها ونستعيذ بالله من شرها كما في الحديث.

❑ الصورة الثالثة

عدم الهزل بشيء فيه ذكر الله تعالى أو القرآن أو الرسول ﷺ

من تعظيم الله تبارك وتعالى والتأدب مع جلاله تعظيم أحكامه ومقامه ومقام النبوة حالاً ومقالاً ؛ لذا بوب المؤلف [**باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، وقول الله تعالي:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ **الآية، عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض: «أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء -يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القرّاء ـ فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ .فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ:** ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ **؟ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه»**].

«**النسعة**»: وهي زمام ناقة النبي ﷺ المكون من سَيْر مضفور[1].

---

(١) النهاية لابن الأثير (٨٩٨).

❑ **الصورة الرابعة**

عدم الدعاء لله تعالى، إنما دعاء الله تعالى؛ لذا بوب المؤلف [**باب لا يقال: السلام على الله: في الصحيح: عن ابن مسعود** ﵁ **قال: كنا إذا كنا مع النبي** ﷺ **في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان، فقال النبي** ﷺ: «**لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام**»].

جميع أسماء الله تعالى حسنى، ومن أسماء الله السلام، لذا لا يقال: السلام على الله. لأن الله هو السلام.

معنى «السلام»

١- ذو سلامة وبراءة مما يلحق المخلوقين من الفناء والموت والنقص والعيب[(١)]، فهو الذي قد سلم من النقائص.

٢- اتصف بالكمال والغاية .

٣- سلم المخلوق من ظلمه.

٤- وهو الذي يسلِّم الناسَ من النقائص والعيوب.

ومعنى «السلام عليك»:

١- أي كلاءة الله عليك وحفظه، فالله معك ومصاحبك.

---

(١) الزجاجي (٢١٥-٢١٦).

٢- وإعلام المسلّم عليه: بأنك سالمٌ مني، ولا خوف عليك مني[١] .

ولذا عندما تمر على إنسان تقول: السلام عليكم ورحمة الله. أي أدعو الله تعالى أن تكون في حفظه ويسلمك من النقائص، ويتمم لك كل الأمور، وأنت سلمت من جهتي، وهي تحية الإسلام.

أما حديث ابن مسعود رضي الله عنه في نهي النبي ﷺ عن السلام على الله فكأنك تدعو لله تعالى، فهذا ليس صحيحاً ومخالف للأدب مع الله تعالى لفظاً؛ إذ الله تعالى لا يحتاج ولا يفتقر إلى أن يدعو أحد له، بل نحن المحتاجون إلى أن ندعوا الله تعالى، لا أن ندعوا لله، وإنما يُثْنَى على الله تعالى.

---

(١) انظر فتح الباري (١١/ ١٣).

❑ **الصورة الخامسة**

عدم التسمية باسم معبّد لغير الله تعالى؛ لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ الآية، قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيِّل فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما، سمِّياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ رواه ابن أبي حاتم، وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته، وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قال: أشفقا ألا يكون إنساناً، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما**].

فذكر المؤلف رحمه الله أن من الأدب مع الله تعالى في التسمية عدم التعبيد لغير الله تعالى فذكر قول ابن حزم، واختلف العلماء في تسمية عبد المطلب ابتداءً، وسبب الخلاف بين العلماء هو قوله ﷺ: «أنا

النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»، والصحيح في ذلك أنه لا يجوز التسمية بعبد المطلب، أما النبي ﷺ فإنه لما حدث ما حدث في غزوة حنين وفرَّ عدد كبير من الصحابة من أرض المعركة فإنه ﷺ أخبر خبراً أنه نبي الله وأنه ابن عبد المطلب الذي كان سيد قريش بلا منازع، فكيف يفر من المعركة ﷺ؟ فالنبي ﷺ لم يولد له ولد فسماه ابتداءً عبد المطلب وإنما أخبر خبراً، فالإخبار عن اسمه شيء والتسمية ابتداءً شيء آخر، فالنبي ﷺ يخبر أن جده عبد المطلب، أما التسمي به ابتداء فلا يجوز؛ ولذا يجوز الإخبار عن رجل كان اسمه عبد عمرو وعبد الكعبة قبل الإسلام.

أما قول ابن عباس رضي الله عنهما في قصة آدم عليه السلام؛ فالرواية لا تصح سندًا ولا متنًا؛ لأن فيها شريكًا القاضي وهو سيء الحفظ، وفيها خصيف ضعيف كذلك، هذا من جهة السند.

أما من جهة المتن: فكيف يهدد إبليس آدم عليه السلام؟ وكيف يُسمي آدمُ عليه السلام عبدَ الحارث خوفًا من إبليس مع علمه بعدم الجواز؟! والمعنى الصحيح للآية أن الله تعالى يخبر عن أمّة أو مجموعة أكرمهم الله تعالى ثم بعد إكرامهم أشركوا بالله عز وجل، فبعد أن تناسلوا عبدوا غير الله تعالى، وأما آدم والأنبياء فلا يقعون في الشرك، أما قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾، هذا في المشركين من

ذرية آدم عليه السلام عن جنس البشر؛ إذ أغلب البشر يشركون بالله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾، وقال: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾.

❑ الصورة السادسة

عدم السؤال بوجه الله إلا الجنة

لذا بوب المؤلف [**باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، عن جابر** ﵁ **قال: قال رسول الله** ﷺ : «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**». **رواه أبو داود.**

فمن تعظيم الله تعالى والتأدب مع جلاله أنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، أي إذا سألت بوجه الله فاسأل الجنة، فقل: اللهم، إني أسألك بوجهك الجنة أو تدخلني الجنة. لكن هذا الحديث فيه ضعف.

❑ **الصورة السابعة**

تجنب كثرة الحلف

لذا بوب المؤلف [**باب ما جاء في كثرة الحلف وقول الله تعالى**: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾. **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: سمعت رسول الله** صلى الله عليه وسلم **يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب» أخرجاه. عن سلمان** رضي الله عنه **أن رسول الله** صلى الله عليه وسلم **قال: « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ لَهُ بِضَاعَةً فَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ» رواه الطبراني بسند صحيح. وفي الصحيح عن عمران بن حصين** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم **: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟ ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن». وفيه عن ابن مسعود** رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم **قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار**].

كثرة الحلف مما يخالف تعظيم الله عز وجل والتأدب معه، فتجد بعض الناس يحلف في كل شيء «والله كذا، والله كذا»

في الصغيرة والكبيرة، عظِّم ربك ولا تحلف في كل أمر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ ، فلا تحلف إلا في الأمور العظام حتى لا يصبح اسم الله تعالى هيِّناً على اللسان، فالذم هنا على كثرة الحلف بالله على الشيء المباح، فكيف بالكذب في الحلف؟.

«**ورجل جعل الله بضاعته**»: أي ينفِّق سلعته بالحلف الكاذب، كمن يريد أن يبيع السلعة فيحلف ويقول: والله اشتريتها بدينار. بينما هي بمئة فلس؛ فهو كاذب، أو يقول: والله إن هذه السلعة أفضل سلعة في السوق. وليس كذلك بل هي أكسد وأسوأ سلعة، ولكنه يريد أن يُنَفِّق سلعته أي يتدوالها الناس وتروج بينهم، عظم ربك وتأدب معه، ولا تكثر من الحلف لا سيما إذا كان كذبًا فقد قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعة، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه».

كذلك من تعظيم الله تعالى كما ورد في الحديث: «إن بعدكم قوماً يشهدون. . .»: أي يشهدون زوراً، فيحلفون بالله تعالى في شهادة الزور، أما الحديث فلم يقل: يشهدون زورًا. ولكن فسرته القرائن الواردة في هذا الحديث بأن المقصود بها شهادة الزور، فمن القرائن سياق الحديث؛ لأنه ورد في سياق الذم واقتران ذكر الشهادة بالخيانة؛

لذا قال ﷺ: «يخونون ولا يؤتمنون»، وفيهم غدر: «ينذرون ولا يوفون»، ويركنون إلى الدنيا؛ لذا قال ﷺ: «ويظهر فيهم السمن»: أي الركون إلى الدنيا، وفي بعض الروايات «يفشو الكذب»[1]، فتبين أن المقصود بذلك أنهم يشهدون زورًا، وفي المقابل أثنى النبي ﷺ على من شهدوا قبل أن يستشهدوا، وذلك إذا شهدوا حقًا لإنقاذ الناس وإنقاذ المظلوم، فقد روى زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها»[2].

وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»: أي يشهدون زورًا، ومن عظم فجورهم أنهم يسارعون فيها.

(١) رواه الترمذي (٢١٦٥)
(٢) رواه مسلم (١٧١٩).

❏ الصورة الثامنة

أظهر ضعفك وافتقارك في تعاملك مع الله تعالى

لذا بوب المؤلف [**باب قول: اللهم، اغفر لي إن شئت: في الصحيح عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال: «لا يقل أحدكم: اللهم، اغفر لي إن شئت، اللهم، ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له»**[1]**. ولمسلم: «وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»**].

نهى النبي ﷺ عن قول العبد: «اللهم، اغفر لي إن شئت» لأمور:

أولاً: العجز

كأن يقول: رب، أخشى أن لا تكون لديك قدرة على تحقيق مرادي، فإن كنت قادرًا وفي استطاعتك تحقيق مرادي فأعطني، وإلا فلا تتكلف ما لا قدرة لك عليه. هل الله تعالى عاجز؟ الله تعالى لا يتعاظمه شيء.

ثانياً: الحرج

كأنه يقول: اللهم، أعطني إن لم يكن فيه حرج عليك، لا أريد أن أسبب لك الحرج، فإن شئت فحقق لي مرادي. كأنه يعتقد أن الله تعالى قادر ولكن لا يريد تحقيق مراد العبد، وسؤاله هو الذي أحرجه، فلا يريد إحراجه، وهذا نوع من الإكراه؛ لذا قال ﷺ: «فإن الله لا

(١) رواه البخاري (٦٣٣٨، ٧٤٦٤)، ومسلم (٢٦٧٨، ٢٦٧٩).

مكره له»، فالحالة الأولى اتهام الله تعالى بالعجز، والله تعالى لا يتعاظمه شيء، أما الثانية فالحرج.

ثالثاً: الاستغناء

كأن يقول: رب، أنا مستغن عنك، إن أعطيتني فحسن وإن لم تعطني فلا حاجة لي فيه. بينما يجب على العبد أن يعظم الرغبة والحاجة إلى الله تعالى؛ لذا قال ﷺ: «وليعظم الرغبة»، فأظهر ضعفك وأظهر فقرك واحتياجك إلى الله تعالى.

مسألة: ورد في بعض الأحاديث دعاء معلق بالمشيئة كقوله للمريض: «طهور إن شاء الله»، وقوله بعد إفطاره: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»، فكيف يدعو ويقول: «إن شاء الله»؟ هل يتعارض مع الحديث السابق؟

١ - أما قوله: «طهور إن شاء الله» فليس دعاء، بل خبر فيه تفاؤل معلق بالمشيئة، والمراد: بإذن الله ستكون طهورًا، كقولك: بإذن الله سأكون عندك، بإذن الله سألقاك في البيت.

٢ - وأما قوله: «ثبت الأجر إن شاء الله» فهو كذلك خبر فيه تفاؤل معلق بالمشيئة؛ إذ لا يعلم هل ثبت الأجر أم لم يثبت، ومما يدل عليه سياق الكلام، فالحديث كله خبر: «ذهب الظمأ» خبر، «وابتلت

العروق» خبر ثان، وليست أدعية، ثم قال ﷺ: «وثبت الأجر إن شاء الله»، فلفظ: «ثبت» فعل ماض وليس سؤالًا ولا دعاءً، فهو خبر معلق بالمشيئة، كأن يقول: بإذن الله تعالى سيثيبنا الله تعالى. بينما لفظ الدعاء: «اللهم، آجرنا، اللهم، ثبت لنا أجرنا»، فلم يقل في الحديث: «اللهم، آجرنا إن شاء الله، اللهم، ثبت لنا أجرنا إن شاء الله».

❑ الصورة التاسعة

عدم الاستشفاع بالله على خلقه

بوب المؤلف: **[باب لا يستشفع بالله على خلقه، عن جبير بن مطعم ﵁ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ : «سبحان الله! سبحان الله!» فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه؛ ثم قال النبي ﷺ : «ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه» وذكر الحديث. رواه أبو داود].**

الله سبحانه وتعالى عظيم، والمؤلف يتكلم عن تعظيم الله تبارك وتعالى والأدب معه، ففي قول الأعرابي: «نحن نستشفع بالله عليك»: أي نجعل الله ﷻ واسطة بيننا وبينك، نتوسط به لتقبلنا عندك -والعياذ بالله-، فنجعل الله شفيعاً يشفع لنا عندك، فهل الله ﷻ يشفع عند النبي ﷺ؟ لذا قال النبي ﷺ: «سبحان الله»: أي ما هذا الذي تقول! شأن الله تعالى أعظم من ذلك! والله لا يُستشفع به على الناس، لكن هذه الرواية لا تصح.

القاعدة الخامسة والأربعون

الحذر من الألفاظ الموهمة في التوحيد

أحياناً تستعمل بعض الألفاظ التي توهم السامع معنى فاسداً في حق الله تعالى أو في تعاملك مع الله تعالى؛ لذا ينبغي اختيار الألفاظ المناسبة.

❑ **الصورة الأولى**

قول السيد: عبدي، أمتي. لذا بوب المؤلف [**باب لا يقول: عبدي وأمتي، في الصحيح عن أبي هريرة** ﷺ **أن رسول الله** ﷺ **قال**: «**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**»].

قال المؤلف: فيه التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

خص النبي ﷺ النهي عن استعمال لفظ: «الرب والعبد والأمة»، في حق المخلوقين في صيغ معينة، وليس في عموم الألفاظ المذكورة إذ قال نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، فالمنهي عنه هو الألفاظ الموهمة بالنقص في حق الله تعالى كالبكاء، والحزن، والطعام،

والوضوء، فتلك العبارات: «أطعم ربك»، «وضئ ربك» توهم بأن الرب يُطْعَم أو يتوضأ، فهي ألفاظ موهمة بالنقص في حق الله تعالى لو سمعها سامع ولم يعلم أن المقصود بها مخلوق ما، لكن قولك: عظم ربك وأطع ربك. أي سيدك فلا مانع، والدليل قول يوسف -عليه السلام-: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ فلا حرج؛ لأنها لا توهم النقص في حق الله تعالى لو سمعها سامع ولم يعلم أن المقصود بها مخلوق ما، وكذا ما ورد في الحديث من علامات الساعة: «أن تلد الأمة ربتها»، لا يوهم نقصًا في حق الله تعالى؛ إذ يفهم السامع أن المقصود سيدتها إذ لا يوجد ربة للكون.

«**لا تقل عبدي، أمتي**»: هذا في حق نفسه لا يقل: «عبدي، أمتي»، أما في حق غيره فجائز أن يقول: «عبده، أمته»؛ لقول النبي ﷺ: «ليس على الرجل في عبده ولا فرسه صدقة»، وأما قوله في حق نفسه كأنه يعظمها قائلاً: «أمتي، عبدي». فلا يتلفظ بها، وليجتنبه تعظيما لله تعالى وأدباً، وأما خطاب الآخرين بقوله: «عبدك، أمتك». فلا بأس به كما قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ .

❑ الصورة الثانية

النهي عن قول «لو»

ينبغي على العبد أن يحذر عند استعماله «لو» في كلامه؛ لذا بوب المؤلف [**باب ما جاء في اللّو وقول الله تعالى:** ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ . **وقوله:** ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ **الآية. في الصحيح عن أبي هريرة** ﷺ **أن رسول الله** ﷺ **قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**].

التلفظ بـ «لو» أقسام:

١- ما فيه كذب على القدر وافتئات عليه كقولهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾، وما يدريك فربما يُقتلون في بيوتهم.

٢- ما فيه حث ودعوة لمخالفة الشرع كقولهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ : أي لو أطاعونا وما أطاعوا النبي ﷺ وعصوه ما قُتلوا، ففيه ترغيب في المعصية ومخالفة الشرع، فهذا محرم.

٣- ما فيه نوع من التحسر والجزع وعدم الرضا بالقدر، لسان حاله يقول: «يا حسرتاه، لو لم أخرج للقتال لكان خيرًا لي». فهذا فيه جزع؛ لذا نُهي عنه.

٤ - ما فيه خبر أو بيان حكم كما في قصة أمير السرية الذي أجج ناراً وأمر سريته بالدخول فيها فقال ﷺ: «لو دخلوا فيها ما خرجوا منها»، وكما قال النبي ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي»، فهذا جائز من باب الخبر وبيان الحكم.

٥ - من باب التمني، وهذا على حسب الأمنية، فإذا كانت جائزة جاز استعمال «لو»، وإذا كانت مستحبة استحبت، وإذا كانت محرمة حرمت، كما في حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان. فهو بنيته، فوزرهما سواء»[(١)].

فأثنى النبي ﷺ على من تلفظ بـ«لو» متمنياً أن يكون له مال فينفقه في وجوه

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الخير «لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان»، بينما ذم من تلفظ بـ «لو» متمنياً أن يكون له مال فينفقه في المعاصي «لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان».

❑ **الصورة الثالثة**

عدم القول: «الله وفلان». لذا بوب المؤلف [**باب قول الله تعالى**: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . **قال ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم. وعن عمر بن الخطاب ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم. وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً. وعن حذيفة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». رواه أبو داود بسند صحيح. وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان**].

وقد سبق تفصيل حكم «ما شاء الله وشئت» تحت القاعدة السابعة والثلاثين.

القاعدة السادسة والأربعون

تعظيم الله تعالى على وجه العموم

ولتعظيم الله تعالى عدة صور، **منها: عدم رد من سأل بالله تعالى**؛ لذا بوب المؤلف [«**باب لا يرد من سأل بالله، عن ابن عمر** ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى ترون أنكم قد كافأتموه**». **رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح**].

«**من سأل بالله**»: أي من قال: أسألك بالله أعطني .

سؤال الناس ينقسم إلى حالتين:

الأولى: لا مفسدة من سؤاله ولا من إجابته، فقد يسألك شيئًا واجبًا كأن يسألك حقاً من حقوقه، أو مستحبًا كأن يسألك أن تعلمه أو يسألك لتعين إخوانك في الله تعالى، أو مباحًا في حدود قدرتك فهذا تعطيه للحديث.

الثانية: أن تكون إجابتك له فيها مفسدة كسؤاله محرمًا، كأن يسألك مالًا ليشتري خمرًا، أو اتخذها وظيفة ليستكثر من المال وقال: لماذا

أعمل؟ بل أسأل الناس. وهكذا يعتاد الكسل، فهذا يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم، وأنت بذلك أعنته على المعصية، فلا تعطه ولو سألك بالله؛ لأنك تعينه على الكسل والفساد والمعصية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أصل السؤال محرم في المسجد وخارج المسجد إلا لضرورة، فإن كان به ضرورة وسأل في المسجد ولم يؤذ أحداً بتخطيه رقاب الناس ولا غير تخطيه ولم يكذب فيما يرويه ويذكر من حاله، ولم يجهر جهرًا يضر الناس مثل الذي يسأل والخطيب يخطب أو وهم يسمعون علمًا يشغلهم به ونحو ذلك جاز[1].

وقال محمد بن الحسن الشيباني: إن كان السائل يتخطى رقاب الناس ويمر بين يدي المصلي فيكره إعطاؤه؛ لأنه إعانة له على أذى الناس، حتى قيل: هذا فلس واحد يحتاج إلى سبعين فلسًا لكفارته.

وقال أبو مطيع البلخي: لا يحل للرجل أن يُعطي سؤَّال المساجد[2].

وكان عكرمة إذا رأى السُؤَّال يوم الجمعة سبهم ويقول: «كان ابن عباس رضي الله عنه يسبهم ويقول: لا تشهدون جمعة ولا عيدًا إلا للمسألة والأذى!». وإذا كانت رغبة الناس إلى الله كانت رغبة هؤلاء السؤال

---

(١) كما في مجموع الفتاوى (٢٢ / ٢٠٦).

(٢) إعلام الساجد للزركشي (٣٥٣- ٣٥٤).

إلى الناس.

قال الذهبي: فكيف إذا انضاف إلى ذلك غنىً ما عن السؤال وقوة للكسب[1].

ومنها الرضى لمن حُلِف له بالله؛ لذا بوب المؤلف: [«**باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله، عن ابن عمر** رضي الله عنهما، **أن رسول الله** ﷺ **قال**: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله**»، **رواه ابن ماجه بسند حسن**»].

في هذا الحديث تعظيم الله تعالى من وجوه:

١- عدم الحلف بغير الله تعالى.

٢- إذا حلف بالله فليصدق تعظيماً لله تعالى الذي حلف به.

٣- وإذا حلف أحدهم لآخر بالله تعالى؛ فعلى الطرف الآخر أن يقبل خبر الطرف الأول تعظيماً لله تعالى.

وتعظيم الله تعالى أجل الأمور؛ لذا ختم المؤلف رحمه الله كتابه بـ[**باب ما جاء في قول الله تعالى**: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ **الآية .عن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال**: **جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله** ﷺ **فقال**: **يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع،**

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٩).

والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية. وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله». وفي رواية للبخاري: «يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع». أخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون». وروي عن ابن عباس، قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم. وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض». وعن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش،

لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن زر عن عبدالله. ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالى-، قال: وله طرق. وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم». أخرجه أبو داود وغيره].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: نحن مقصرون في حق الله تعالى، والله سبحانه وتعالى أعظم وأجل من كل هذا التعظيم الذي نعظمه إياه.

ولما قرأها النبي ﷺ على المنبر تحرك وتحرك المنبر معه حتى قال ابن عمر رضي الله عنه: أساقط هو برسول الله ﷺ؟، كما روى عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر: «يأخذ الله سماواته وأرضيه بيده، ثم يقول: أنا الله -ويقبض أصابعه ويبسطها-، أنا الرحمن، أنا الملك»، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله؟. فهي لحظات عاش فيها النبي ﷺ مع الله، لحظات تعظيم لله تعالى، وحلاوة ولذة يعيشها تعظيمًا لله تبارك وتعالى.

أما روايتا الكرسي المرفوعة فهي من طريق ابن زيد عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو متروك، ورواية ابن مسعود من قوله هو رضي الله عنه بسند حسن، وأما رواية العباس رضي الله عنه ففيها ضعف ولا تصح؛ لأن فيها عبد الله بن عميرة وهو مجهول، ولا يعرف له سماع من شيخه الأحنف بن قيس الذي روى عنه هذا الحديث.

أما رواية مسلم: «بشماله» فلا تصح، وقد ضعفها بعض العلماء كالبيهقي والألباني، بينما في الحديث الصحيح: «كلتا يديه يمين»، فيدا الله تعالى كلتاهما يمين.

نسأل الله أن يرزقنا حق التعظيم، وأن يحيينا على التوحيد وأن يميتنا على التوحيد، والحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات



تم الإخراج 3B2 بشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
- بدالة المطبوعات: ٢٤٨١٠٠١٠ - الكويت